
كتابي
٨ قروش
أيها الربيع.. ترفق!
وكتب أخرى
حلمي مراد

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الرابع عشر (السنة الثانية) : ابريل ١٩٥٣
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين - مصر الجديدة
تليفون ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ ..

للمرة الثانية يصدق ظنى فيك ، وفى حسن تقديرك لمجهود صاحب هذا القلم المتواضع الذى قطع لك امام ربه عهداً أن لا يدخر وسعا او يشفق من مشقة فى سبيل النهوض بهذا الكتاب الى المرتبة التى ترجوها له ، والتى بلغ منها ولله الحمد فى عام واحد مالم يبلغه غيره فى عشرات السنين .. وما ذاك الا بفضل حسن تمييزك بين الجد والهزل ، وبين صحافة الرسالة وصحافة التجارة .. فلقد دلتنى رسائلك الكريمة التى غمرتنى بها على انك قد فطنت منذ اليوم الاول الى الحقيقة التى كنت أخشى أن تخفى عليك .. فطنت الى أنك أمام مشروع من نوع جديد ، أمام كتاب يلهب صفحاته الايمان بفكرة والتحمس لهدف ، وليس كتابا يهب عليك من صفحاته صقيع حب المال والاتجار بالادب والاخلاق ، وكل ما فى الحياة المثلى من قيم رفيعة ..

نعم ، كان من توفيق الله أنك فطنت منذ أول وهلة الى «الروح» التى أملت على اصدار هذا الكتاب ، روح «الهاوى» الذى ينفق وينفق دون أن يفكر فى الربح ، قانعاً بأن يكون كل نصيبه ، ورصيده منك : ثقتك واحترامك .. لا روح «التاجر» المحترف الذى لا يفكر أو يطمع الا فى مضاعفة رصيده من مالك !

بهذه الروح اصدرت هذا الكتاب ، وبهذه الروح قدمت لك فى الشهر الماضى عدده الممتاز الاول ، الذى أنفقت عليه بسخاء لعله أذهلك ، سخاء لا يتناسب مع ثمنه بحال !.. وكنت قد أردت أن يكون ذلك العدد الممتاز سنويا، يطالعك فى مستهل كل عام جديد من أعوام (كتابى) .. لكنك أردت غير ما أردت أنا ، فأمطرتنى بهذا الفيض من الرسائل الذى يملى على الآن ان أكتب هذه السطور ، لأشكرك .. ولأنزل على ارادتك : أشكر لك اقبالك الذى فاق كل حد ، وكل أمل .. وأنزل على ارادتك التى شاءت أن تطالبنى باصدار كتابى «الممتاز» دوريا ، كل ثلاثة شهور .. على الاقل !

على الاقل .. لان الكثير من رسائلك ذهب الى حد مطالبتى باصدار أعداد كتابى «جميعا» ممتازة ، على نمط الكتاب السابق !

وهنا .. أسمح لنفسى بالاعتذار لك بعجزى عن اجابتك الى هذا المطلب العسير ، الذى يحملنى من الجهد والنفقات فوق ما أحتمل ..!

واذن فالى اللقاء فى كتابى الممتاز التالى ، فى أول يونيو القادم بمشيئة الله والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كتابى

مجموعة الاعداد الســـابقة

كتـابى الاول :	«خطـايـا الحـب»	وكتب	اخرى	مـارس ١٩٥٢
كتـابى الثانى :	«قلـب عـذراء»	«	«	ابريـل «
كتـابى الثالث :	«الهاربة من الجنة»	«	«	مايـو «
كتـابى الرابع :	«حـواء الجديدة»	«	«	يونية «
كتـابى الخامس :	«احـدب نوتردام»	«	«	يولية «
كتـابى السادس :	«جريمـة حـب»	«	«	اغسطس «
كتـابى السابع :	«عشيقة نابليـون»	«	«	سبتمبر «
كتـابى الثامن :	«مذكرات كيوبيد»	«	«	اكتوبر «
كتـابى التاسع :	«صـنم تحـطم»	«	«	نوفمبر «
كتـابى العاشر :	«حديـقة اللـه»	«	«	ديسمبر «
كتابى الحادى عشر :	«عندما تحقد المرأة»	«	«	ينايـر ١٩٥٣
كتابى الثانى عشر :	«لعبة الحب والموت»	«	«	فبراير «
كتابى الثالث عشر :	«تـوبـة خاطئـة»	«	«	مارس «

◆ **وتطلب من صاحب كتابى (١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة) ، وثمن كل عـدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ، ما عدا العددين الثالث والسادس فثمن كل منهما عشرون قرشا (تحديدا للطلبات ، نظرا لقرب نفادهما وعدم امكان اعادة طبعهما) .. وما عدا العدد الثانى الذى نفد ، والعدد الثالث عشر (الممتاز) وثمنه بالبريد ١٢ قرشا**

◆ **ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER ، ولا تقبل العملة الاجنبية او اذونات البريد الخارجية .**

الاشـــتراكات

◆ **وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا ـ وترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة**

◆ **قيمة الاشتراك فى مصر والسودان :** عن سنة (١٢ عددا) : **١٠٠ قرش ،** ومن نصف سنة (٦ اعداد) **٥٥ قرشا** ـ فى الخارج **(العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ)** ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد **MONEY ORDER** وتحتسب القيمة بما يوازى **١١٠ قروش** (عن سنة) و **٦٠ قرشا** (عن نصف سنة) ـ **أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب** شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت أو للمكتبة العصرية بسوق السراى ببغداد

أيها الربيع.. ترفق!

قصة مصرية

للمحرر



- ١ -

يا صديقى ...

سألتنى مرارا ان افتح لك قلبى ، واكشف ما فيه .. لكننى طالما ترددت . كنت أشفق ان يثير الحديث كوامن الذكرى وينكأ جرحا لم يندمل !.. او لعلنى كنت أسيرا لهذا الطبع الغالب الذى ما زال يلازمنى ، هذه «الحاسة» العجيبة التى تجعلنى لا اجرؤ على ان ابوح بلسانى ، لأعز انسان ، بما أجرؤ ان ابوح به على الورق ، لاى انسان !

فهل ترانى اكاشفك اليوم بسرى لان سفرك يتيح لى فرصة المكاشفة الصامتة ، بالمراسلة ، وانا آمن من كل حرج .. من كل دمعة فى صوتى او دمعة فى عينى ؟

او انى اطلق اليوم سرى ، الذى يجثم على صدرى ، لانى اريد ان استريح من همى .. ولان السر المكتوم يرهق المحبين كما يرهق المجرمين ؟

ام ان هناك شيئا آخر ، غامضا ، هو الذى يهيب بى اليوم ان اريق عواطفى لك .. او لاى كائن كان ؟

اغلب ظنى انه هذا الصباح الجميل الذى يغلبنى على كتمانى الطويل . لقد صحوت مع الفجر منذ قليل ، ففتحت نافذتى لاتلقى على كفى نداه ، كما يتلقى العابد نفحات السماء ، فاذا بى ارى الدنيا قد اغتسلت بالمطر من برد الشتاء الطويل .. ونسائم الربيع العبقة قد بدأت تترقرق فى الجو ، وتنفث فى الهواء سحرها وعطرها .. **ويلى من الربيع !.. اننى أمقته بقدرما يرق نسيمه وتتضوع ازهاره . انه يزرع فى النفوس بلبلة موجعة ، وقلقا مبهما ، وشغفا حنونا ... ثم يجىء أوان الحصاد ، فلا يحصد منا الا انينا .. ودمعا اغلى ، واقسى ، من الدم !**

اتعرف من الذين يستمتعون بالربيع ؟.. انهم ذوو القلوب الجامدة ، التى تحسن اللهو والخداع . لكن هناك ياصديقى قلوبا مرهفة ، يرهقها الحنان ، والحنين .. كهذا السرب من الفتيات اليافعات اللواتى يخطرن الآن امام نافذتى فى ثياب المدارس . هذه الوجوه التى كانت متوردة فى بداية الربيع ، ما الذى خطف لونها ، وكساها بدل النضرة صفرة وشحوبا ؟.. انه الربيع الآثم ! اننى اعرفه ، واعرف سرهن جميعا معه . باحت لى به احداهن .. واحدة مثلهن ، ذات وجه شاحب حزين .. لن يبرح خيالى !

- ٢ -

◆ **على** اثر تخصصى فى طب العيون وعودتى من اوربا فى ابان الحرب الاخيرة ، وكانت ازمة المساكن قد اشتدت ، اخذت ابحث لنفسى عن شقة فى موضع مناسب تصلح عيادة ، واخرى قريبة منها كى اتخذها مسكنا . واخيرا عرفنى احد اصدقائى بمحام كهل يملك «فيللا» فى الجيزة مكونة من جناحين ، يقطن هو واسرته جناحا منهما فقط ــ بعد ان توفيت زوجته منذ عهد قريب ــ ويريد تأجير الجناح الثانى .. فلما عرف الرجل اننى شاب اعزب اظهر ترددا ، لكنه قبل آخر الامر تحت الحاح صديقى ، وخاصة بعد ان اعانتنى الصدفة فاكتشف خلال الحديث صلة زمالة قديمة بينه وبين والدى ، رحمه الله .

واضطررت لان اقنع بتلك الشقة واتخذ منها عيادة ومسكنا فى آن واحد . وبمرور الايام توثقت العلاقة بينى وبين «محسن بك» ، وخاصة بعد ان اظهرت التجربة لى انه ، فوق نبل اخلاقه ، محدث من الطراز الممتاز .. فكنت اقضى الامسية معه احيانا بعد فراغى من العيادة ، نتجاذب الحديث ونسمر .. سواء فى شقته او شقتى .. واحيانا نتعشى سويا ثم نقضى

شطرا من السهرة فى لعبة الشطرنج ، التى كان من هواتها البارعين فعلمنى اياها .. ومع مضى الزمن احسست ان الرجل قد تعلق بى وبات يعتبرنى كابن له ، سيما وان الاقدار قد حرمته من البنين فلم ترزقه الا بابنتين ، احداهما كانت فى السابعة من عمرها والاخرى فى الثالثة عشرة ..

وكانت الكبرى (ليلى) شديدة الشغف بالمطالعة ، فكانت تجيئنى احيانا لتستعير او ترد مجلة او كتابا .. او لتقلب مجموعة المجلات القديمة المجلدة التى تزخر بها مكتبتى .. فكنت اتركها منفردة فى غرفة مكتبى واتفرغ لشئون مرضاى ، او اجلس معها قليلا بعد موعد العيادة لكى ارشدها الى ما تناسبها مطالعته ، وما يعالج حالتها النفسية بالذات ، **فقد كانت اميل الى الكآبة والوجوم ـ او من ذوات (المزاج السوداوى) كما يقول علماء النفس ـ ففسرت ذلك بأنه ناتج من حساسيتها الشديدة وشعورها المبالغ فيه بضمور جسمها وضآلة نصيبها من جمال الوجه وفتنة الانوثة الباكرة .. وان كان وجهها الحزين المعبر وعيناها الساهمتان قد اضفت عليها لونا خاصا من الجمال «النفسى» اعجبنى ، واثار فى نوعا من الاشفاق عليها والاهتمام بامرها** .. ولحظت هى منى ذلك فبدأت تتبسط معى ، الى حد ابداء رأيها فى انتقاء ثيابى ولون رباط الرقبة الذى ارتديه !.. وفى الليالى التى كنت اقضى فيها السهرة مع ابيها بين حين واخر كانت تدخل لتحضر له شيئا طلبه او تسأله فى امر ، فتنتهز الفرصة وتبقى معنا فى الصالون بعض الوقت .. حتى ينبهها ابوها الى ان ساعة النوم قد حانت ، فيتورد وجهها خجلا من معاملته اياها كطفلة ، ثم تنصرف مكرهة وهى تتعثر فى مشيتها ، بعد ان تتبادل ووالدها قبلة المساء ..

◆ **وجاء** يوم عيد ميلادها ، الرابع عشر ، فاقام محسن بك لهذه المناسبة حفلة دعانى اليها ، ودعت هى عددا من جاراتها

وزميلاتها ومعلمات مدرستها . وخلال الحفلة إهدتها احدى صويحباتها دفتر «أوتوجراف» لجمع التذكارات والامضاءات، فدارت به علينا كي يخط كل منا فيه ما يعن له .. ولست ادرى اى شيطان املى على لحظتها ان اكتب لها هذه العبارة: «.. وانت على عتبة الانوثة ، اتمنى لك النجاة من خطرين: الربيع ، والاحلام ! ».. فلم تكد تقرأها حتى تورد وجهها ، وألم بها ارتباك مفاجيء حاولت ان تخفيه فزادته المحاولة وضوحا !.. وكان الاثر المباشر لذلك انها حرصت بقية السهرة على تجنب الاقتراب منى او ترك بصرها يلتقى ببصرى . **ولا ادرى لماذا احسست ازاء مسلكها هذا بشيء من النشوة ، اغلب الظن انها نشوة الزهو الذى يتملك الرجل دائما كلما احس بان كلمة او نظرة منه قد نفذت الى قلب عذراء !..** على اننى لم البث ان شكرت لها فى نفسى ابتعادها عنى ، فقد اتاح لى فرصة التحدث فى خلوة طويلة مع حسناء رائعة كانت ليلى قد عرفتنى بها فى بداية الحفلة بوصف انها «معلمة البيانو» فى مدرستها ، فلم اشعر ألا وقد انقضت السهرة وانا غارق فى نشوة فتنة «عايدة» وعذوبة شخصيتها ، وليس فى ذهنى غير شاغل واحد ، هو تدبير الحيلة التى تمكننى من ان القاها مرة اخرى !

لكن حيرتى لم تطل ، فقد تكفلت ليلى بايجاد الحل .. لم تكد الغريرة ترانى أنصت باعجاب الى مقطوعة عزفتها عايدة فى تلك الليلة ، وتأنس منى ميلا وتذوقا للموسيقى ، حتى رايتها تهرع الى ابيها فى اليوم التالى طالبة موافقته على أن تتلقى دروسا فى البيانو .. على يد «أبله» عايده !

يا للمسكينة ، كيف خانتها انوثتها الى هذا الحد ، فلم تدرك مغزى تحمسى يومئذ لفكرتها تلك ، او الدافع الذى جعلنى احرص فيما بعد على «ملازمتها» فى الغالب كلما حضرت

عايده لتعطيها درسا ، مفسرا ذلك بفرط شغفى بالموسيقى ، والبيانو بالذات ؟!

ثم كيف خانتها فطنة الانثى الفطرية فلم تلحظ النظرات الناعمة التى صرت اتبادلها مع عايدة ـ والتى كانت تزداد نعومة كل يوم ! ـ واللمسات الخفيفة التى كانت اصابعنا تلتقى فيها ، كأنما عفوا ، فوق اصابع البيانو .. والكلمات الرقيقة التى حرص كلانا على اخفاء معانيها الملتوية فى قالب من الفاظ الكياسة ومقتضيات «الاتيكيت» ؟!.. وكيف امكن ان يصم قلب الفتاة المرهف عن التقاط موجات العاطفة الجارفة التى سرت بين قلب عايدة وقلبى ، وقد غدا كلاهما جهازا نابضا للارسال والاستقبال فى آن معا !؟

بل كيف امكن ان يعمى قلبى انا عن ان يلحظ اعراض العلة الخبيثة التى كانت تنسج خيوطها حول قلب الصبية طوال تلك الشهور ، والهوى الخاسر الذى كانت المسكينة سادرة فيه ؟

انى لاتبين الآن جواب ذلك كله : لقد غفل كلانا عن ادراك هذا التشابك المعقد لسبب واحد بسيط ، هو ان كلانا كان طائرا فى سمائه ، كلانا كان يبكى على ليلاه ، فلم يتنبه لشىء ..

.. حتى اقبل الربيع !

◆ **نعم** .. فلقد اقبل الربيع ياصديقى ! والربيع حين يقبل تطيب الحياة ، وتنتشى الاجسام ، وتثمل الارواح بخمر عجيبة .. هى مزيج من نسائم الفجر ، وانفاس الزهر ، وندى السماء ..

أقبل الربيع متلصصا على قلب ليلى ، الأعزل من كل قدرة على المقاومة ! وكما يجد المرض مرتعا خصبا فى الاجسام التى انهكها الجوع ونقص التغذية ، وجد الحب فى قلب الصبية الجائع مرتعه .. فسرى فيه سريان النار فى الهشيم . وسرعان

ما أسفر هواها فى عينيها ، فشب فيهما لهب وهاج ، وتبدلت كآبتها بهجة .. وانكسارها مرحا ولهوا وغناء .. يملأ الفضاء ! صارت تصدح باغانى الموسم الشائعة ليل نهار ، فى غرفتها ، وفى الشارع ، والحمام .. او وهى جالسة الى البيانو تعزف وتغنى وتضحك ، ثم تقفز من المقعد فجأة فى منتصف المقطوعة كى تقف فى الشرفة المواجهة لى ، كأنما تنتظر منى كلمة اعجاب او ثنـــاء !

وفى الصباح الباكر كانت تهبط الى الحديقة نشطة كى تقطف لى باقة من الازهار الجميلة التى تعرف ولعى بها ، وتوزعها على اصص البيت ، بعد ان ترشق واحدة فى عروة سترتى .. ثم تمضى الى مدرستها والدنيا لا تسعها من فرط الانشراح !

وكما اصاب التبدل نفسيتها ، نفث ايضا خميرته فى خلايا جسمها .. فاذا الجسد الضامر قد استطال وامتلأ ، ودبت فيه الانوثة دبيبا قويا .. والوجنتان الباهتتان قد اضطرمت فيهما النار .. والعينان الساهمتان قد افعمتا بنظرات يقظة ساخنة بت احسها تحوطنى وترعـانى ، وتتبعنى فى غدوى ورواحى ، فى اخلاص الكلب الامين !

ثم بدأت اتنبه الى ظاهرة غريبة . صرت اكتشف كل حين اختفاء اشياء صغيرة تافهة من مسكنى : اولهـا صورة فوتوغرافية ، فمنديل حريرى ، ثم « فردة » واحدة من ازرار القميص الرخيصة .. الخ . فايقنت ان الخيال قد شطح بالمسكينة شطحة بعيدة ، وانها مندفعة فى تيار وخيم العاقبة !

على ان الذى اثار قلقى جديا ان الانوثة التى ايقظت فى الفتاة عواطفها لم ترحمها ايضا من نزواتها ، فاسلمتها لعاصفة من الغيرة الهوجاء كنت ضحيتها انا ، وكل مريضة انيقـة تدخل عيادتى ، او قريبة تجىء يوما لزيارتى ! صرت كثيرا



ماافاجيء شبح ليلى وهى ترقبنا بعينيها من وراء خصاص نافذتها المغلقة ، التى لا يفصلها عن نافذة عيادتى المفتوحةسوى «منور» ضيق !.. وذات يوم جرؤت فسألتنى عن احدى «زائراتى»، ومن تكون ؟ فلم أجد مفرا من الزعم لها بانها أحدى قريباتى ، لكى لا اثير خيالها البكر ، فاطرقت برهة ثم قالت والحسرة تبلل صوتها «ياالهى ، لكم هى جميلة !» .. فوجدتنى نهبا لحيرة مريرة ، بين اشفاقى الذى يغرينى بالتسرية عنها بكلمة اطراء ، وبين خشيتى أن تفسر اطرائى بأنه استجابة منى لعاطفتها نحوى !.. فخرجت من هذا الموقف وقد ازددت اهتماما بالبحث عن مخرج سريع من تلك الحال ، ولكن فى غير عنف يصدم عواطف الفتاة صدمة قاسية !

❖

◆ **لكن المحظور** قد وقع .. وعلى اسوأ صورة !

اقترب يوم «شم النسيم» فاقترح محسن بك ان نحتفل به فى القناطر الخيرية . ورحبت انا بالفكرة بعد ان فهمت ان «عايده» ستذهب مع الاسرة ضمن لفيف من الصديقات ـ وكانت قد غدت فى حكم خطيبتى بعد ان تفاهمنا سرا على الزواج !

وفى فجر عيد الربيع مضت بنا الباخرة النيلية تهدهدها امواج النهر الخفيفة اللينة ، وكانها تعلو وتهبط على خفقات

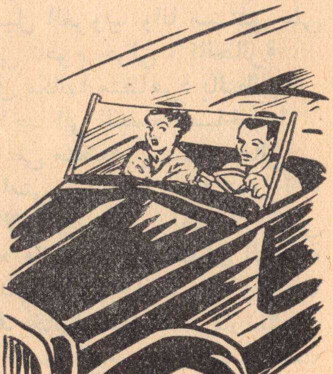
صدر ناهد لحسناء ، او جنية من عرائس الماء .. وخلال الطريق اختلست فرصة انشغال القوم فى لعبة مسلية وانسرقت مع عايدة الى الطرف الاخر من الباخرة ، حيث انحنينا على الحاجز الحديدى ، نطل على الماء والمروج الخضراء ، ونعب جرعات منعشة من الهواء .. **ولا ادرى كيف استخفتني عذوبة النسيم ، وجمال الشروق ، فلم اعبأ بمن قد يرانا – او لعلنى نسيت ان فى الكون سوانا ! – فضممت خطيبتى الى صدرى ، وغبنا فى قبلة طويلة .. قبلة لم افق منها الا حين فتحت عينى على نظرة انزعاج مفاجئة ومضت فجأة فى عينى عايدة ، ثم همست لى وهى تنفلت من بين ذراعى : «ليلى قد رأتنا !» .. فاستدرت مسرعا .. ولكن المسكينة كانت قد توارت !**

وكما يحس المجرم الذى ارتكب اثما ، احسست انا يومئذ وانا اواجه ليلى بعد حين !.. وخاصة عندما تبينت شدة وقع الصدمة فى نفسها ، والشحوب المخيف الذى اعتراها . وطوال اليوم ظل ذلك الحادث يلقى ظله الثقيل على ثلاثتنا كسحابة قاتمة انعقدت فجأة فى الجو فكدرت من صفو نزهتنا. وفيما كانت الباخرة عائدة بنا قبيل الغروب وانا مستلق على مقعد طويل ، منفردا ، لحظت ليلى تحوم حولى ، كالحائرة .. تقترب خطوات ثم تجفل فتقف فى مكانها متظاهرة بالتطلع الى الماء لحظات .. قبل أن تعود ادراجها الى الجمع الصاخب !.. واخيرا حزمت شجاعتها واقبلت على متكلفة ابتسامة خائرة . ثم ابتدرتنى بهذا السؤال : « وامتى نبارك لك يادكتور ؟ » فاجبتها ، كاذبا ، باننى لم افكر فى الامر جديا .. ولكنها لاحقتنى فى أصرار : «ازاى ، دى ابله عايده قالت لى دلوقت ان الخطبة بعد اسبوعين !» .. واسقط فى يدى ، فلم اجد سوى ان اربت على ذراعها ، مواسيا .. وعندئذ خانها تجلدها ، فارتعشت شفتاها وهى تنظر الى بعينين ترطبهما الدموع .. ثم انطلقت لا تلوى على شىء !

❖

◆ **ومضى** بعد ذلك اسبوع لم ارها فيه او يقع بصرى على ظلها فى البيت او وراء خصاص النافذة ، اذ افلحت فى ان تتجنبنى وتختفى من محيطى تماما . لكنى كنت اعود احيانا فى ساعة متأخرة من الليل فالمح نور غرفتها ما يزال مضاء ، ويخيل الى انى اسمع صوت نشيج مكتوم ! على اننى حاولت الا القى بالا الى الامر ، سيما وقد كنت منشغلا فى اعداد معدات الخطبة . **بل لا اكتمك انى نسيت الصبية فى غمار سعادتى بخطيبتى .. فان السعادة يا صديقى تجعلنا انانيين ، وتخلق من قلوبنا احجارا اقسى واصلب من الصوان !**

لكن ليلى جاءتنى اخيرا فى نهاية الاسبوع ، تطرق بابى لتسألنى ان احملها معى فى سيارتى الى شارع فؤاد الاول ، كى تبتاع بعض اشياء .. فلم يكد بصرى يقع عليها حتى هالنى ما اصابها من نحول فى الاسبوع الذى احتجبته ، فسألتها ان كانت تشكو مرضا .. لكنها اجابت فى صوت خائر : «ابدا ، بس الامتحان قرب وباسهر كتير فى المذاكرة ..» وكنت اعلم انها تكذب ، لكننى اغضيت !



ومضت بنا السيارة ، حتى خلفنا شارع الجيزة العمومى وانحرفنا الى طريق الجزيرة الساكن ، فمالت ليلى فى مقعدها الى الوراء ، وهى تتمطى وتملأ رئتيها من النسيم المعطر ..

ثم سألتني ان اضاعف من سرعة السيارة كى نستمتع بعذوبة الهواء ، فأجبتها الى طلبها .. وانى لاذكر الان انى فاجأت عينيها لحظتئذ تختلسان النظر الى ، وفيهما نظرة غامضة زائغة لم اعبأ بها اذ ذاك ، فقد استغرقنى اريج الحدائق المجاورة فشردت فى وديان الاحلام السعيدة التى كانت تملأ رأسى .. وفجأة ــ آه ، ان قلمى ليرتجف الان وانا استعيد ذكرى تلك اللحظة المشئومة ــ فجأة احسست بهزة عنيفة .. واذا بباب سيارتى المجاور لليلى مفتوح يتأرجح بشدة .. ومقعدها خال منها !!

وكان عسيرا على ان ادرك حقيقة ما حدث قبل لحظات خاطفة ، اوقفت فيها السيارة ثم عدت بها مسرعا بضعة امتار .. الى حيث كانت ليلى ملقاة على الرصيف الحجرى الذى تخيرته لتنفيذ فكرتها الجنونية !

وكان الدم ينزف من فمها .. فلم اكد ارفع رأسها فى رفق ، على ذراعى ، حتى فتحت اجفانها بعد جهد كبير .. فلما رأتنى اغتصبت من قواها الخائرة شبه ابتسامة ، ثم سبحت عيناها فى الدمع وهى تبذل محاولة يائسة كى تتكلم .. فأدنيت وجهى منها ، واذا هى تهمس فى حشرجة متقطعة باكية «مجدى !.. قبلنى ، قبلة واحدة .. اخيرة !» .. فانحنيت بفمى نحوها ودموعى تتساقط على وجهها ، واختلجت شفتاها تحت شفتى اختلاجة قصيرة ، كالطائر المذبوح .. ثم سكنتا !

❖

◆ **وحين** عدت الى سيارتى وجدت على مقعدها مظروفا صغيرا ، باسمى ، لم اكد افتحه حتى تساقط منه منديل حريرى ، وازرار قميص ، واشياء صغيرة اخرى لا اذكرها . ووجدت صورتى الشمسية المفقودة فى قلب خطاب قصير ، تشرح لى فيه التعسة كل شىء !

- ٣ -

◆ **وها** انت ذا ترانى اليوم يا صديقى ، بعد سنوات ، اعيش طاويا قلبى على مأساتى الدامية ، زاهدا فى ان افتحه لحب جديد .. او لعلنى عاجز ـ بعد ان خبرت عاطفة ليلى ـ عن هضم العواطف الرخيصة التى اصادفها فى غيرها من النساء !

اما «عايده» ، فقد كان ذلك الحادث آخر ما بينى وبينها .. لا لذنب جنته ، وانما لفرط احساسى بان اخدودا عميقا قد فغر فاه فجأة بين اقدامنا .. ففصل بيننا الى الابد ! اخدودا من التشاؤم المخيف الذى كان يجعلنى اجفل واتراجع كلما هممت بأن اعبر الى سعادتى فوق جثة ضحيتى .. التى احبتنى ، وماتت من اجلى .. ذات ربيع !

❖

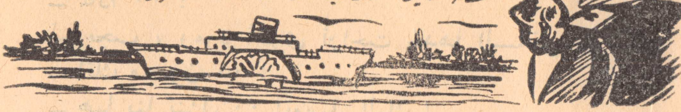
◆ **نعم** .. « ذات ربيع ! » .. فلن انسى ما حييت ان هذا الآثم هو المسئول عن كل ما حدث .. هو الذى فض بأنامله الرقيقة غلاف قلب الصبية وسكب فيه سمه الزعاف : احلامه واهواءه ، ونجواه !.. وهو الذى سرق من اجفانها النعاس ، ومن وجنتيها الحمرة ، ومن ثغرها دمه !

فحيثما صادفت يا صديقى عذارى شاحبات ، ذوات عيون ذابلة ، فاعلم ان ساحر الطبيعة قد مسهن بعصاه .. فخلف فى كل قلب جرحا ، وفى كل عين دمعا ، وفى كل فم مرا .. وفى كل نفس صداه !

وحيثما صادفت ربيعا ، يشيع فى الكون شذاه ، وينثر الطعم لضحاياه .. فلا تنس ان توصيه بهن ! قل له ان يترفق .. بالقلوب الغضة !

ضربة شمس !

قصة قصيرة للكاتب الروسي المعاصر " إيفان بونين "



- ١ -

◆ **كانا** قد فرغا من تناول العشاء ٠٠ فتركا قاعة المائدة الباهرة الاضواء وخرجا الى ظهر السفينة، حيث اتكآ بمرفقيهما على سياجها ، وجعلا يتأملان البحر الاسود العميق ٠٠

وأغمضت هى عينيها ، وأراحت خدها على كفها وضحكت ، ضحكة ساحرة لا يفسدها التكلف ٠٠ ثم قالت :

ـ انى ثملة ٠٠ أو لعلنى قد فقدت عقلى ! ٠٠ من أى سماء هبطت الى ؟ ٠٠ منذ ثلاث ساعات فقط لم أكن أحس لك وجودا، بل انى لا أعلم من أى ميناء صعدت الى السفينة ٠٠ أكان ذلك فى « سمارا » ؟ على أية حال هذا لا يهمنى ياعزيزى ٠٠ أحس برأسى يدور، كأنى فى دوامة ـ أم ترى هى السفينة التى تدور؟!

كان أمامهما ظلام ، ووراءه أنوار ٠٠ ومن الظلام هبت على وجهيهما نسمات قوية ناعمة ، بينما مرقت الى جوارهما الانوار ٠٠ كانت السفينة تدور حول نفسها فى عرض الفولجا ، وهى تقترب من مرساها ٠٠ فتناول الضابط يد المرأة، ورفعها الى شفتيه ٠ كانت بشرة اليد الصغيرة الخمرية تحمل طابع وأثر حمامات الشمس والصيف ٠٠ فقفز قلبه بين ضلوعه ، **نشوة وأسى ، وهو يتصور ان تحت هذا الثوب من التيل الخفيف جسدا دافئا مدبوغا بسمرة شمس الجنوب بعد حمامات شهر كامل فوق رمال البحر الساخنة !**

وغمغم الضابط : « هيا بنا ٠٠ »
فسألته فى دهشة : « الى أين ؟ »
ـ ننزل ٠٠
ـ لماذا ٠٠ ؟
لم يجب ، ومرة أخرى أراحت خدها الساخن على كفها :
ـ انك مجنون ٠٠ !
ـ هيا بنا ننزل ٠٠ أتوسل اليك !
ـ ٠٠٠٠٠

٠٠واصطدمت السفينة بالرصيف ذى الضوء الخافت ، صدمة أحدثت صوتا مكتوما ٠٠ فارتمى صاحبانا كلاهما على الآخر ، عن غير قصد ! ٠٠ وتطاير طرف سلك من أسلاك السفينة فمرق فوق رأسيهما ، ثم تراجعت الباخرة الصغيرة الى الوراء قليلا ، واصطفقت عند مؤخرها أمواج النهر وتطاير رشاشها ٠٠ وصلصلت سلاسل « السقالة » وهى تطرح بين البحر والبر ٠٠ فمضى « الضابط » ليأتى بالحقائب

وانتهت بهما السقالة الى خيمة المرسى المتداعية ٠ ثم وجدا أقدامهما تغوص فى الرمال ٠٠ وصعدا صامتين الى عربة حنطور يكسوها الغبار ، فألهب الحوذى جواديه بالسياط ٠٠ ومضت العربة تتسلق بهما الطريق الصاعد ، الذى تتخلله على مسافات متباعدة أعمدة المصابيح المائلة ، ويغطى أرضه التراب الناعم٠٠

وبدا الطريق طويلا ، لا نهاية له ٠٠ وأخيرا بلغت العربة القمة ، فدرجت فوق شارع مرصوف ، يفضى الى ميدان عامر ببعض الابنية الحكومية ، وببرج عال به جرس ٠٠ وكان يخيم على الميدان جو ليلة من ليالى الصيف فى بلدة من بلاد الاقاليم !

وتوقفت العربة أمام مدخل مضاء ، تبدو فى داخله من خلال الابواب المفتوحة على مصاريعها سلم خشبية تقود الى الطابق الثانى للفندق ٠ وأقبل خادم مسن لم يحلق لحيته ، يرتدى سترة

«فراك» سوداء وقميصا «قرنفلى» اللون ، فحمل حقائب القادمين — فى شىء من التأفف ! — وتقدمهما الى احدى الغرف يجر ساقيه المتعبتين ..

كانت الغرفة فسيحة ، لكن هواءها خانق ، ما يزال يحتفظ بحرارة شمس النهار .. وعلى نوافذها ستائر بيضاء ، وفى أحد أركانها مشجب بمرآة ، وشمعدانان يبدو من هيئتهما أنهما لا يستعملان ..

ولم تكد الغرفة تحتوى نزيليها ، والخادم يغلق عليهما الباب، حتى اندفع الضابط نحو مرافقته فى شوق .. وغاب الاثنان فى قبلة نشوى ، شهية وموجعة معا ، لم يذق أحدهما شبيهة لها من قبل ! .. قبلة لن تتبدد ذكراها من حواسهما أبد الدهر !

- ٢ -

◆ **وفى** الساعة العاشرة من صبيحة اليوم التالى وقف يودعها عند الباب .. كان الطقس حارا ، وأجراس الكنائس تدق فى كل مكان ، وطنين الباعة يملأ السوق المواجهة للفندق ، ورائحة التبن والقار تفوح فى الهواء مختلطة بغيرها من الروائح التقليدية لكل مدن الاقاليم الروسية ..

وقف يودعها ، لتستأنف رحلتها بالسفينة دونه .. من غير أن تبوح له باسمها !

— يمكنك أن تدعونى «الحسناء المجهولة» وكفى .. !

وضحكت ومضت ، وحدها !

انهما لم يقضيا فى النوم غير وقت ضئيل .. وحين نهضت بادرت بالاختفاء وراء الستارة التى تفصل بين قسمى الحجرة ، برهة لا تزيد على دقائق .. عادت اليه بعدها وقد اغتسلت وارتدت ثوبها وازينت ، فبدت أشبه بعذراء فى السابعة عشرة !
.. ولم يبد عليها شىء من الارتباك ، كانت كالعهد بها مرحة

تتحرك وتتصرف فى بساطة طبيعية ٠٠ وعندما اقترح عليها أن يستأنفا الرحلة سويا ، أجابته فى حزم :

ــ كلا ، كلا ٠٠ بل تظل أنت هنا حتى وصول السفينة التالية ٠٠ فلو أكملنا الرحلة معا لفسد كل شيء ، وأنا لا أريد هذا ٠٠ أرجوك أن تصدقنى ، انى لست المرأة التى أوحت اليك بها تصرفاتى ٠٠ وكل الذى حدث هنا لم يحدث قط من قبل ، ولن يحدث مرة أخرى ! ٠٠ لكأن غاشية أصابتنى ٠٠ أو لعلها « ضربة شمس » قد أصابت كلينا !

وأذعن لمشيئتها ، وان كان قد رافقها فى العربة الى المرسى ٠٠ فوصلا والسفينة توشك أن تتحرك ٠٠ وعلى ظهرها ودعها بقبلة أخيرة ، أمام المسافرين ، ثم قفز الى البر فى اللحظة الاخيرة ٠٠

وعاد الى الفندق ، وحيدا ٠٠ فوجد شيئا فيه قد تغير ! ٠٠ ان الغرفة بغيرها لا معنى لها ٠٠ انها ما تزال تحتويها ، وهى فى الوقت نفسه فارغة ! ٠٠ انه لامر غريب حقا ٠٠ ما يزال عطرها النفاذ يملأ الهواء ، وعلى المنضدة قدح الشاى الذى لم تتمه ٠٠ ومع ذلك فهى لم تعد هناك ! ٠٠ وانتابت قلب الضابط فجأة اختلاجة شوق وحنين ، فأسرع الى سيجارة يشعلها ويدخنها فى نهم عصبى ، ثم مضى يذرع الغرفة ذهابا وجيئة وهو يضرب حذاءه الطويل بعصاه !

وقال لنفسه ، بصوت مسموع ، وهو يضحك ويحس فى الوقت نفسه بالدموع فى عينيه : « يا لها من مغامرة ، غريبة حقا ! » ٠٠ وعادت الى سمعه كلماتها : « انى لست بالمرأة التى أوحت اليك بها تصرفاتى ٠٠ أرجو منك أن تصدقنى ! » ٠٠ والآن : هاهى قد ذهبت ، ولم يبق منها شىء ٠٠ يالها من امرأة !

وأزاح الستارة التى تحجب الفراش ٠ ان أحدا لم يصلحه بعد ٠٠ وأحس أنه لا يملك الشجاعة على أن ينظر الى الفراش الذى شهد ليلتهما الليلاء ! ٠٠ فأعاد الستارة كما كانت ، وأغلق

النافذة ، كى لا يبلغه طنين الباعة فى السوق ، وقرقعة العجلات والعربات ٠٠ ثم أرخى ستائر النافذة البيضاء ٠٠ وتهالك على « الشيزلونج » !

اذن فتلك هى نهاية ذلك اللقاء العابر ؟ ٠٠ انها قد ابتعدت، وصارت تفصل بينهما مسافات طائلة ٠٠ ولابد أنها الآن جالسة فى الصالون الابيض الزجاجى ، أو على ظهر السفينة ، تتأمل انعكاسات الشمس على مياه النهر ، وتنظر الى القوارب الصغيرة المتناثرة على صفحته ، والشطئان الرملية الصفراء ، وانطباق الماء والسماء عند الافق ٠٠ ومجرى الفولجا العريض الممتد الى مدى البصر ٠٠ اذن فوداعا أيتها المرأة الى الابد !

وأطرق مفكرا : « لن أستطيع على أية حال أن أزور المدينة التى يقيم فيها زوجها ، وطفلتها البالغة من العمر ثلاثة أعوام ، وبقية أفراد أسرتها ٠٠ حيث تعيش هى حياتها العادية الرتيبة ٠٠ كلا ، لن أستطيع ! » ٠٠ وبدت تلك المدينة فجأة لخياله كأنها فريدة فى نوعها ، أو كأنها مدينة محرمة ! ٠٠ وصعقته فكرة أن حسناءه المجهولة سوف تستأنف حياتها الموحشة فيها، وانها قد تذكره بين الحين والآخر، وتذكر لقاءهما القصير الامد! ٠٠ تذكره هو ولا تراه ، وتذكر لقاءهما فلا تملك أن تستعيده ٠٠ وهو أيضا لن يملك أن يراها ٠٠ أبدا ، فى أى يوم من الايام ٠٠ ياللهول ! ٠٠ كلا ، هذا لايمكن أن يحدث !٠ لكن الامر كله كان فى الواقع غريبا ، غير طبيعى ، ولا معقول ! ٠٠ وانتابه شعور قوى بالاسى ، وبأن حياته فى المستقبل لن تكون الا معتمة، عقيمة ، لا طعم لها ٠٠ فانقبض قلبه رعبا ، ويأسا !

ونهض ، وعاد يذرع الغرفة من جديد ، محاولا جهده أن يتجنب وقوع بصره على الفراش ٠٠ وهتف بنفسه فى غيظ :

ــ ياللشيطان ! ٠٠ ماذا دهانى ؟ ٠٠ من كان يصدق انها المرة الاولى التى أراها فيها ، ومع ذلك ٠٠ يحدث هذا ؟ ولكن

ما الذى حدث بالضبط ؟ ٠٠ حقا أن الامر كله يبدو لى كأنما قد أصابتنى « ضربة شمس » ! ٠٠ كيف أقضى اليوم كله فى هذه البلدة الكئيبة ٠٠ بغيرها ؟

وعادت المرأة الى ذاكرته بكل حدة ، وبأدق دقائقها ! ٠٠ تذكر بشرتها التى لوحتها الشمس ، وثوبها المصنوع من التيل الخفيف ، وجسدها البض ٠٠ ثم جرس صوتها المرح النابض بالحياة ٠٠ وحركاتها الدالة على انها لم تنعم بمباهج أنوثتها ، الا أخيرا ! ٠٠ ومع ذلك فان الشىء الرئيسى الجديد بالتفكير ، والذى لم يكن يخطر له على بال حين جمعهما هذا التعارف « العابر » ـ كما حسب فى البداية ـ هو : كيف يقضى بقية اليوم الطويل الذى يبدو بلا نهاية ، فى هذا المكان اللعين الحافل بالذكريات الموجعة ، التى لا تحتمل ! ٠٠ المكان المطل على النهر ذاته الذى حملتها مياهه بعيدا عنه ٠٠ الى الابد !

٠٠ لابد من شىء ينقذه من نفسه ، شىء يشغله عن التفكير فيها ! ٠٠ لا بد من تسلية تلهيه عن هذا الموضوع ، أو نزهة تقتل بعض ساعات هذا اليوم ٠٠ وقر عزمه على الخروج ، فوضع قبعته على رأسه ومضى بخطوات جادة عبر الممر الطويل ، ومهمازاه يصطكان فى كل خطوة فيحدثان صوتا أشبه بالصليل ٠٠ ثم هبط السلم مسرعا ، ووقف أمام مدخل الفندق حائرا : الى أين يذهب ؟ ٠٠ وكانت أمام الباب عربة تربع فوقها حوذى شاب فى ثياب ريفية ، يدخن غليونه فى هدوء ، وينتظر راكبا ٠٠ فحدجه الضابط بنظرة استغراب شذراء : **كيف يمكن لمخلوق ما أن يجلس فوق مقعد العربة هكذا ويدخن فى هدوء وعدم مبالاة ، ويبدو كمن لا هموم البتة لديه ؟ ٠٠ « يخيل الى انى التعس الوحيد المعذب فى هذه البلدة كلها ! »**

ومضى فى اتجاه السوق ٠٠

كانت السوق فسيحة ، يزدحم فى أرجائها الباعة والعربات

٠٠ فوطأ بقدميه سهوا بعض السلال المتناثرة على الارض ، بين عربات « الخيار » والخضروات والاوانى النحاسية الجديدة ٠٠ وكان بعض النسوة قد افترشن الارض ورحن يقرعن أوانيهـن بأصابعهن متنافسات على لفت نظره الى بضاعتهن ، وعلى اثبات جودتها ٠٠

وضايقته هذه السخافات ، ففر من السوق مشمئزا ٠٠ وصادفته كنيسة ، فدخلها ٠٠ كان المصلون يرتلون ترانيمهم بصوت مرتفع ، فى بشر وحماسة ، كمن يدركون انهم يؤدون فريضة مقدسة ٠٠ ثم خرج يخب فى الطرقات ، تحت الشمس المحرقة ، حتى بلغ حديقة صغيرة مهجورة ، على سفح تل ، تطل على النهر العريض بكل جلاله وبريق مياهه ، الشبيه ببريـق المعدن المصقول ٠٠ فدخلها ومضى يتجـول فى ممراتها ٠٠ وألهبت حرارة الشمس أزرار سترته الصيفية البيضـاء ، والشارة النحاسية التى على كلا كتفيه ، والدالة على رتبته ، حتى صارت سخونتها تلسع أصابعه كلما لمسها عفوا ٠٠ وابتل الشريط الداخلى لقبعته من غزارة العرق ، واحمر وجهه من شدة الحر ٠٠

فلما عاد الى الفندق سره أن يجد لنفسه ملجأ رطبا باردا فى غرفة المائدة الفسيحة الفارغة ٠٠ فخلع قبعته وجلس الى مائدة صغيرة بجوار نافذة مفتوحة ، وطلب حساء مثلجا ٠٠ ثم شرب بضعة أقداح من (الفودكا) وتناول بضع شرائح من « الخيار المخلل » ٠٠ **وأحس أنه على أتم استعداد لان يموت غدا ، لو أتيح له فقط ـ بفعل معجزة من المعجزات ـ أن يقضى هذا اليوم هنا ٠٠ معها ! وان يجد الفرصة كى يشرح لها ، ويثبت لها ، حبه العظيم ٠٠ ولكن ما الذى يدفعه الى اثبات حبه لها ، واقناعها بقوته ؟ ٠٠ انه لا يعلم ! ٠٠ كل ما يعلمه ان ذلك يبدو فى نظره أهم من الحياة ذاتها !**

وهمس لنفسه وهو يصب فى قدحه الكأس الخامسة من الفودكا : « ان أعصابى تدغدغنى ! » ٠٠ ثم أجهز على محتويات الزجاجة كلها ، آملا أن يعينه الثمل على النسيان ، ويريحه من عذابه الشبيه بعذاب الاحتضار ٠٠ لكن النتيجة جاءت عكسية، فقد ضاعفت الخمر من حدة عذابه !

ودفع عنه طبق الحساء البارد ، وطلب قدحا من القهوة السوداء ٠٠ ثم بدأ يدخن ، وقد اعتزم أن يهتدى حتما الى وسيلة تحرره من أسر حبه العنيف المباغت ٠٠ لكنه أحس ـ بكل ما فى الاحساس من حـدة ـ أن التحـــرر من ذلك الحب ضرب من المستحيل !٠٠ وفجأة نهض واقفا ، بحركة سريعة ، وتناول قبعته وعصاه ، ثم سأل عن مكتب البريد ٠٠ ومضى فى اتجاهه مسرعا ، وهو يدير فى رأسه صيغة برقية ينوى أن يرسلها : « حياتى حتى الموت قد غدت ملك يمينك، تفعلين بها ماتشائين!»

لكنه لم يكد يبلغ المبنى ذا الجدران السميكة الذى يضم مكتبى البريد والتلغراف ، حتى توقف مصعوقا : انه يعرف المدينة التى تعيش فيها ، ويعرف أن لها زوجا وطفلة فى الثالثة ٠٠ لكنه لا يعرف اسمها ، ولا اسم زوجها ! ٠٠ وكم من مرة خلال الليلة سألها عن الاسمين ، فكانت تضحك فى كل مرة وتقول :

ـ لماذا تريد أن تعرف من أنا ؟ هب انى أدعى « ماريا جرين » ملكة بلاد الجن ٠٠ أو فأطلق على ببساطة « الحسناء المجهولة » ٠٠ ألا يكفيك هذا ؟

٠٠ وكانت فى ناصية الشارع بجوار مكتب البريد واجهة مصور فوتوغرافى ٠٠ رأى فيها صورة كبيرة لضابط عريض المنكبين، منتفخ العينين ، منخفض الجبهة ، ذى شارب ضخم كث وصدر عريض مزين بالنياشين ٠٠٠ ياللسخف والغباء ٠٠ ونقل بصره الى عريس وعروس ، شاب يرتدى الفراك السوداء ،

ورباط الرقبة الابيض ، وقد تعلقت بذراعه عروسه ، فى ثياب العرس البيضاء ٠٠ ثم انتقلت عيناه برغمه الى صورة ثالثة ، لفتاة جميلة القسمات ترتدى قبعة المدرسة على رأسها ٠٠وانتابه شعور قوى بالحقد والحسد لهؤلاء السعداء الغرباء جميعا ، هذه المخلوقات البشرية « غير المعذبة » ! ٠٠ لماذا يتعذب هو وحده « بضربة الشمس » الرهيبة هذه ٠٠ بهذا الحب العارم ٠٠ بهذه السعادة الجارفة ؟

واستدار الى الشارع ، ووقف حائرا : « أين يمكن أن أذهب؟ ماذا يمكن أن أفعل ؟ » ٠٠ هذا هو السؤال الذى ما يفتأ يلح على ذهنه ونفسه ، ويرهقهما ٠٠ السؤال الذى لا جواب عليه ! »

— ٣ —

◆ **وعاد** الى فندقه منهوك القوى، يمزقه الاعياء ، كأنما قد عاد لتوه من رحلة شاقة فى التركستان ، أو فى الصحراء !٠٠ وبعد أن جمع بقايا قوته وشجاعته، دخل غرفته الفسيحة٠٠ الموحشة! كانت الغرفة قد نظفت ، وأزيلت منها «آثارها» ! ٠٠ عدا «دبوس شعر » صغير ، نسيته ولا شك ، كان راقدا فوق «الكومودينو» المجاور للفراش !

خلع سترته ، ونظر الى وجهه فى المرآة ٠٠ كان وجها داكنا قد أحرقته الشمس ، فبدا شاربه وعيناه بالقياس الى بشرته أميل الى البياض ٠٠ وكان فى نظرته تعبير انسان ذاهل ، مجنون ! ٠٠ ثم ما لبث أن تراجع عن المرآة وتمدد على الفراش، على ظهره ، ورفع قدميه بحذائيهما المكسوين بالتراب على حافة السرير ٠٠ وكانت النوافذ مفتوحة ، والستائر مسدلة ، فكان الهواء يملأها من حين لآخر فتنتفخ ٠٠ وتحمل الى داخل الغرفة رائحة القيظ والرطوبة المكتومة ٠٠ وكان قد وضع ذراعيه تحت

رأسه وحدق فى الفضاء ، فراحت تدور فى داخل رأسه صور بلاد الجنوب ، والشمس ، والبحر ، و٠٠ ومعها جميعا نضجت واختمرت فى رأسه فكرة ملحة: الانتحار! فاغمض عينيه، واحس على خديه حرارة دموعه الساخنة اللاذعة٠٠ وأخيرا غلبه النعاس!

❖

◆ **وحين** فتح عينيه كان احمرار شمس الغروب يرى من خلال الستائر ٠٠ وكان الهواء قد سكن ، وغدا جو الغرفة يقبض الانفاس ٠٠ فمرت بذهنه حوادث الامس والصباح كأنما قد وقعت منذ دهر بعيد !

ونهض ، فى غير عجلة ٠٠ واغتسل ، فى غير عجلة ٠٠ ثم أزاح الستائر ودق الجرس للخادم ، فلما جاءه طلب أن يأتى له بالشاى ، وبفاتورة الحساب ! ٠٠ ثم لبث يشرب الشاى بالليمون وقتا طويلا ٠٠ وحين فرغ منه أمر باستدعاء عربة ، ونقل حقيبته اليها ٠٠ ولم يكد يعتدل فى مقعده الملتهب من الحرارة حتى نفح الخادم بخمسة روبلات كاملة كبقشيش ٠٠ وأمر الحوذى بالمضى الى المرسى ٠٠

وقال الحوذى بلهجته المرحة وهو يتناول اللجام بين يديه :

ـ أظن اننى جئت بك الى هنا مساء أمس ياسيدى ؟

فلم يجب سيده . . !

وعندما بلغا المرسى كانت زرقة ليالى الصيف قد خيمت على الفولجا ، وانتثر على صفحة النهر لهب متعدد الالوان ، ولهب تعلق فى الجو وراء سارى السفينة التى تقترب ٠٠

٠٠ لكأنه ما يزال فى الامس ! صوت الحبال الناعم الذى يسمع من مقدم السفينة ، هو هو ٠٠ والدوار الخفيف من ترنح الارض تحت القدمين هو هو ٠٠ وطرف السلك المتطاير فوق الرؤوس، هو هو٠٠واصطفاق المياه تحت السفينة وهى تتراجع عن الرصيف ، هو هو ٠٠ ثم منظر زحام الناس فوق ظهرها

المــؤلف

(١٨٧٠ — ....)

◆ ((ايفان بونين)) من أنبغ أدباء روسيا المعاصرين ، وقد فاز بجائزة نوبل للآداب سنة ١٩٣٣ . وهذه القصة التى قرأتها فى الصفحات السابقة من أروع قصصه القصيرة النابضة بالحياة ، وقد ضمنها كتابه الذى أطلق عليه ((أجرومية الحب ؟))

و((بونين)) ينحدر من أسرة نبيلة عريقة المحتد ، وقد ولد فى ((فورونيش)) يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٨٧٠ .. وكان لم يتجاوز التاسعة عشرة حين نشرت مجموعة اشعاره الاولى ، التى نال من اجلها ((جائزة بوشكين)) ، وهى أرفع (وسام) أدبى فى روسيا على الاطلاق ! ثم منح الجائزة نفسها مرة ثانية حين ترجم عن الشاعر الامريكى ((لونجفيلو)) قصته الشعرية (هياواثا) ، كما ترجم عن ((بيرون)) و((تنيسون)) أشهر قصصهما الشعرية ..

وفى سنة ١٩٠٩ انتخب بونين عضوا فى الاكاديمية الروسية .. وهو الى تفوقه فى الشعر كاتب نثر من الطراز الاول ، تجمع قصصه بين مميزات ادب ((تورجنيف)) و((تشيكوف)) ، كما يبدو فيها التأثر بمدرسة الروائى الفرنسى الفحل ((فلوبير)) .. ومن أشهر قصصه الاخرى: القرية ، جنتلمان من سان فرنسسكو ، ((شوشودول)) ، أمسية ربيع ، أحلام ((شانج)) .. الخ

المتلألىء بالانوار .. والروائح المنبعثة من مطابخها .. كل أولئك يبدو كبعض تباشير استقبال حار للراكب العتيد ..

وبعد لحظات ، كانت السفينة تمخر عباب المـاء ، فى نفس الاتجاه الذى حملت اليه « الحسناء المجهولة » فى الصباح .. !

وعند الافق ، كانت ألوان الغروب القاتمة تذوب وتختلط تدريجيا .. وقد انعكست ظلالها الجميلة على أمواج النهر ، تلمع حينا وتختفى حينا .. وحلقات اللهب المتناثرة فى الظلام حول السفينة ، تبتعد وتبتعد ..

وعلى ظهر السفينة جلس الضابط ساهما ، وقد أحس أنه شاخ فى ليلة واحدة .. عشر سنوات !

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى

(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية من (كتابى) المسرحيات العالمية الآتية على التوالى :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانونزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
مدرسة الفضائح : شيريدان
سيرانو دى برجراك : روستان
لعبة الحب والموت : رومان رولان
مروحة الليدى وندرمير : اوسكار وايلد

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية الخالدة (فاوست) لشاعر الالمان (جوته) ، يليها فى الاعداد القادمة باذن الله :

هرنانى : فيكتور هوجو
قافلة الزمان : نويل كوارد
البخيل : موليير
اوديب الملك : سوفوكل
ترويض النمرة : شكسبير
عطيل : شكسبير
الخطاب : سومرست موم
هيدا جابلر : ابسن
الخ .. الخ



فاوست

الملحمة الخالدة للشاعر الخالد
جان وولفجانج جوته



هذه الملحمة

.. أما المسرحية الشعرية التى أقدمها لك اليوم فهى درة شاعر المانيا العظيم «جيته» ، الذى تطاول مكانته فى الادب العالمى مكانة شكسبير !.. وتعتبر (فاوست) من أعظم المؤلفات العالمية التى انتجها العقل البشرى .. وقد بدأ «جيته» كتابتها وهو فى سن العشرين ، ولم يتم الفصل الاخير منها الا وهو فى الثانية والثمانين !.. أى أن تأليفها استغرق منه ـ على فترات متقطعة ـ اثنين وستين عاما ، انفقها فى التفكير ، والبحث عن الحقيقة ، والسعى الى المعرفة .. وحين أدركه الموت ، فى الثالثة والثمانين ، كان آخر ما لفظه مع أنفاسه هذه العبارة : « اللهم نورا .. مزيدا من النور ! »

وكان جيته قد شغف أثناء دراسته الجامعية بفنون السحر وغوامض مؤامرات السحرة فى القرون الوسطى ، فخطر له أن يولف منها ومن بعض أحداث حياته الخاصة قصة غير مألوفة .. وهكذا استوحى من حبه الاول ومغامراته مع معشوقته «ليلى» ، الجزء الاول من ملحمته هذه ، وهو الجزء الذى يصور مأساة « مرجريت » ، ولقائها الاول مع فاوست ، ومشاهد الهوى التى كانت بينهما فى مخدعها ، وفى الحديقة .. الخ

أما ميثاق فاوست مع الشيطان ، فقد عنت فكرته لـ«جيته» أثناء رحلة له فى سويسرا ، حيث شاهد احدى فرق المهرجين الهزلية تمثل مشهدا من اسطورة قديمة تتلخص فى أن ساحرا ورث عن عمه ثروة بددها كلها فى اللهو والمجون ، وفى مطاردة السعادة ، دون جدوى .. فلما نفد ماله لم يرجع عن غيه الى أحضان السلام والنقاء ـ مثل «الابن الضال» ـ وانما عقد مع الشيطان ميثاقا يتيح له أن يحيا منغمسا فى الملذات أربعا وعشرين سنة ، يسلم فى نهايتها جسمه وروحه غنيمة سائغة لابليس !

◆ على أن ملحمة «فاوست» لا تستمد عظمتها وخلودها من فكرتها ، وانما من الاسلوب الذى عالج به «جيته» هذه الفكرة ، فنفخ فيها من عبقريته .. وفلسفته .. وحكمته .. وسخريته .. ما لن أستطيع أن أنقل اليك منه فى هذا التلخيص المحدود غير النزر اليسير .. وحسبى من هذه الخلاصة أنها قد تغريك يوما بقراءة الاصل .. والا فقد ظفرت منها على الاقل بما يروى ظمأك الى تكوين فكرة مبدئية عن هذا الاثر الشامخ من تراث الفكر البشرى ..

- ١ -

◆ **تبدأ** القصة فاذا « الله » و « الشيطان » يتنازعان روح الانسان !.. الخالق يؤمن بمخلوقاته ، والشيطان الجاحد يكفر بكل شيء ، ويرتاب في كل شيء ، فهو المتشكك الخالد الـذي يفضل الفناء على الوجود ، ولايرى معنى « لمسرحية القدر التى لاتنتهى ، التى تخلق البشر لكى تهلكهم بعد ذلك ! » .. فهـو يفضل على الدنيا ذلك الفراغ الدائم الذى بدأ منه الكون رحلته العقيمة خلال الزمان والمكان .. ومن ثم فهو يرى مهمته فى أن يحبط الخليقة وينكر حكمة الله وطيبة البشر :

الله : ألا تجد انسانا واحدا طيبا على الارض ؟

مفيستو (الشيطان) : ولا واحد .. البشر جميعا أشـد وحشية من الوحوش !

الله : حتى « فاوست » ؟

مفيستو : حتى فاوست .. انه مثل بقية البشر .

◆ **ولكى** يثبت الشيطان نظريته يعرض على ربه أن يتخلى له عن فاوست فترة كي يجربه : « اعطنى اياه فترة قصـيرة وأنا الكفيل بافساد روحه الى الابد ! »

ويقبل «الله» الرهان ، واثقا بأن الشيطان سوف يخسره :

الله : عندما تثور فى الانسان شهواته ، لايستطيع الأن يخطىء ويضل .. لكنه فى غمار ضلاله فى دجى الليل ، يتجه بغريزته نحو النور !

.. فاذا ماقبل الطرفان «الرهان» رأينـا الشيطان يهبط الى الارض كى يجرب ويمتحن «فاوست» !

- ٢ -

◆ **ليـلة** عيد الفصح ، وقد أوغل الليل .. غرفة كالقبو ، يطل القمر من خلال نوافذها القذرة التى يلطخ التراب زجاجها

فلايكاد يضىء أكوام الكتب والمؤلفات الضخمة القديمة التى تتراكم صفوفها لصق الجدران التى سودها الدخان ·· وهنا وهنـــاك يقع ظل القمر على اجهزة فلكية وأوان وانابيب كيميائية ·· وعلى منضدة صغيرة مصباح يضىء وجه رجل فى ثيـــاب العلماء القاتمة الوقورة قدجلس الى مكتبه يطالع، بعينين توهجت فيهما نار التحمس للبحث عن الحقيقة ·· النار الملتهبة التى لا تشبع ولا تقنع ، ولا تخمد او تتراجع، وانما تظل دائبة على الاستطلاع والبحث عن الجوهر المختفى وراء كل مظهر من مظاهر الكائنـــات الحية ··

انه «فاوست» العالم الالمانى العلامة ، الذى اشـــتهر فى جميع الآفاق بعلمه وطيبته ونزوعه دائما الى الخير ·· لكنه يحس فى ليلة عيد الفصح هذه بفيض من المرارة فى قلبه ، فان جهاده المتواصل خلال ربع قرن قد أظهر له تفاهة وعقم العلم والمعرفة البشرية !·· وان عينيه لترتفعان عن صفحات الكتاب المبسوط أمامه كى تجوسا خلال غرفته ـ ذلك المخـــزن العفن لابحـــاث العقل البشرى ـ ! فيسائل نفسه : « **لقد تعمقت فى الفلسفة ·· والقانون ·· والطب ·· والدين ·· وأرقت عليها عصـــارة دراساتى الطويلة بحمية ونشاط وحماسة لاتعـــرف الملل ·· وها أنذا فى النهاية أتبين انى لاأكاد أعرف شيئا ، ولاأكاد أصل الى نتيجة ·· وان معارفى كلها لاتساوى كثيرا ·· ليست سوى قطرة من بحر ·· فياجهلى وغبائى وحماقتى !·· هذه هى الفكرة التى تحرق قلبى !** » ·· ويحس فاوست أن كل تلك السنوات التى قضاها فى جد وعمل متواصل قد ضاعت ســـدى ·· وانه بانفاقه اياها مطمورا بين الكتب ، غارقا فى دراساته العقيمة ، لم يستمتع يومابحياته ·· لم يعش!·· وهو لايعنى «بالاستمتاع بالحياة » تلك المشاركة فى ملذات الدنيا ، بالحب ، والضحك ، والرقص .. فان أوان ذلك على اى حال قد انقضى ، وهو الآن

قد شاخ .. وانما هو يعنى ذلك الطريق الآخر الى الحياة ، الى المشاركة الداخلية مع قوى الطبيعة نفسها .. الى الحياة البشرية السامية ، وفق المثل العليا .. وهذا الطريق يرسمه الكتاب الفلكى الذى أمامه « طريقــة (نوستراداموس) السحرية » .. وفيما هو يقلب صفحاته ، يقف عند رسم بيانى غامض .. وفجأة يخيل اليه أن سر الكون قد انكشف لعقله .. ثم يعود فيدركه اليأس الذى يعقب رؤى التصوف الروحى ، فيعــود الى تقليب صفحات الكتاب .. ومرة أخرى يعصف بصدره أمل جبــار ، حين يعثر على علامة ترمز الى «روح الارض» ، فلشد مايتمنى أن يصل الى فهم أسرار القوة التى تربط بين القــلوب البشرية ، وتنسج تلك الخيوط المتقاربة التى تسبب الفرح والالم .. !

ويستعين فاوست بعلمه ومعارفه المكتسبة طيــلة ربع قرن ، فينطق بتعويذة خاصة يستدعى بها اليه روح«الارض» .. لكنه يفزع حين ينبثق فى الحجرة نور يخطف البصر ، تظهــر الروح على أثره أمامه .. ثم يتمالك نفســه فيتحدى الروح فى تفاخر ، مناديا بنفسه ندا لها :

فاوست : أيتها الروح التى يحيط وجودها بالارض الواسعة .. كم أحس بالتقارب بين طبيعتى وطبيعتك !

الروح : أيها الانسان .. انك مثل المخلوقات التى يستطيع عقلك أن يصورها .. ولست مثلى !

◆ ثم تختفى روح الارض كماظهرت ، تاركة صدى كلماتها يدوى فى عقل فاوست ، فيقضى على آخر آماله من الحياة : انه قد يستطيع – اذا بذل أقصى محاولات التــأمل الصوفى – أن يقف عــلى « حافة » المعرفة القصوى .. لكنه لن يستطيع أن « يعبر » الهوة التى تفصله عنها : «**من أنا حتى أطاول الآلهة ؟ .. اننى أرتجف وأنا أحس وطأة الشعور بضآلتى .. اننى كالدودة الحقيرة ، من التراب خلقت ، وفى التراب أعيش .. فهــل أجد هنا العلاج الذى أبحث عنه ؟** »

ويرنو ببصره الشارد ـ وهو غارق في التأملات ـ الى قارورة صغيرة بها سم ، فيفكر في الانتحار .. ويناجي القارورة مرحبا بالشواطىء المجهولة التي سوف تنقله اليها محتوياتها المميتة !.. وفيما هو يشرع في تجرع مابداخلها تدق أجراس عيد الفصح دقاتها الفضية المرحة ، ويسمع في سكون الليل صوت جوقة من الفتيات يغنين لحنا ملائكيا .. فتعاوده ذكريات صباه ومشاعر فرحته بالعيد .. ويلمع الدمع في عينيه .. فينحى قارورة السم بعيدا ويصغى الى دقات الاجراس !

- ٣ -

◆ وفي صبيحة يوم العيد يخرج فاوست وتلميذه المفضل « فاجنر » ـ الذي يرى فيه فاوست شبابه المفقود ـ كي يتجولا في أنحاء المدينة التي تغص بالجماهير .. مارين بمختلف الفئات من الناس : طلبة يهرعون الى الحانات ليشربوا البيرة ويتبادلوا مع فتياتها القبلات .. ونسوة عابثات ، وعوانس وقورات على استعداد لنسيان وقارهن اذا وجدن أزواجا !.. ورجال في منتصف العمر يشجعون الحروب في الخارج مادام السلام يعمر بيوتهم .. وجنود يغنون أناشيد الحب والمجد في ساحات القتال .. ومتسولون يجدون أعيادهم الحقة في أيام الاعياد !.. وفلاحون يرقصون كل جماعة في حلقات .. وشبان يمرقون بقواربهم على صفحة النهر .. الخ

ويتأمل فاوست تلك المظاهر الصاخبة للبهجة فيحس أنه حقا في يوم عيد ، وانه انسان .. ذلك الاحساس الذي حرم منه طيلة أعوام دراساته الصارمة .. ثم يلمح كلبا أسود في الطريق ، يدور حوله ويقترب منه بالتدريج ، فيأخذه معه الى البيت . وهناك يعكف على ترجمة فقرات من الانجيل ، وفيما هو يجهد ذهنه باحثا عن التعبير الصحيح ، يأخذ الكلب في النباح

.. ويتبين فاوست أنه ليس كلبا عاديا ، وانما هو روح شريرة ! فيحاول أن يجرى عليه تجاربه السحرية .. وفى اللحظة التى يوشك فيها أن يستخدم أقوى تعاويذه ، يفصــح الكلب عن نفسه ، فاذا هو الشيطان «مفيستو» وقد ظهر الآن فى هيئــة طالب علم قادم من سفر !.. لكنه يقدم نفسه لفاوست عــلى اعتبار أنه « متعهد توريد جميع ملذات الدنيا ! » ثم يعــرض على العالم الشيخ خدماته ..

فاوست : اننى أكبر سنا من أن أستسلم للملذات .. وأصغر سنا من أن تفارقنى شهيتى .. فماذا تستطيع الدنيا أن تعطينى الآن ؟.. كفى ، كفى !

لــكن «مفيستو» يعد فاوست بحيــاة جــديدة ، وآمال جديدة ، ومعرفة جديدة ، ومطامع جديدة ، ومغامرات جديدة ! انه سوف يعيد اليه شبابه ويخدمه ، ولكن بشرط :

مفيستو : سوف أكون عبدك المطيع فى هذه الدنيا ، وتكون أنت عبدى فى الآخرة !

فاوست : وكم من الزمن سوف تخدمنى على الارض ؟

مفيستو : هذا أمر متروك لك ..

فاوست : اذن فقد اتفقنا !.. أعيش متنقلا من متعــة الى متعة فى نشوة متزايدة ، حتى أبلغ لحظة المتعة القصوى ، التى أحس فيها بالشبع !

ويوقعان الميثاق بدمهما !.. وبفضــل وسائل الشيطان السحرية يتحول فاوست الى شاب فى مقتبل العمر ، ثم يبــدأ الاثنان مغامراتهما الشائقة بحثا عن المتع والملذات !

- ٤ -

◆ **وتقودهمــا** مغامرتهمــا الاولى الى حانة «أورباخ» ، حيث يلتقيان بجماعة من الشبان العابثين ، فيعمــد الشيطان الى

تسليتهم بألعابه السحرية ، فيخرج كافة صنوف الشراب من منضدة جافة بواسطة ثقبها بمثقب «بريمة» ٠٠ ثم يخيفهم بتحويل الشراب الفوار الى لهب متقد !

ومن حانة أورباخ يأخـــذ مفيستو فاوست الى « مطبخ الساحرات » ، حيث يسقيه محلولا سحريا يوقد فى عروقه نار الحب الجنسى واستهتاره ٠٠ وبعـد ذلك يقوده الى شارع عام ، حيث يقدر له أن يعثر على ســعادته الاولى الفائقة ، ويصادف مأساته الاولى المفجعة اذ فيما هما يراقبـــان المارة ، تمر بهمـا «مرجريت» :

فاوست : أيتها السيدة الحسناء ، لايسوءنك أن أعيرك ذراعى ورفقتى ٠٠

مرجريت : لست سيدة ، ولا حسناء ٠٠ أما بيتى فأستطيع أن أبلغه بغير رفقتك **(وتخلص ذراعها منه وتمضى ٠٠)**

فاوست : كم أتوق الى امتلاك هذه المرأة ٠٠!

مفيستو : لكنها آتية لتوها من حيث أدت فريضة الاعتراف!؟

فاوست : لاتنطق أمامى بكلمة عن الدين ٠٠ لئن لم تبت هذه الفاتنة بين ذراعى الليلة ، فاعتبر ميثاقنا مفسوخا ابتـــداء من منتصف الليل !

مفيستو : ان شهوتك لاشد عنفا حتى مما عهدته فى الشياطين ٠٠ لكنى سوف أحقق أمانيك ٠٠ سوف أجد غرفتها وأقودك اليها!

- ٥ -

◆ **ويحاول** الشيطان أن يغوى « مرجريت » بمجموعة فاخرة من الحلى والجواهر يضعها خلسـة فى غرفتهـا ٠٠ فتبتهج لدى رؤيتها وترتاع فى وقت واحد ٠٠ ثم تعرضها على جارة لهـا تدعى « مارتا » غاب عنها زوجها منذ أعوام :

مرجريت : أنظرى يا مارتا ٠٠ وتأملى !

مارتا : ياطفلتى ، أى حظ هذا الذى واتاك !

وفيما هما تفحصان الحلى فى انفعال يدخل مفيستو متنكرا فى هيئة سائح فينبىء مارتا بأن لديه أخبارا عن زوجها :

مفيستو : سيدتى . ان زوجك قد مات ..

مارتا : أواثق أنت ؟

مفيستو : كل الثقة .. فان لى صديقا رأى نهاية زوجك .. وسوف أحضره هنا

مارتا : أرجوك أن تفعل ياسيدى ..

مفيستو : وهـذه السيدة الشابة سـوف تكون موجودة أيضـا ؟ ان صديقى شاب رائع كثير الاسفار ، يحظى دائما باعجاب النساء !

مرجريت : أخشى أن يحمر وجهى خجلا فى حضرته ..

مفيستو (فى لباقة) : هذا الحسن لم يصنع لحمرة الخجل !

مارتا : فى حديقتى الخلفية سوف ننتظركما الليلة ..

❖



◆ **ويلتقى** فاوست بمرجريت فى حديقـه مارتا .. وبينما الشيطان يشغل مارتا بحديثه ، يغـازل فاوست مرجريت .. فيفتنها بشبابه ، ووسامتـه ، وأناقته ، وحضـور بديهته .. وحـين يذهب يتركها لاهثـة الانفاس ، تحدث نفسـها : **« يا آلهى !.. كيف يوجد رجل يفكر هكذا ويعرف الى هـذا الحد؟!»** .. وتصلى ملتمسة أن تنفحها السماء بزيارة أخرى منه!

وتستجاب صلاتها ، فيلتقيان مرة أخرى فى حديقة منزل مارتا ، ولكن على انفراد هـذه المرة ، فيناشدها أن تسمح له بدخول غرفتها بعد أن تنام أمها ٠٠ لكن مرجريت تبدى ترددا :

مرجريت : ان نوم أمى جد خفيف ٠ ولن تلبث أن تشعر بوجودك ٠٠

فاوست : لاتخشى يامحبوبتى مرجريت ، ياكنزى الجميل ، أن يقطع متعتنا شيء ٠٠ فاليك هذه الجرعة التى لو شربتها أمك لغابت فى أعمق نعاس !

فتتناول مرجريت منه القارورة الصغيرة التى تحوى المخدر ، وتعده بأن تفى بموعدها

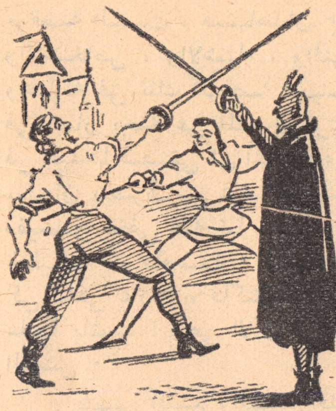
مرجريت : لست أدرى ما الذى يرغمنى على اطاعة رغبتك ٠٠ فمهما طلبت منى ، سوف أعطيك !

- ٦ -

◆ **وتنعم** مرجريت بخلوتها مع فاوست ٠٠ بينما يحقق المخدر الذى سقته لامها ، الغرض الذى قصد منه ، وأكثر ٠٠ فلقد كفل للام النوم الابدى !٠٠ وهكذا يسفر حب مرجريت لفاوست عن انطفاء شعلة حياة ، وانبثاق حياة أخرى ٠٠ فى أحشائها !

ويعود شقيق مرجريت ـ المدعو «فالنتين» ـ من الجيش ، بعد أن سمع بعارها ٠٠ وفيما هو أمام الباب يلمح شبحين يقتربان !

فالنتين : أواه ، أكاد أمزق شعرى غيظا ، وأحطم رأسى يأسا ! ٠٠ سوف يلقانى أحقر صعلوك بأنف شامخة ، ويلاحقنى الناس بالقدح والتقريع اللاذع ٠٠ ولكن ماهـذا الذى أراه يقترب



متلصصا ؟٠٠ اذا لم أكن مخطئا فهمـا اثنـان !٠٠ ان كان « هو » أحدهما فلن يبرح المكان حيـا !

◆ **ويقترب** الشبحان فاذا هما فاوست ومفيستو ٠٠ الاول يحمل الى حبيبته سلة أخرى من المجوهرات ٠٠ والثانى يحمل قيثارة يغنى على أنغامهـا !٠٠ يحطم فالنتين القيثارة ٠٠ فينشب بين الثلاثة شجار، وتحد، ومبارزة تنتهى بأن يطعـن فاوسـت فالنتين فيقتله ٠٠ ويسقط الجندى الشـاب مضرجا بدمه ، وشفتاه تلعنان أخته التعسة ، التى تخرج مع جيرانها على صوت الضجيج ، بينما يلفظ شقيقها أنفاسه الاخيرة وهـو يحشرج لها : « اننى لأرى منذ الآن اليوم الذى يشيح فيـه النـاس بوجوههم عنك كما يفرون من طاعون ٠٠ وأسمع آهات الندم التي سوف تزفرينها حين تصيرين منبوذة شريدة فى الطرقات كيف ستحتملين نظرات المارة اليك ؟ لن ترتدين صليبك الذهبى فى فخار بعد الآن ٠٠ لن يشرق وجهك الفاتن فى أبرز مكان من الكنيسة كما كان ٠ وانما حيث تعيش العاهرات ستعيشين ، وحيث تموت المتسولات ستموتين ٠٠ فلئن كان الله غفورا رحيما ، فليس الانسان بغفور ولا رحيم ! »

- ٧ -

◆ **وفى** ليـلة أول مايو ، يأخذ الشيطان فاوست الى قمة مرتفعات «بروكين» حيث تحتفل الابالسة وجميـع قوى الشر

برقصة السبت ، فيشاهدان جميع شرور الافكار ، والنظريات ، والاشخاص ، والاشياء ، والنزعات ، والافعال ، ممثلة كلها ومختلطة فى تلك الرقصة الجهنمية ٠٠ وينسى فاوست مرجريت فى غمار بحثه عن المتع الاخرى ، وينضم الى الارواح الشريرة فى عيدها فيصغى الى أغانيها ويلعب معها ، ويراقصها ٠٠ لكنه بعد أن ينصرف من عيد العربدة والتهتك والفجور ، يعلم أن مفيستو يخفى عنه نبأ : أن مرجريت قد وضعت طفلها ، ثمرة خطيئتها مع فاوست ٠ لكنها فى نوبة ندم قتلت الطفل الوليد كى تخفى عارها ، فاكتشفت جريمتها ٠٠ وحوكمت ٠٠ وحكم عليها بالموت ! وهى الآن فى زنزانتها بالسجن تنتظر مصيرها التعس ٠٠

ينهش الندم والشفقة قلب فاوست فيأمر مفيستو بأن يقوده اليها فى السجن ، ويعاونه على انقاذها من الموت ٠٠ وحين يصلان ، يسمعانها تغنى أغنية مجنونة ٠٠ وتسمع هى صليل سلاسل الباب وهو يفتح ، فتخفى وجهها فى حشية فراشها صائحة :

مرجريت : أواه ، لقد أتوا ٠ أتوا ليقتلونى ٠ ما أفظع الموت!

فاوست (هامسا) : صه ٠٠ بل جئت لانقذك ٠

مرجريت (ترتمى عند قدميه) : هل أنت انسان ؟٠٠ اذن فارحمنى !

فاوست (هامسا) : مرجريت !٠٠ مرجريت !

مرجريت (تصيخ السمع فى انتباه) : أين هو ؟ أين ؟ سمعت صوت حبيبى بعينه **(تهب واقفة)** سأعانقه ، سأتكىء على صدره ، لقد سمعته ينادى ، انه واقف على عتبة الباب ٠٠

فاوست : مرجريت ٠٠ ها أنذا !

مرجريت : أهو أنت ؟ قلها مرة أخرى **(تضمه الى صدرها)**

فاوست : مرجريت ، تعالى معى ٠٠

مرجريت : بل امكث معى برهة ، لكم أحب أن أبقى معك ••

•• وهكذا ـ بمعونة الشيطان ـ يعرض فاوست على مرجريت أن ينقذها •• لكنها ـ بمعونة الله ـ تفضـــل أن تبقى وتواجه عقوبتها !

ولايكاد الشاب يخرج حتى يقبل الحراس فيسوقونها الى حيث ينفذ فيها حكم الاعدام !

مفيستو : لقد هلكت المسكينة !

صوت (من أعلى) : بل لقد خلصت !

- ٨ -

◆ **فاذا** كان القسم الثانى من المسرحية رأينا فاوست يواصل بحثه عن سر السعادة ، بعد أن جرب الملذات والمتع الحسية فلم يصل منها الى مبتغاه : الى المتعة القصوى !•• وانه ليتوق الى تجربة كل ماتنطوى عليه الحياة : « الى تعريض صـــدره لــكل الكروب ، ومعرفة جميـــع أفراح البشر وأحزانهم » •• بل انه يريد أن يكد ويعمل مثل سائر الناس ، ويشاركهم نهايتهم حين تغرق سفينة الانسانية !

وهكذا يجرب معه الشيطان نوعا آخـــر من الاغراء •• يستثير فيه شـــهوة الشهرة والسلطان ، فيقدمه الى امبراطور ألمانيا ، الذى يعينه مستشارا فى البلاط الامبراطورى • ويتيح المنصب الخطير لفاوست أن يحصل على المجد والترف •• دون السعادة ! فيغريه تذمره من حيـــاته الحاضرة بأن يســـعى الى استحضار أرواح فاتنات الماضى ، عن طريق استخدام فنـــون السحر ! وهكذا يستحضر روح هيلين من أكفانها فى طروادة ، ويحقنها بدم بشرى حى ثم يحاول أن يعقد زواجه عليها •• لكنه حين يعانقها يفاجأ باختفائها من بين أحضـــانه تاركة معطفها بين ذراعيه ••!

وعلى هذا المنوال يتخبط فاوست من مغامرة الى مغامرة بغير أن يجد السعادة المنشودة ، فان كل محاولاته تنتهى الى الفشل ، أو الى نجاح أجوف أمر من الفشل ٠٠ وحتى حين يربح لامبراطوره معركة هامة يجد النصر ليس أقل مرارة من الهزيمة !

ويقدم اليه الشيطان القصور الشامخة ٠٠ والنساء الجميلات ٠٠ والمدن الكبرى ٠٠ والممالك الضخمة ٠٠ والمجد الدائم ٠٠ ولكنه يزهد فيها كلها ، فان متع الشباب وترف السن المتوسطة لم تتكشف له الا عن سراب زائف ٠٠ والآن تبدأ حياته فى الادبار وتداهمه الكهولة بما تحمل فى طياتها من ضعف فى الجسد وضعف فى الروح ٠٠ ان نيران ورغبات شبابه قد صارت الى رماد وحطام ، والوحدة الموحشة قد تربعت على عرش قلبه الخاوى وحياته العقيمة !

ثم تأتى ثالثة الاثافى حين يطفىء العمى نور عينيه ، فيكف عن مطاردة السعادة التى أنفق حياته فى السعى وراءها ، ويدرك أخيرا عقم محاولاته ، وسخف بحثه عن شىء ليس له فى الواقع وجود !

ولكن هنا تحدث المعجزة ! ٠٠ فانه فى اللحظة التى ينبذ فيها السعادة يجدها ! فقد شرع فى تنفيذ مشروع ضخم يرمى الى ردم المستنقعات القريبة من البحر وانشاء مساكن صالحة نظيفة مكانها ، مجانا لملايين الناس ، كى ينعموا بحريتهم عن طريق اكتسابها من جديد بعرق جبينهم وعملهم اليومى ! ٠٠ وتملأ الفكرة نفس فاوست فرحا وغبطة ٠ انها الهدف الذى أنفق حياته سعيا اليه ، دون أن يشعر ! أن ينسى كل انسان ذاته ، ويعمل من أجل الآخرين مثلما يعملون لانفسهم ، تلك هى ذروة السعادة البشرية ، واللحظة الذهبية التى يستطيع فاوست أن يتمنى بقاءها الى الابد ٠٠ لحظة المتعة القصوى !

❖

أما وقد بلغ فاوست حلم حياته فان حياته تبلغ نهايتها ·· وقد ربح الشيطان الرهان ، فيما يبدو ·· فهـــو يطلب روح فاوست ثمنا لانتصاره ، لكن الملائكة تنكر عليـــه زعمه فتهبط وسط طوفان من الازهار وتحمل روح فاوست الى السماء ، الى الفردوس !·· فلئن كان فاوست قد ضل أبشع ضلال الا أنه خلال جميع مراحل ضلاله كان يتوق ويهفو بوحى من غريزته ·· الى النور !

وفى الفـــردوس ، كانت أول روح تستقبل وتحيى روح فاوست هى روح مرجريت ، التى أخطأت وماتت شريكة له فى خطيئته ، لكن الله قد غفر لها ·· فانه غفور رحيم

أما رسالة مرجريت الآن فهى أن ترشـــد فاوســـت الى الطريق ·· فلقد طالما كانت المرأة رائدة الرجـــل فى طـــريق الخلاص ، ومنقذته الخالدة !

« ستـــار »

الفأر الاعمى

◆ **رأى** أحد أمراء ألمانيا الاقدمين فى حلمه ثلاثة فيران : أحدها بدين ، والثانى نحيل هزيل ، والثالث أعمى !·· فاستدعى الامير عرافة غجرية مشـــهودا لها بالبراعة كى تفسر له الحلم ·

وبعد أن أمعنت العرافة فكرها برهة قالت للامير : الفأر السمين هو رئيس وزرائك ·· والفأر الهزيل هـــو شعبك ·· والفأر الاعمى هو أنت !

الجريمة لاتفيد

«قابيل» الهندى !

مأساة مروعة نظرت أمام محاكم كالكوتا



فى هذا الباب أود أن أقدم لك بين الحين والآخر جريمة واقعية مما ينظر أمام محاكم الجنايات سواء فى الشرق أو الغرب .. وسترى منها أن لكل شعب عاداته وطباعه ، وعقليته الغالبة التى تملى على أفراده تصرفاتهم ، فى الحب وفى البغض .. فى العمل والمعاملات ، وفى اللهو والفجور .. فى الزواج وفى الطلاق .. فى الصفح وفى الانتقام .. فى الجريمة وفى العقاب !

والقضية الجنائية التى الخص لك وقائعها فيما يلى ، والتى نظرت أمام محاكم «كلكتا» ، تلقى ضوءاً على العقلية التى ارتكب بها مجرم هندى جريمة القتل !

وخزة ابرة !

◆ **كان** كل شىء يجرى كالمألوف فى فنـاء محطة « هورا » ـ محطة سكة الحديد الرئيسية لمدينة كلكتا ـ بعد ظهر يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٣٣ ، عندما دخل الشاب « آمار باندى » الى رصيف المحطة وبصحبته عمته ، وشقيقاته ، وابنة عمه ، وأخوه الاكبر ـ غير الشقيق ـ « بينوى » ، فى طريقهم الى احدى عربات القطار الذى يقلهم الى « باكور » بمقاطعة « بيهار » ، حيث يقع منزل الاسرة الموروث ..

كان كل شىء يجرى فى فناء المحطة كالمألوف ، فيما عـدا شيئين : أولهما ما تذكره أفراد الاسرة فيما بعد ، من رؤيتهم

لشخص ضئيل الجسم ، قاتم البشرة ، بين جموع المتزاحمين حولهم بالمناكب أثناء دخولهم فنـــاء المحطة ٠٠ **وثانيهما تلك الوخزة الحادة ـ كأنما من سن ابرة ـ التى شعر بها « آمار » فى ذراعه وهو يشق طريقه الى الرصيف !**

وصرخ الشاب متألما ، فهرعت نحوه نساء الاسرة ليرين ما أصابه ٠٠٠ واذ ذاك استحثهن أخوه « بينوى » على الاسراع بالمسير للحاق بالقطار ، ساخرا من الضجة التى أحدثنهـا والانزعاج الذى بدا عليهن من أجل أمر « تافه » ٠٠ وما أهمية وخزة دبوس بسيطة بالنسبة الى ما كان يحتمل أن يصيب الفتى من وطأة الزحام ؟٠٠ وهكذا ألقى الاخ نظرة عاجلة على موضع الوخزة ، ودلكها قليلا بابهامه اليسرى ثم ضحك مستهزئا ٠٠

وبعد ثمانية أيام من ذلك التاريخ ، كان الاخ الاكبر «بينوى» ما يزال يضحك استخفافا بالحادث وهو يشهد حرق جثة أخيه الاصغر آمار ، الذى مات فجأة فى ظروف غريبة غامضة !

وحين انتهت مراسم حرق الجثة استقل بينوى القطار الذاهب الى بومباى ٠٠ لكنه لم يكد يصل الى محطة صغيرة تبعد أقل من مائة ميل عن كلكتا ، حتى فوجىء برجال الشرطة يلقون القبض عليه ٠٠ بتهمة قتله أخاه آمار !

واستمرت المحاكمة ثمانية عشر شهرا ! لم يكن ثمة دليل قائم ضد بينوى ، سوى قرينة ضعيفة ، هى أنه حين دلك موضع الوخزة فى ذراع أخيه انما فعل ذلك بابهامه «اليسرى»، والديانة الهندوكية تفرض على معتنقيها أن يدعوا أعمالهم « الشريرة » لليد اليسرى ، فلا يرتكبوا شيئا منها باليمنى !٠٠ لكن التحقيق لم يلبث أن تشعب واتسع نطاقه ، كما سيجىء ٠٠

نزاع على الارث

◆ **كان** الاخوان بينوى وآمار يستحقان ـ مناصفة ـ ضيعة أبيهما الواسعة التى أوصى لهما بها (وتقع فى ضواحى باكور)،

كما يرثان بالتساوى أيضا أملاك عمتهما التى تولت تنشئتهما وأشرفت على تربيتهما منذ وفاة والديهما فى طفولتهما ..

وكان بينوى قد أشرف على ادارة الضيعة منذ بلغ أشده ، لكنه كان مبذرا متلافا ، فبدد بعضها فى ملذاته وحياته الماجنة فى كلكتا .. بحيث لم يكد أخوه الاصغر « آمار » يبلغ سن الرشد ـ سنة ١٩٣٢ ـ حتى بدأ يتخذ الاجراءات لاستلام نصيبه من الضيعة كى يتولى ادارته بنفسه .. **الامر الذى أثار حفيظة بينوى عليه فأغراه الطمع بأن يفكر جديا فى الحيلولة دون استلام أخيه لنصف الضيعة ، بأية وسيلة فى مقدوره ! .. ومن ثم راح يقدح زناد فكره باحثا عن طريقة « مبتكرة » لتنفيذ رغبته !** وبدلا من أن يدع أخاه يشاركه ضيعة أبيهما ، رضى مختارا لطبيب من أصدقائه يدعى الدكتور « تارا شلرجى » بأن يشاركه « عشيقته » ! .. وكان أهم ما جذبه الى صديقه هذا وأغراه باسترضائه أنه كان طبيبا « بكتريولوجيا » يشتغل بالبحث فى جراثيم الامراض !

الخطة الجهنمية !

وكانت الخطوة التالية أن بدأ الدكتور « تارا » ـ بناء على طلب بينوى ـ يسعى للحصول على عينة من جراثيم الطاعون القوية « المزروعة » ، بحجة انه يحتاج اليها لابحاثه الخاصة . فأرسل بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٣٢ برقية الى معهد « هافكين » بمدينة بومباى ـ وهو المعهد الطبى ذو الشهرة العالمية ـ يطلب فيها موافاته بالعينة المذكورة . لكن المعهد رفض طلبه ، نزولا على حكم اللوائح الرسمية التى تمنع امداد أحد بالجراثيم لاجل أبحاثه الخاصة .. وهنا حاول الطبيب توسيط زميل له فى الحصول على العينة بحجة استعمالها فى معمل الابحاث الذى يعمل فيه ، لكن العينة فسدت بين يديه .. وأبى الزميل أن يطلب كمية أخرى !

ورغم ذلك لم ييأس المتآمران .. فلم يكد بينوى يسمع أن أخاه آمار يقيم مع عمته فى جهة يطلق عليها « ديوجار » حتى هرع الى زيارتهما ومعه كيميائى .. **وأغرى الزائران مضيفهما بالخروج معهما الى نزهة قريبة ، ثم رحلا عائدين من حيث أتيا .. وبعد أربعة أيام أصيب آمار بمرض غامض ، وساءت حالته!** فلما استدعى طبيب المنطقة أعطى المريض حقنة مضادة لتسمم الدم المعروف باسم « تيتانوس » ، وأبرقت العمة الى بينوى ترجوه أن يحضر معه طبيب الاسرة من العاصمة . لكن هذا حضر وبصحبته بدلا من الطبيب المنشود شريكه اللعين الدكتور تارا ، الذى نصح بالكف عن العلاج المضاد للتسمم واستعمال علاج آخر أشار به !.. لكن طبيب المنطقة أبى ذلك ، فحاول بينوى اقناعه باستبقاء تارا كمساعد له فى الاشراف على علاج المريض .. لكنه رفض هذا الحل أيضا ! وانضم المريض الى هذا الرأى ، ففشلت محاولات المتآمرين ، وأكمل العلاج المضاد للتسمم .. فبدأ آمار يتماثل للشفاء !

لكن بينوى عاد لزيارة أخيه مرة ثانية ، مستصحبا معه طبيبا آخر يحمل نوعا من المصل حقن به المريض — فى غيبة الطبيب المعالج — فساءت حالته ونبت فى موضع الحقنة دمل من الصديد! وعندئذ استغنى المريض عن « خدمات » طبيبه الجديد وقنع بطبيب المنطقة المتواضع ، وبعد مجهودات جبارة من جانب الاخير شفى المريض تماما !

مجرم لا يعرف اليأس !

◆ **ومع** ذلك لم يقنط بينوى من الوصول الى هدفه.. فحصل فى هذه المرة من أحد شريكيه على خطاب موجه الى ضابط بمعهد هافكين للابحاث ، يزعم فيه أن الدكتور تارا يعتقد أنه قد توصل الى اكتشاف علاج للطاعون ، ويطلب التصريح له باجراء تجارب على علاجه الجديد فى المعهد .. ثم سافر بينوى بنفسه — فى

ابريل سنة ۱۹۳۳ - الى بومباى حيث سلم الخطاب الى المرسل اليه ، قائلا أن الدكتور تارا قد انتدبه لجمع بعض الاستعلامات الضرورية قبل حضوره ·· فقيل له أنه ينبغى أن يتقدم الدكتور تارا - شخصيا - الى مدير المعهد ، ملتمسا التصريح له باجراء تجاربه فى معامل المعهد ·· **وازاء هذا خشى بينوى أن يتذكر المدير محاولة تارا الاولى أن يحصل على عينة من جراثيم الطاعون من معامله فيرتاب فى أمره ، أو فى القليل يرفض طلبه ، ومن ثم كر راجعا الى كلكتا من فوره !**

وبعد شهرين آخرين عاد بينوى أدراجه الى بومباى ، حيث زار جراحا بيطريا له صلة بمعهد هافكين ، ورجاه فى الحاح أن يعطيه انبوبة من جراثيم الطاعون لصديق له من أطباء كلكتا ·· فاعتذر البيطرى ، وأحال الزائر على مستشفى فى المدينة يستطيع أن يحصل منه على طلبه !

وتوجه بينوى على الاثر الى المستشفى المذكور ، فروى لمديره قصة الدكتور تارا المألوفة ، طالبا التصريح له باجراء تجاربه فى معمل المستشفى ، خدمة للطب والانسانية وسعيا الى اثبات علاج الطاعون المزعوم ··

وقبل المدير رجاء بينوى !

مرحلة التنفيذ

◆ **ووصل** الدكتور تارا الى بومباى يوم ۷ يوليو سنة ۱۹۳۳ ، وبدأ عمله فى اليوم ذاته ، فأجرى تجاربه على عدد من الفيران ·· وفى اليوم الخامس - ۱۲ يوليو - زعم فجأة أن عملا عاجلا يقتضى عودته الى كلكتا ، وأنه سيعود لاكمال أبحاثه فيما بعد ·· ثم سافر من فوره

لكنه لم يعد ·· ولم يترك وراءه عنوانا يرشد اليه ! ولم يسمع المشرفون على المستشفى شيئا عن « عمله العاجل فى كلكتا » حتى بعثت هذه المعلومات من مرقدها حين وصفت الجريمة

بالتفصيل أثناء المحاكمة ! **وشهد بعض الشهود فى المحكمة بأن بينوى قد تعرف فى المدة الاخيرة برجل ضئيل الجسم قاتم البشرة ، شوهد معه فى أحد مسارح المدينة ـ (وظهر انه أخذه الى المسرح ليشير له الى شخص أخيه آمار الذى كان فى مقصورة قريبة ، كى يعرفه عند تنفيذ الجريمة !)** ـ كما رؤى الاثنان معا مرة أخرى فى محطة كلكتا ليلة ٢٥ نوفمبر ـ السابقة لارتكاب الجريمة ـ حين علم « بينوى » أن آمار وعمته وشقيقاته يعتزمون السفر الى منزل الاسرة فى باكور بعد ظهر اليوم التالى ٠٠ فقصد مع شريكه الاسمر الى المحطة لمعاينة فنائها ومراقبة حركة الزحام لاعداد خطة الجريمة على أساسها !

وفى ذلك المساء أظهر بينوى نحو أخيه وعمته أجمل مظاهر المجاملة والرقة ، فذهب لزيارتهما ، واستعلم عن موعد القطار الذى سوف يستقلاه ، واعدا بالذهاب الى المحطة لتوديعهما ٠٠

وفى اليوم التالى كان فى انتظارهما فعلا فى المحطة ، ولم يكد يراهما حتى أشار الى شريكه باشارة خفية ، فاندس هذا وسط الزحام وأخذ يقترب من آمار حتى تمكن من وخزه بالابرة القاتلة الملوثة بجرثومة الطاعون ! وحين وصل المجنى عليه ومرافقوه الى عربة القطار التف حوله أفراد أسرته وأصدقاؤه المودعون يستفسرون منه عما أصابه ٠ فلما كشف ذراعه رأوا آثار وخزة ابرة تحيط بها بقعة صغيرة من مادة لزجة ، ونقطة من سائل فوق الثقب الذى فى كم سترته ، والموازى لمكان الاصابة !

الحلقة تضيق حول القاتل !

◆ **وحين** وصل الركب الى منزل الاسرة فى باكور كان القلق قد استولى على أفراده جميعا ، الذين لم يملكوا الا أن يذكروا الحركات المريبة السابقة التى بدرت من بينوى أثناء اصابة آمار بالتسمم فى « ديوجار » !٠٠ ورغم الاحترام، الشبيه بالتقديس، الذى يكنه الهندوس لاكبر أفراد أسرهم من الذكور ، فان ريبتهم بدأت تتجه نحو بينوى ! **وفى اليوم التالى تلقت الاسرة خطابا**

من أحد أصدقاء آمار الذين رأوا الاصابة عند توديعه فى المحطة، يلح فيه على صديقه أن يبادر بالعودة الى كلكتا لاجراء الفحص الطبى اللازم والاحتياط لما عساه قد يحدث ..

وعاد آمار بالفعل يوم ٢٩ نوفمبر ، وذهب من فوره فاستشار أحد كبار أطباء المدينة ، وعرض عليه مكان الاصابة ، فلم يهتد الطبيب الى تفسير للحادث الغامض ، أو يستطيع تحديد المادة التى وخزت بها الذراع !

.. حتى أصيب آمار فى اليوم التالى بحمى شديدة وألم فى ابطه ، فأرسل طبيبه يستدعى طبيبا محللا ليزرع عينة من دم المريض ، بغية اكتشاف نوع المرض الذى أصابه ..

الجريمة .. والعقاب

◆ **لكن** جهود الاطباء جميعا فشلت فى انقاذ الشاب التعس ، فلفظ أنفاسه فى الصباح الباكر من يوم ٤ ديسمبر !.. وطبقا لتقاليد البلاد ـ التى تناسب طقسها ـ نقلت الجثة فى اليوم ذاته الى شاطىء النهر للاحتفال بحرقها .. وأقبل بينوى ليرى أخاه، للمرة الاولى والاخيرة منذ حادث المحطة ، وبدت عليه اللهفة لمعرفة نتيجة تحليل عينـــة الدم التى كانت تحت الفحص الميكروسكوبى بمعامل كلية طب المناطق الحارة بكلكتا ..

وظهرت النتيجة ، فاذا الدم ملوث بجرثومة الطاعون !.. وتساءل الاطباء : من أين أخذ المجنى عليه العدوى ؟ ان تقارير وزارة الصحة تثبت خلو منطقة كلكتا ، ومنطقة باكور ، من أى أثر للمرض فى ذلك الحين !؟

وضمت أجزاء القصة بعضها الى بعض ، بمنتهى الحذر والدقة المأثورتين عن رجال القضـاء .. فتمخضت المحاكمة عن حكم « بالاعدام » على كل من القاتلين : بينوى ، والدكتور تارا .. ثم عدل الحكم بعد النقض الى الاشغال الشاقة المؤبدة .. ربما امعانا فى تعذيب الآثمين !

سبب اطمئنانه !

◆ **التقى** يوما ولى عهد انجلترا الدوق أوف يورك بملكها فى ذلك العصر تشارلس الثانى ، ولم يكن يحرس موكب الملك غير حارسين فقط ، فأبدى ولى العهد دهشته من تعريض الملك حياته للخطر على هذا النحو ٠٠ وعندئذ أجابه الملك تشارلس :

ـ ما من أحد يمكن أن يقدم على اغتيالى كى يجعلك أنت ملكا !

حصافة السياسى

◆ **تحدث** دزرائيلى الى صديق له عن سر حظوته لدى الملكة فيكتوريا والمكانة التى بلغها بفضل هذه الحظوة فقال :

ـ انى عند ما أتحدث الى الملكة أراعى دائما قاعدة بسيطة من قواعد اللياقة : هى أن لا أنكر ٠٠ ولا أعترض أو أناقض ٠ وأحيانا أصطنع النسيان !

وفى مرة أخرى تحدث دزرائيلى فى الموضوع ذاته فقال:

ـ ان جلادستون يخاطب الملكة كما لو كانت مصلحة عامة من مصالح الحكومة ٠٠ أما أنا فأعاملها باعتبارها امرأة قبل كل شىء !

السفاح الاعظم

◆ **على** أثر سلسلة انتصاراته العسكرية المتتالية ، قام نابليون يوما بزيارة بلجيكا المحتلة التى أخضعها بجيوشه، وفيما هو يمر بموكبه فى أحد شوارع مدينة « جنت » رأى قوسا من أقواس النصر التى أقيمت احتفاء به، وكانت قد أقامته نقابة القصابين ، وكتبت عليه هذه « التحية » :

« من جزارى مدينة جنت الصغار الى نابليون ٠٠ الجزار الاعظم ! »

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

فى اعداد السنة الاولى من «كتابى» استخرجت لك من كنوز الكتب القديمة على التوالى :

«ديكاميرون» تأليف بوكاشيو
«دون كيشوت» تأليف سرفانتس
«الالياذة» تأليف هوميروس
«اميل» تأليف جان جاك روسو
«حى بن يقظان» تأليف ابن طفيل
«روبنسن كروزو» تأليف دانييل ديفو
«غرام الاخوين» تأليف (كاتب فرعونى مجهول)
«يوتوبيا» تأليف توماس مور
«الجمهورية» تأليف افلاطون

وفى العدد الماضى قدمت لك الجزء الاول من كوميديا (دانتى) الالهية ، وهو «رحلة الجحيم» .. واليوم تقرأ معى الجزء الثانى منها وهو «المطهر» ، يليه فى العدد القادم باذن الله الجزء الثالث والاخير : « الفردوس » .. وبعده نستأنف سياحتنا معا عبر الاجيال والاقطار فتقرأ معى فى هذا الباب :

الاوديسة : هوميروس
الامير : مكيافيللى
العقد الاجتماعى : جان جاك روسو
السياسة : ارسطو
البخلاء : الجاحظ .. الخ

دانتي
الكوميديا الإلهية
٢ - المطهر





بين الجحيم .. والفردوس !

◆ فى ((كتابى)) السابق صحبنا شاعر ايطاليا العظيم ((دانتى)) فى رحلته الخالدة فى طوابق الجحيم ، وهى الرحلة التى بدأها يوم الجمعة الحزينة - السابقة لعيد القيامة عند المسيحيين - وكان يرافقه فيها استاذه ورائده الشاعر اللاتينى القديم ((فيرجيل)) ..

فلما كان فجر يوم الاثنين التالى للعيد - والموافق ليوم ((شم النسيم)) عندنا فى الشرق - خرج الشاعران من أغوار الجحيم الرهيب الى الفضاء الرحيب .. خرجا ليرتقيا جبل ((المطهر)) الذى يفضى الى الفردوس الارضى أو ((جنة عدن)) ، الواقعة فوق قمته !

ولهذا الجبل قصة أوردها دانتى فى السطور الاخيرة من رحلة ((الجحيم)) ، وتتلخص فى أن الجبل المذكور قد برز من باطن الارض حين ألقى ((ابليس)) من السماء الى مركز الارض ، فغاص جذعه الاعلى فى الجحيم ، وانطبقت عليه الارض تاركة فجوة ضخمة تمدد فيها الجزء الاسفل من جسمه !.. لكن سقوط الشيطان من السماء وغوصه فى باطن الارض على هذا النحو أحدث فى طبقات الارض اختلالا وفراغا جعلا جزءا من مادتها يبرز الى أعلى فى صورة ذلك الجبل المدرج الذى صار طريقا يصل بين الجحيم والفردوس ، ويقضى فيه البشر مدة تكفيرهم عن خطاياهم بعد الموت ، قبل أن يستحقوا دخول الفردوس الموعود الواقع فوق قمته !

وقد رأينا أن الشاعرين حين دخلا مملكة الجحيم ، طالعا على بابها هذه العبارة المروعة :

- ايها الداخلون من هذا الباب ، ودعوا عنده جميع الآمال !

أما المطهر ، الذى سيجوس الشاعران خلاله بعد حين ، فالامل يتنفس فيه فى كل شىء ، ويملأ كل مكان .. ولئن كانت أرواح من فيه تشعر بوطأة العذاب ، فهو عذاب الندم على ما سلف ، والشوق الى الخلاص من الاوزار والخطايا التى وصمتهم والتصقت بهم .. وهو لهذا عذاب يخالطه الفرح ، ونقمة باطنها نعمة ، ومحنة فى طيها متعة مأمولة !

درجات الخطايا السبع !

◆ **والمطهر** سبع طبقات، تتدرج على سفح جبل شامخ، كل من عليه يسعى لتسنم القمة ، موقنـا انه يتخلص فى كل خطوة يرقاها من وزر ، حتى اذا نفض عنه كل قبيح دنس من بقايا الحياة الدنيا ، وصل الى الذروة ، التى لا يفصلها عن فردوس النعيم الا خطوة ٠٠!

وكان النهار يوشك أن ينبثق ، حين وقف دانتى وفرجيل عند سفحه ومن فوقهما سماء صافية الاديم، ومن تحتهما بحر مترامى الآفاق، هادىء الموج، نشرت عليه أشعة الفجر غلالة من الارجوان أشاعت فى نفسيهما الشاعرتين بهجة ونشوة ، استمرآها برهة طويلة ٠٠ الى أن أفاق دانتى من هذه السبحة فى سماء الجمال ، فاذا به يتبين انه وفيرجيل ليسا وحيدين ٠٠ فعن كثب منهما شيخ وجهه يضىء كأنه قرص الشمس ، وشعره الاشيب الطويل يغطى كتفيه ، ولحيته الطويلة البيضاء تغطى صدره ٠٠

كان هذا الشيخ الجليل هو الكاتب اللاتينى الالمعى «كاتو»، وقد وكل اليه الآن باب المطهـــر ٠٠ فلم يكد يلمح الشاعرين حتى صاح بهما :

ـ من أنتما ؟ وكيف أفلتما من الجحيم ؟

فأشار فيرجيل الى دانتى أن اركع على ركبتيك أمام هـــذا الشيخ ، ثم التفت هو الى الشيخ وقال له :

ـ لقد هبطت الى من السماء روح سيدة طاهرة فبعثتنى الى هذا المكان ، فأتوسل اليك أن تسمح لى باختراق طبقات المطهر السبع التى تحرس جبله الاشم ، كيما أقود الى تلك الروح هذا الانسان الذى استودعتنى اياه ٠٠

ـ يكفيك أن قدمت التماسك باسم روح طاهرة ، فاذهب ٠٠ ولكننى أوصيك بأن تطوق خاصرة رفيقك بقصبة مما ينمو على شاطىء البحيرة ، وأن تغسل فى مائها وجهه حتى تمسح آثار

الدموع والدخان التى علقت به من رحلته الاخيرة فى الجحيم حتى اذا طلعت الشمس وعلت فى كبد السماء ، فسترى واضحا أمامك النهج الذى يعينك على الصعود فى شعاب هذا الجبل ٠

واختفى كاتو ، فانصرف فيرجيل الى تنفيذ ما أمره به هذا الشيخ الجليل ، حتى اذا فرغ منه أدهشه أن يشع من وجه صاحبه دانتى نور عجيب أسبغته عليه تلك القصبة التى تمنطق بها ، والتى لم تكن غير « نبات التواضع » ، الذى ما اتصف به انسان الا أضفى عليه بهاء نادرا ٠٠

أرواح الموتى الجدد ٠٠

◆ **فى** هذه اللحظة بدت عند انطباق السماء فوق لجج البحيرة بارقة نور راحت تقترب منهما ، وتنمو كلما اقتربت ، حتى استوت على القرب منهما ملكا ذا جناحين ، فركع فيرجيل خاشعا وضم راحتيه فوق صدره ٠٠

كان هذا الملاك ربان السماء ، وقد وقف فوق قارب كان يقوده بغير مجذاف ، متخذا من جناحيه شراعا له ٠ وكانت فى القارب أكثر من مائة روح طاهرة ، هى أرواح من ماتوا ليومهم ، أتى بهم الملك ليجتازوا جبل المطهر الى نعيم الجنة ، ولم يكد هؤلاء ينزلون الى الشاطىء حتى هجم واحد منهم على دانتى وراح يقبله ويعانقه (فقد كان صديقا له من أهل فلورنسا يحترف الموسيقى ٠٠ وكم من مرة لحن وعزف مقطوعات دانتى الغزلية فى حبيبته بياتريس !) فطلب اليه دانتى الآن أن يغنى له شيئا من هذه المقطوعات ، فارتفع غناؤه قويا صاخبا تتردد أنغامه الذهبية بين الجبل والماء والسماء، لا يقف دونها حائل ٠٠ الى أن ظهر كاتو فانتهر السمار وأمرهم بأن يبدأوا رحلة الصعود الى قمة الجبل فورا ، فأطاعوا ومن خلفهم الشاعران فيرجيل ودانتى ٠٠

ولاحظ دانتى شيئا غريبا : فقد نظر الى قدميه وهو يرتقى الجبل فلم ير له ولاستاذه الا ظلا واحدا ، بيد أن أستاذه طمأنه

الى أن الارواح ليس لها ظلال شأن الاجساد الارضية ، ولهذا كان لدانتى ظل ولم يكن لفيرجيل أى ظل !

عاقبة الكسل !

وأخيرا بلغ الشاعران البداية الحقيقية لسفح الجبل ، فاذا به يرتفع شامخا شاهقا ، حتى ليقنط الناظر اليه من قدرته على ارتقائه بغير جناحين !٠٠ ولكن كان يتخلله طريق ضيق ، هو المسلك الوحيد لمن يروم الصعود ، فانطلقت اليه الارواح وانطلق فى اثرها الشاعران ٠٠ وقد أخذ فيرجيل يطمئن دانتى قائلا :

ـ لا يأخذن منك الوهن ! فان أشق مراحل الارتقاء في جبل المطهر هي المرحلة الاولى، اذ كلما أمعنت في الصعود قلت المشقة، فاستجمع عزمك فانك واصل الى الراحة عما قليل ٠٠!

ووجدا فى منعطف من الدرب صخرة كبيرة عليها ملاك ، وقد جلس فى ظل الصخرة عدد من الارواح ، عرف دانتى من بينهم عازفا من أهل فلورنسا كان معروفا بافراطه الشديد فى الكسل، فسأله دانتى عن سبب قعوده عن الصعود ، فقال « بيلاكوا » :

ـ لقد منعنى هذا الملك الواقف ، وفرض على أن ألبث هنا عددا من السنين مساويا لما قضيته فى الحياة الدنيا عبدا للكسل والوخامة !

وفارقه دانتى لاحقا بأستاذه ٠٠ وسرعان ما أخذ الليل يرخى سدوله ، وكان الصعود فى الظلام ممنوعا ، فانعطف الشاعران الى واد أخضر مزهر أوت اليه جموع الارواح وهى تنشد المدائح والاناشيد الدينية والمزامير ٠٠

ونام دانتى ، فرأى فيما يرى النائم أن سيدة نبيلة اسمها « لوسى » قد هبطت الى الوادى فقالت لفيرجيل : « سأحمل هذا النائم الى مكان يسهل منه الصعود ٠ » ثم حملته بين ذراعيها كأنه طفل رضيع ، الى أن أبلغته باب المطهر ، فلما استيقظ وجد نفسه مع أستاذه عند ذلك الباب الذى كان فى حيرة كيف يجد السبيل اليه فى شعاب ذلك الجبل ٠

باب المطهـــر

◆ **وكانت** تفصلهما عن ذلك الباب ثلاث درجات ، جلس فوق أعلاها ملك يرمق الشاعرين بنظراته الثـابتة الثاقبة ، ثم سألهما لماذا لا يصحبهما دليل سماوى ، فأجابه فيرجيل « ان القديسة (لوسي) قالت لنا أن نحضر الى هذا الباب ، أفليس فى هذا الكفاية يا سيدى ؟ » .. فهش لهما الملك وقال فى لطف وبشاشة : « فلتحرسكما القديســة الطاهرة فى صعودكما ! »

وكانت الدرجة الاولى من مرمر أبيض ، ناعم لامع ، استطاع دانتى أن يرى فى صفحته وجهه كأنه مرآة من البلور !.. أما الدرجة الثانية فكانت من حجر بنفسجى صلد ، وقد شقت طولا وعرضا شقا عميقا ، وأما الثالثة فكانت من حجر أحمر يشع منه فى الضوء لمعان خاطف ووهج يعشى الابصار ! وكان الملك جالسا على صخرة مرتفعة فوق ذلك الحجر الوهاج ، وقد ارتدى ثوبا رماديا ـ يكاد يحسبه الناظر منسوجا بالفعل من الرماد ـ وكان فى يده صولجان !

وأشار فيرجيل الى دانتى باسما ، فانطرح دانتى على وجهه عند قدمي الملك ، ودق صدره بيده ثلاث مرات ، متوسلا اليه أن يفتح له الباب كى ينفذ منه الى المطهر ، فانحنى الملك فوق الشاعر ثم نقش على جبينه بسن سيفه حرف الخاء سبع مرات ـ وهو الحرف الاول من حروف كلمة « الخطيئة » ! ـ وقال له : « اياك أن تنسى بعد أن تدخل من هذا الباب أن تمحو آثار هذه الحروف عن جبينك » .. ثم فتح الملك الباب بمفتاحين من ذهب ومن فضة وقال له : « أدخل ، ولكن حذار حذار أن تنظر خلفك ، والا طردت ! »

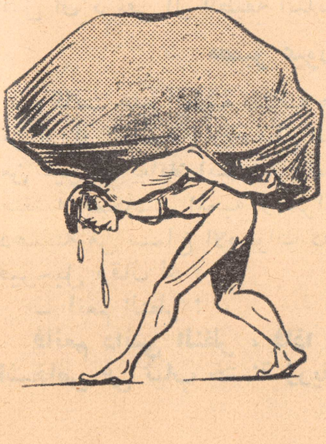
ودار الباب على عقبيه فكان لدورانه صرير أشبه بقصف الرعد ، ودخل الشاعران من عتبته ، ثم انصفق وراءهما الباب .. ولم

يلتفت دانتى خلفه عملا بوصية الملك ، وان يكن تهـادى الى سمعهما صوت كانت تحمله نسمات الهواء فى ذلك المكان :

ـ نعظمك نعظمك ونحمدك يا الله !

الغرور أرذل الشرور !

ثم انقطع الصوت وساد المكان سكون عميق ٠٠ فقاد فيرجيل صاحبه الى ممر ضيق راحا يصعدان فيــه الى أن بلغا هضبة واسعة ، كانت هى أول طبقات المطهر السبع ، وكان سهلها المنبسط محوطا بسور عال من المرمر ، ناصع البياض ، منقوشة فيه تماثيل بالغة حد الروعة ! فحدق دانتى فيها ، وقد بدت له تلك التماثيل نابضة بالحياة ، وأرهف أذنيه لعله يسمع لها حديثا تتناجى به فيما بينها ٠ ولكنه لم يسمع الا صوت أستاذه فيرجيل ، ينبهه الى أشباح تتقدم نحوهما فى بطء شديد ، فنظر دانتى نحوها ٠٠ فاذا قوم قد أثقلت كواهلهم بأحجار هائلة ، حتى كادت وجوههم تمس تحت وقرها صـفحة الارض !٠٠ وهـؤلاء هم الذين كانوا فى دنياهم من ذوى الكبرياء والغرور، فصار عقـابهم فى المطهر أن يتعلموا كيف يكون التواضـع والانكسار !



◆ **وظهر** فى تلك اللحظة ملك عليه ثوب أبيض ناصع البياض كالثلج، يلمع وجهه كأنه كوكب الصـباح ، وقال للشاعرين :

« اتبعانى فان السلم قريب من هذا المكان، والمرتقى بعد الآن

سهل لا مشقة فيه »٠٠ ثم قادهما الى سلم غير مستوى الدرجات، وانصرف عنهما ٠ وفيما كان الشاعران يصعدان نحو الطبقة الثانية من طبقات المطهر ملأ سمعهما صوت جميل ليس فى أصوات البشر من أهل الارض ما يدانيه رقة وعذوبة ٠ وكان ذلك الصوت الساحر يشدو منشدا :

ـ طوبى للمتضعين ، لان لهم ملكوت السموات !

فقال دانتى لاستاذه فيرجيل : « أترى قد رفعوا عن كاهلى وقرا كان يثقله ؟ فاننى أحس أن الصعود صار لا يكلفنى مشقة ، رغم انى أرى وعورة هذا السلم ! »

فأجابه فيرجيل : « لقد نقش حارس باب المطهر على جبينك حرف الخاء سبع مرات ، فلما اجتزت الطبقة الاولى محى من جبينك أحدها ، فاذا بك تجد مشقة الصعود وقد خفت ، فأبشر انه كلما محى من جبينك حرف تبدل العناء سهولة ويسرا ٠٠٠! »

فوضع دانتى يده على جبينه وتحسسه بأنامله ، فلم يجد فوقه الا ست « خاءات » ، فأدرك أن الخطيئة الاولى من الخطايا السبع الكبرى ، وهي الكبرياء ، قد محيت من نفسه وبرأ منها فؤاده قبل أن يرتقى الى الطبقة الثانية ٠٠

مصير عيون الحاسدين !

وكانت هذه الطبقة الثانية هى المكان الذى يغتسل فيه الخطاة من أوزار الحسد ! وقد قطع الشاعران فيها فرسخا أو نحو ذلك من غير أن يقابلا انسيا ، وانما هى أصوات تصل الى سمعهما متغنية بمحاسن المحبة والتراحم والمودة ٠ وحين أبدى دانتى دهشته من سماع الاصوات دون أن يرى أصحابها ، ابتسم فيرجيل وقال له :

ـ أنعم النظر !

فأنعم دانتي النظر ، فاذا صخور متباعدة وقد وقف عليها أشخاص فى ثياب خشنة زرية ، يلتفتون الى الشاعرين بوجوه

حزينة ٠٠ فتفرس دانتى فى تلك الوجوه ، فاذا عيونهم مقفلة ، وقد حيكت أجفانها بخيوط من الحديد ، جزاء وفاقا لما اتصفوا به من حسد للناس بعيونهم الشريرة !

وبدأت ظلمة المساء تخيم على أرجاء المكان ، وبدا للشاعرين مخلوق سماوى أشد بهاء من أشـعة الشمس بحيث بدد من أمامهما الظلمات ، فصاح فيرجيل : « هذا ملك من ملائكة الله قد هبط الينا ليرشدنا الى الطريق » ٠٠ وهنا فتح الملك فمه قائلا : « ان الطريق الذى ستسلكانه الآن أيسر من كل الطرق التى سلكتماها » ثم أحس دانتى بحفيف جناح الملك فوق جبينه، فتحسسه ، فاذا أحرف الخطايا وقد صارت خمسة ! وتهادى الى أذنيه صوت تحمله أنسام الهواء ينشد بنغم ساحر :

– طوبى للرحماء ، لانهم يرحمون !

وهكذا بلغ الشاعران الطبقة الثالثة من طبقات المطهر ، وهى موضع مظلم كثير الضباب ، يملأ حلق السالك فيه بالمرارة ، وله فى الاعين لذعة تقرح الجفون ٠ فلم يستطع دانتى لهذا السبب أن يتبين شيئا ، فخف أستاذه فيرجيل الى نجدته ، قائلا له : « أنت منى بمثابة الولد ، فتوكأ على كتفى أهديك الى الطريق٠٠»

وأطاع دانتى شاكرا ، فراح فيرجيل يحدثه بخبر من فى هذه الطبقة من الخطاة ، أولئك الذين اتصفوا فى دنياهم بسرعة الغضب !

فى وادى الانين ٠٠!

◆ **وظل** الشاعران يجدان السير فى هذا الجو الخانق ، وأصوات التضرعات من المتطهرين تملأ سمعهما ، الى أن بدا لهما عند الافق نور أشد سطوعا من كل ما شهدته عيناهما من قبل ٠ وكان ذلك أيضا ملك آخر جاء يسدى اليهما النصيحة ويعينهما على دخول الطبقة الرابعة !٠٠ وفيما هو يقودهما اليها ، سمعا صوتا رائعا يتغنى منشدا بنغم سماوى :

ـ طوبى للودعاء ، لانهم يرثون الارض !

وشعر دانتى فى هذه اللحظة بحفيف ريش الملاك فوق جبينه، فتحسسه فاذا الاحرف الباقية لا تزيد على أربعة !

عقاب المستهترين !

◆ **وخيم** الظلام ، وكان التعب قد نال من الشاعرين، فجلسا يستريحان حتى مطلع الفجر، وكان هذا الموضع الرابع من مواضع المطهر مخصصا ليكفر فيه المستهترون عن ذنبهم ، ولم يكن ذلك التكفير الا تعويدهم العمل الدائب حتى يقلعوا عن استهتارهم وكسلهم . ولهذا كان أول ما لاحظه دانتي حين استيقظ من نومه مع الفجر ، هو تلك الارواح الكثيرة المتدافعة ، تجرى ما وسعها الجرى ، وتعدو حتى لا تكاد أرجلها تمس الارض !..

وحاول فيرجيل أن يستوقف بعضها كى يسألها عن الطريق ، فكان الجميع يجيبونه وهم منطلقون لا يلوون على شىء : « أتبعنا، تصل الى قمة الجبل ! »

بيد أن وقع هذه الاقدام الكثيرة الراكضة كان كأنه موسيقى منومة، فلم يلبث دانتى أن استسلم للنعاس .. ولم يستيقظ الا فى الضحى ، على صوت فيرجيل يهتف به :

ـ قم يا بنى ! لقد حاولت ايقاظك ثلاث مرات قبل هذه المرة فلم تستيقظ .. فانهض نبحث عن السلم الذى يفضى بنا الى الطبقة الخامسة .

ونهض دانتى ، وسار مع أستاذه مطأطىء الرأس ، الى أن أخرجه من لجة خواطره صوت عذب رائق يهيب به وبصاحبه :

ـ من هنا !

فاذا أمامهما درجات السلم التى يبحثان عنها ، فأخذا فى الصعود ، ثم حفت ذوائب جناح الملك بجبين دانتى ، فمحت من عليه حرفا رابعا ، وأنشد الملك :

ـ طوبى للحزانى لانهم يتعزون !

الخطيئة الخامسة : التقتير !

وهكذا دخل الشاعران خامس طبقة من طبقات المطهر ، حيث يقيم الذين أحبوا المال فى دنياهم حبا جما ! وكان أولئك الخطاة منبطحين على الارض ، يعولون ويولولون ، صارخين صائحين : « نفوسنا منسحقة ، تلعق التراب لا التبر ! »

وكان دانتى وهو يقطع الطريق يتحدث الى نفر منهم بعد نفر ، الى أن حدث ما بهر نفسه فجأة فخرس، والتفت الى أستاذه مروعا .. ذلك ان الجبل ، جبل المطهر كله ، كان قد أخذ يميد من أساسه، كأن به رعدة مقرور ، وارتفع من جميع طبقات المطهر صوت واحد مجلجل كالرعد :

– المجد لله فى الاعالى !

فلما سكت الصوت عاد كل شىء سيرته الاولى ، واستأنف الشاعران مسيرهما كسالف شأنهما ، لولا ما تملك قلبيهما من خوف ووجل . وكان دانتى على الخصوص مشوقا أن يعرف سر تلك الرعدة التى ماد بها الجبل الراسى ، وسر هذا الصوت المجلجل الذى انبعث من جميع الارواح الساكنة فيه ، وما أسرع ما تحققت تلك الرغبة، فاقترب من الشاعرين روح حياهما بقوله: « ان ربكما يقرئكما السلام ! »

فأجابه فيرجيل جوابا حسنا يفيض أدبا ومودة ، ثم سأله عن سر رعدة الجبل ، فقال الروح : « **ان المطهر مكان لا عواصف فيه ولا أنواء ، ولا زلازل ولا براكين ، ولا مطر ولا جليد ، وما من ريح مهما اشتدت تستطيع أن تميد هذا الجبل ، ولا من زلزال يجد الى تحريك رواسيه سبيلا . ولكن اذا أتمت روح من أرواح سكانه مدة تكفيرها، واستوفت تطهرها، وأشعرت انه قد رخص لها باجتياز أعتاب الجنة** ، كانت فرحتها بذلك الرضوان كافية لزلزلة الجبل الراسى ، وانطلاق صيحات الارواح جميعا تمجيدا لله . واعلما أيها الاخوان أن هـــذه الروح التى أتاها فضل

الله فى هذه الساعة هى التى تسعد بخطابكما الآن ، بعد تكفير دام خمسمائة سنة ! »

فقال له دانتى :

— من أنت ؟

— انى شاعر لاتينى عاش فى عهد القيصر « تيتوس » ، بعد وفاة الشاعر الاكبر فيرجيل بمائة عام ، وقد أخذت الشعر عن ديوان هذا الشاعر ، وتفوقت على جميع شعراء عصرى، فاستدعانى الامبراطور الى روما ، وتوجنى بأكليل الغار فى حفل حافل — وتلك غاية تتطاول اليها الاعناق ، وتقصر دونها الهمم — فلم آسف فى الدنيـــا على شىء الا على أننى خلقت فى عصر غير عصر أستاذى العظيم فيرجيل ، وان لهفتى على لقائه لتحملنى على الاستهانة بعام آخر أقضيه فى المطهر لو كفى ذلك ثمنا للقاء هذا الاستاذ !

فلما أفصح له دانتى عن شخصية صاحبه، ارتمى « استاتش » على قدمى أستاذه فقبلهما وهو يهتف فرحا :

— اليوم أتم الله على نعمته !

ثم انطلق الشعراء الثلاثة نحو الطبقة السادسة من طبقات المطهر ، وهى التى لا تعلوها الا طبقة واحدة ، تليهـــا جنات الفردوس !

بعد الشراهة .. الحرمان !

◆ **وعند** بداية السلم وقف ملاك محا عن جبين دانتى حرفا خامسا ، فلم يبق فوقه الا حرفان . وتهادى الى أسماع الشعراء الثلاثة صوت المنشدين :

— طوبى للجياع الى البر ، لانهم يشبعون !

فقد كانت هذه الطبقة السادسة هى الموضع الذى يكفر فيه أهل النهم والشراهة عن ذنبهم !

ورأى أصحابنا شجرة رائعة باسقة فى وسط الطريق ،

أغصانها العليا مثقلة بثمر ناضج شهي عبق الرائحة، أما أغصانها الدنيا فمجردة من كل ثمر ! وكان ثمة جدول رقراق ينصب من صخرة عالية على قمة الشجرة فترتوى منه الاغصان العليـــا وتترعرع ، أما الاغصان الدنيا فجافة أدركها الموت !

ووقف الشعراء الثلاثة ينظرون أمر هذه الشجرة العجيبة ، فرأوا أرواح المعذبين تحوم حولها ، وقد حرم عليهم أن يمدوا أيديهم الى ثمرها اليانع ، وأن يرطبوا أفواههم بماء جدولهـــا الرقراق ! **وكان الجوع والعطش قد أخذا منهم كل مأخـــذ ، فاصفرت وجوههم ، وزاغت أبصارهم ، وبدت من الهزال كلاهم، وبرزت أضلاعهم ٠٠ ولكن عذابهم بسابق ذنبهم أشد مع ذلك من عذابهم بحاضر عقابهم !** فهم لا يطلبون الطعام والشراب ، وانما همهم فى طلب المزيد من العذاب ، حتى يتموا ما كتب عليهم منه ، ويخلصوا من أوزارهم فيلحقوا بالرفيق الاعلى ٠٠ فلم يكونوا ليفتحوا أفواههم الا بدعاء واحد : « ربنا رطب شفاهنا لتسبح بحمدك ، فما بنا من جوع الا الى برك ٠٠ »

عدالة السماء ٠٠ لا ترحم !

◆ **واستأنف** الشعراء الثلاثة المسير فاذا شجرة أخرى مثقلة كسابقتها بالثمرات اليانعات ، ومن تحتها آلاف من الارواح تمد الى الثمر أيديها فلا تصل اليه ولا بشق النفس !

وهم ثلاثتهم أن يقفوا ، وقد تأثرت قلوبهم الرقيقة بهذا المشهد، لولا صوت لا يدرون مصدره انتهرهم وأمرهم باستئناف المسير ! ثم بدا لهم ملك مشرق الجبين كأنه أتون متوهج ، فأشار لهم الى منعطف. وشعر دانتى بنسيم عليل معطر الذيول يكتنفه، حتى ليذكره بأنسام الربيع فى رياض فلورنسا الفيحاء ، وهى موطن رأسه ٠٠ ثم أحس بحفيف لطيف على جبينه ، وانمحى الحرف السادس ، فلم يبق عليه غير حرف واحد !

وصافح أسماعهم فى مدخل الطبقة السابعة ترتيل الملاك :



– طوبى لصانعى السلام ،
لانهم أبناء الله يدعون !

وبالغا ما بلغ الهول والعناء فى كل ما مر به دانتى خلال رحلته هذه ، فقد بدا له ذلك الطريق الاخير أشدها وعورة وأشقها مسلكا : فالى جانب كانت هناك هوة فاغرة فاها ، والى الجانب الآخر نار ذات لهب ، كأنها نار حداد تبيض فى لظاها قضبان الحديد حتى لتوشك أن تستحيل سائلا مصهورا !

بين النار ٠٠ والهاوية !

ولا بد لجميع الارواح المطهرة أن تمر بين هذين الخطرين على صراط ، كيما تصل الى أبواب الفردوس ٠٠ وكما تجلو النار معدن الذهب فيصفو جوهره من الاكدار ، كذلك لا محيص لجميع الارواح من المرور بهذه النار لتجلو لها نفوسها وتبلوها بلاء أخيرا ، حتى تخرج منها أصفى جوهرا وأجدر بالنعيم المقيم ٠٠

ونظر دانتى فرأى الهوة ، وأصابه من ذلك دوار ، فقد كانت هوة ما لها من قرار ٠٠ فانصرف عنها الى الجهة الاخرى ، فخيل اليه انه واقع فى النار ! فكان فيرجيل يوجه اليه الحديث بين الحين والحين مشجعا ومحذرا ٠٠

وكانت الشمس قد مالت الى الغروب ، فظهر للشعراء الثلاثة ملك من ملائكة الرحمن ، وأنشد مرتلا :

– طوبى للانقياء القلب ، لانهم يعاينون الله !

ثم محا بطرف جناحه الحرف الاخير من فوق جبين دانتى ٠٠ وخاطب الثلاثة قائلا : « لا تتقدموا خطوة واحدة الا اذا اخترقتم

النار المطهرة . فاذا دخلتم فيهـــا فأنصتوا من أين يأتيكم الانشاد .. »

ووقف دانتى برهة مبهوتا مبهور الانفاس .. ثم ضم قبضتيه فوق صدره وخطا مبتعدا عن النار ، فاذا الهاوية ، فارتعـــدت فرائصه.. واذ ذاك قال له فيرجيل : « **أى ولدى ! قد تجد للنار حرارة وألما ، ولكن لا خوف عليك فلن تمس شعرة من رأسك . واذا كنت فى شك من قولى فقرب هدب ثوبك من هذه النار ، تجدها لا تحرقه ! فلتدع عنك القلق والخوف ، ولتدخل النار المطهرة بجأش رابط ونفس مطمئنة ..** »

لكن دانتى ظل على تردده ، وعندئذ قال له أستاذه : « تذكر يا ولدى أن هذه النار هى آخر ما يفصلك عن حبيبتك بياتريس.. »

يدخل النار .. ليلقى حبيبته !

ولم تكن به حاجة الى مزيد ، فقد كفى اسم بياتريس وحده حيث أخفقت هيبة الاستاذ واغراء الوعود والآمال العراض !

ودخل الثلاثة النار ، وراح فيرجيل وهم يجتازونها يحدث دانتى عن بياتريس ، كى يشدد عزمه .. بينما راح صوت ينشد من الجهة الاخرى :

ـ تعالوا ! تعالوا يا أحباء أبى !

فاتجه الشعراء الثلاثة على هدى ذلك الصوت الى أن اخترقوا حجاب النار ، فوجدوا سلما يصل الى قمة الجبل العليا، فأسرعوا نحوه ليرتقوه، بيد أن الظلمة خيمت قبل أن يمعنوا فى الصعود، وكان الكلال قد نال منهم بعد هذه الاهوال الشداد ، فانطرح كل واحد منهم فوق درجة من درجات السلم واستسلموا للنعاس، تحت سماء مرصعة بالنجوم ، صافية الاديم ..

فلما فتح دانتى عينيه عند اليقظة قال له أستاذه فيرجيل :

ـ انك اليوم سترى حبيبتك بياتريس !

ثم راح الشعراء الثلاثة يرتقون بقية الدرج ، حتى اذا بلغوا قمة الجبل العليا ، قال فيرجيل لتلميذه : « لقد انتهت مهمتى في ارشادك ، وان بقيت بعض الوقت معك ، فأنت متروك منذ الآن لوحى ارادتك ، تتنزه أو تستريح حسبما تحب ، الى أن تهبط بياتريس للقائك ! »

حسناء ٠٠ فى الجنة !

◆ **ودخل** دانتى غابة « عدن » ، فاذا هى ليست كغابات الارض معتمة موحشة ، وانما هى أشبه ببستان بهيج يرقص النور فى جنباته !٠٠ **وكانت الشمس قد بدأت تنهض من وراء الافق، فصافحت وجه دانتى نسائم الفجر المعطرة بروائح الجنة، والمحملة بأغاريد الطيور التى تختلط فى الاسماع بحفيف الاشجار ٠٠ وكان يخترق الغابة المقدسة جدول رقراق ، جلس دانتى عند حافته وسرح بصره عبر مياهه الصافية نحو الشاطىء المقابل الذى تكسوه الازهار على مدى البصر ٠٠ فاذا وسط الورود حسناء أرشق منها عودا ، وأنضر حسنا ، وأفوح عطرا ، تقطف الزهر وتغنى وهى سائرة بأعذب صوت ٠٠ انهـا « ماتيلدا » حسناء عدن !**

واستجابة لتوسل دانتى تدنو ماتيلدا من الغدير وقد أرخت عينيها وأسدل الخفر أجفانها ، بينما الاغنية على شفتيها تزداد علوا ووضوحا ٠٠ ثم رمته بنظرة من عينيها الضاحكتين أيقظت فى قلبه نشوة ناعمة ! لكن الحسناء بادرت فردته فى رفق الى صوابه ، وهدته الى مباهج الحب العذرى الصريح الذى يعمر رحاب الجنة !٠٠ ثم عرضت عليه خدماتها ، فسألها عن محبوبته بياتريس ٠٠ واذ ذاك أجابته :

ـ أنظر يا أخى وانصت !

فاذا الغابة وقد غمرها نور ساطع ، واذا طبقات الجو وقد تردد فيها نشيد ملائكي رنان :

ـ يا رب ارحم !

فنظر دانتى الى أعلى فاذا ســبعة شمعدانات من الذهب ، شموعها أبهى نورا من القمر فى سماء خالية من الغيوم ، ومن حول هذه الشمعدانات سرب من المطوبين ، متشحين بالبياض ، ووسط هذه الكوكبة القدسية عربة من عربات النصر المطهمة . وكان ذلك الموكب الفخم يتقدم على مهل فوق طريق من السحائب الذهبية !.. ثم انتصبت واقفة فى هذه العربة قديسة متوجة بزنابق لا تذبل ، وعليها وشاح فى بياض الثلج ، وعلى كتفها غصن زيتون ، وعلى كاهلها طيلسان زبرجدى أخضر ، من تحته ثوب فى لون الارجوان ..

وكانت هى .. بياتريس !

وكما يفزع الطفل الى حضن أمه مروعا أو طروبا ، التفت دانتى نحو أستاذه مبهور الانفاس ، فاذا فيرجيل قد اختفى من جواره ، فاغرورقت عيناه بالدموع لفقــد أستاذه ووالده .. فقالت له بياتريس :

ـ دانتى ! لا تبك على فراق فيرجيل ، فانك سوف تسفح الدمع عما قريب لامور أشد من ذلك لذعا !

لوعة النــدم !

ثم راحت تذكر الشاعر بأنه منذ موتها لم يكن على الدوام ملتزما الصراط ، فلم تخل صحيفته من شوائب.. فطفق الشاعر يبكى ندما وحسرة ، لعلمه بأن تلك الاوزار تثقله فتحرمه الاستمتاع بقرب حبيبته فى مقام الابرار !.. واشتدت عليه وطأة أحزانه فسقط مغشيا عليه تحت أقدام بياتريس !

فلما عاد اليه صوابه وجد السيدة التى كانت تجمع الازهار تجذبه اليها مخترقا ماء جدول ، والملائكة ينشدون :

ـ اغسلنى حتى أغدو فى بياض الثلج !

فلما وصل الى الجهة الاخرى كان ذلك المـــاء قد مسح من سريرته كل أعماله الماضية ٠ ورفعت بياتريس الوشاح عن وجهها ، فشاهد صفاء عينيها وما تفيضان به من ذخائر الحب والرحمة ٠٠ ثم ابتسمت له ، فابتهجت نفسه وانتشى حسه نشوة عارمة محببة !

وهكذا صار دانتى ، بعد أن تطهر بالنار والماء ، أهلا للدخول الى مملكة السماء ، حيث مقام الاطهار الابرار الذين يحفون بعرش اللـــه ٠

وفي العـــدد القادم باذن الله أقدم لك « فردوس دانتى » ، وهو القسم الثالث والاخير من « الكوميديا الآلهية »

يحكى عن العظماء

◆ ان **يوليوس قيصر** كان يرتدى دائما على رأســه اكليل الغار الذى يبدو به فى كل الصور التى تمثله على قطع النقود والمداليات التذكارية ، لسبب واحد بسيط : هو حرصه على اخفاء صلع رأسه !

◆ **وان** الموسيقى الشهير « **هاندل** » كان يفرط فى الاكل الى درجة تكاد لا تصدق ٠٠ فكان اذا جلس ليتناول طعامه فى حانة طلب طعاما لثلاثة أشخاص ، فاذا قيل له ان الطعام معد فى انتظار وصول ضيفيه الآخرين٠٠ صاح حانقا : « من قال لكم انهناك ضيوفا آخرين؟٠٠ انالطعام الذى طلبته سيكون لى وحدى ! »

◆ **ان سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو** ـ فلاســفة الاغريق الاقدمين ـ كانوا يفرطون فى شرب الخمر افراطا عجيبا ، وأن سقراط كان أكثرهم احتفاظا بتوازنه بعد الشراب ٠



تعال معى .. الى "مايوركا"

جزيرة الأحلام

للرحالة الكندية "إيفالين وودريو"

◆ اذا كنت تذكر قصة حياة الموسيقى «شوبان» ، التى قدمتها لك فى العددين ١١،١٢ من كتابى ، فاغلب الظن انك تذكر «شهر العسل» الذى قضاه الفنان الموهوب مع عشيقته «جورج صاند» فى جزيرة (مايوركا) .. فأين تقع هذه الجزيرة ، وكيف يعيش أهلها ، ولماذا اختارها العاشقان مسرحا لغرامهما الخالد ؟.. تعال بنا نزور الجزيرة هذا الشهر ..





◆ **لو قدر** لغريب ان يقترب من شاطىء جزيرة «مايوركا» ـ احدى جزر «البليار» المتاخمة لساحل اسبانيا الشرقى ـ فى وقت القيلولة، ما بين الظهر والعصر ، لخيل اليه انه يشرف على جزيرة اخذتها غشية ، فاذا كل ما فيها جامد بلا حراك !

ذلك لان اغفاءة القيلولة ضرورة من ضرورات الحياة فى الجزيرة ذات الشمس الساطعة ، الدافئة .. فما ان يفرغ القوم من غدائهم ، ومن احتساء بعض كؤوس «البالوس» ـ وهو شراب قومى شبيه «بالروم» المعتق ـ حتى يخلدوا الى سنة من النوم .. وسرعان ما يحذو كل شىء حذوهم ، فتستسلم التلال للنعاس فى احضان الشمس .. وتغفو المرافىء

الصغيرة .. وتهجع القرى والمدن ــ التى تسمى مدنا من قبيل التجاوز ، من فرط صغرها ! ــ كل شىء ينام .. حتى الحياة !

بل ان هذه العادة تسرى حتى الى السياح والزائرين ، فتراهم يقيلون مثلا ــ على الارض ! ــ فى البساتين الايطالية المتناثرة فى بلدة «فورمنتور» ..

شخص واحد هو الذى يظل يقظا فى وقت القيلولة فى «مايوركا» .. ذلك هو رئيس عصابة «المهربين» ، التى تهرب الى الجزيرة كافة انواع السجاير ، والخمور ، والجوارب والثياب الداخلية «النايلون» ، والادوات الطبية .. اذ يظل يرقب قواربه وهى تتسلل الى الميناء الحرة فى «طنجة» ، تسعى وراء شحنات جديدة من المهربات .. !

فقر .. وكرم !

◆ **والحياة** رخيصة فى «مايوركا» ، ولكن .. بالنسبة للاجانب فقط فانت تستطيع ان تستأجر مسكنا لائقا ، تجهزه بأكثر من خادم فى مقابل اربعين دولارا فى الشهر ــ اى حوالى ثلاثة عشر جنيها مصريا ونصف الجنيه (بسعر الدولار الحالى) !ــ بل فى وسعك ان تقطن «فيلا» ذات خمس غرف ، يحيط بها بستان من اشجار اللوز ، بأجر شهرى لا يزيد على الجنيهين !

ولكن نشوة هذا الرخص تطير من رأسك ، اذا ما تبينت مستوى معيشة اهل الجزيرة من الاسبان .. ويكفيك ان تعلم ان العامل يعيش واسرته ــ واسرات العمال دائما كبيرة العدد ــ على ما يعادل اثنى عشر قرشا فى اليوم !

ومع ذلك ، فان الفقر لم يستطع ان يسلب القوم لطفهم وكرمهم .. بل اخال ان اللطف والكرم يزدادان فى نفوسهم بازدياد الفقر والمسغبة .. ولبس فى هذا شىء من المغالاة ، فان اول ما يأخذ الزائر الغريب هو ادب القوم ورقتهم وحسن مجاملتهم .. وهم يذهبون فى ذلك الى حد بعيد .. **فانت فى «مايوركا»**

لا تعدم عجوزا ترتق لك فتقا اصاب حقيبتك ، او عاملا يصلح لك سيارتك حين تفاجأ بعطب ، او رجلا يحمل لك متاعك اذا وفدت على احدى القرى ، فاذا تحولت تدفع شيئا فى مقابل الخدمة ، ردت يدك اليك كما هى منطوية على ما بها من نقود .. وتلقيت انت الثمن : ابتسامة لطيفة ، ودودة ، دافئة !

والواقع ان «مايوركا» تبدو للاجنبى وكأنها تنبعث من دنيا الاساطير والخرافات .. ذلك انك تستطيع ان تحلق فى اجواء الخيال والاحلام فتنسى العالم وتنسى الزمن وانت تجلس فى احد المقاهى الصغيرة التى تواجه موانىء صيد السمك ، او القائمة فى الطرق التى تحف بها اشجار اللوز فى «بالما» — العاصمة — او فى البيوت الحجرية المطلاة بالجير فى بساتين اللوز والبرتقال .. او فى مسكن رخيص فى الدير الرطب فى «فالدموزا» ، حيث نزل قبلك «شوبان» و«جورج صاند» يوما ، فغفلا عن الدنيا ، واستسلما لاحلام واتتهما خلالها اروع آيات الالهام !

انك تنسى نفسك وتنسى الزمن فى هذه الجزيرة الناعسة .. فالوقت رخيص ككل شيء هناك .. والحياة تسير وئيدة ، بطيئة ، يتمثل بطؤها فى كل شيء : فى العربات المصنوعة من الليف ، تجرها الحمير المتكاسلة ، وقد استرخى العنان فى يد السائق الذى اخلد الى اغفاءة !.. وفى قطعان الماعز والغنم وهى تجر انفسها جرا فى اثر راعيها وهو يسعى الى القرى ليصبب غداءه ، ثم يتسكع بين المناطق المعشوشبة خلف المستنقعات .. كما تتمثل فى الحصان الذى عصبت عيناه ، وربط الى الساقية ، فراح يدور فى تراخ وخطى متعثرة لفرط التكاسل .. وفى الثيران المنتشرة فى البساتين تسير فى بطء جعل لوقع اقدامها طرقات رتيبة تشيع فى نفسك الملل وتهفو باعصابك نحو الاسترخاء ..

لا عجلة ، ولا جلبة ، ولا ضجيج !.. اللهم الا ضجيج «التاكسبات» العتيقة ، التى يقال انها لا تسير بالبنزين ، وانما يوقدون فى جوفها افرانا ، بوقود من قشر اللوز !

يخافون الظلام !

◆ **ولقد** ذهبت الى «مايوركا» عن طريق «برشلونة» ، فما ان ابديت رغبتى فى ان احجز مكانا على السفينة التى تبارحها ليلا الى الجزيرة ، حتى صاح كل صديق اسبانى ، (وكل اسبانى — على فكرة — صديق ، لا يحتاج الى من يقدمه لك او يقدمك اليه !) : «يا لله !.. ما الذى يحملك على ركوب السفينة المتعبة .. انها فظيعة !.. يكفى انها تقطع الرحلة فى الظلام الدامس !» .. ويبدو ان الظلام عند الاسبانيين شر يجب تجنبه !

وركبت سفينة الصباح ، والحق انها كانت نظيفة ، انيقة، جهزت بحجرات مريحة ، وقاعة رحبة للطعام ، و «بار» للشراب .. **ولاحت لنا «بالما» — عاصمة الجزيرة — على اضواء الفجر ، وكأنها تتمطى صاعدة من اعماق المياه .. وبدت كنيستها العتيقة من فوق اسوار المدينة تشرف فى جلال على مئات من اليخوت التى انتشرت كالاوز البحرى .. حتى اذا اقتربنا من الميناء ، حيتنا واجهات الفنادق الفخمة التى قامت على الشاطىء ..**

واذا قدر لك ان تأخذ سيارتك فى رحلتك — كما فعلت انا — فلا مناص من ان تنتظر تحت مظلات المرفأ ثلاث ساعات او اربعا ، ريثما يفرغ الحمالون من «ازيار» النبيذ ، وسلال المؤن ، والحمير .. حتى يحين دور سيارتك فتتهادى فى المؤخرة!

◆ **ولعل** اكثر فنادق الجزيرة متعة ، هو فندق «فورمنتور» عند «رأس فورمنتور» ، فهو يقوم على مرتفع يشرف على

البحر ، وقد احاطت به الحدائق والبساتين .. ولن تكلفك الاقامة فيه اكثر من مائة وخمسين قرشا فى اليوم ، تستمتع فى مقابلها بتناول الفطور فى فراشك ، وغداء وعشاء يتألف كل منهما من خمسة اطباق .. بل ان الحلوان ـ «البقشيش» ـ والنثريات تدخل فى نطاق هذا المبلغ !

حياة ريفية ممتعة ..

على ان ثمة فنادق اخرى اقل نفقة ـ وان لم تكن اقل خدمة ـ فهناك مثلا فندق «مار اى سول» ـ «البحر والشمس» ـ الذى يقدم لك كل المتع السابقة ، وفوقها مقعد امام بابه الامامى ، على رصيف الشارع الرئيسى ـ الذى يسير موازيا للشاطىء ـ فى قرية «بورتو الكوديا» ، فى مقابل .. دولار او اثنين فى اليوم .. اى حوالى ستين قرشا !

ولقد عثرت على هذا الفندق وانا اجوس بسيارتى خلال الجزيرة بحثا عن شرفة مشمسة مطلة على البحر ، اعكف فيها على الكتابة والتأليف .. فاذا بى احظى فيه بحديقة ذات سياج عال ، يتدلى الليمون من اشجارها ، ولا يقل حجم الوردة فيها عن رأس «الكرنب» ! .. وانت هناك تستيقظ فى الصباح على صليل اجراس الكنيسة الصغيرة ، فترى الفجر الندى تتسلل خلاله اولى اشعة الشمس الذهبية ، وقد اخذ القمر يتوارى غاربا ، وبدت عند حافة الافق قوارب الصيد تداعب نسمات الصباح قلوعها ..

ثم لا تلبث مع تقدم النهار ان ترى قطعان الماعز تتراقص مرحة ، ولغثائها فى الاذن وقع الموسيقى .. وافواج الفلاحات يحملن الفطائر والخبز الى مخبز القرية لانضاجها .. ورجل البوليس وقد اسند بندقيته الى احد الجدران ، تنعكس الشمس على نصل «السونكى» البارز منها ، ريثما يساعد فتاة الحانة القريبة على فتح ابواب حانتها ..

ومع الضحى ، يقبل الصيادون من البحر حاملين سلالهم ملأى بـ «ام الخلول» وقواقع البحر و«الجمبرى» ذى الحجم الكبير .. بينما تبدو الحمير كسالى وهي تجر عربات الخضر .. وترى «ميشيل» – (بارمان) الفندق – وقد استوقف احداها ، ليبتاع البصل والخس والبرتقال واللوز والخرشوف والزيتـــون !

حاميها .. حراميها !

◆ **واذا** تمشيت الى بلدة «الكوديا» القابعة خلف سور من مخلفات الماضى، فسوف ترى منظرا عجبا: ساحات زرعت ارضها بالحشائش والزهور ، وتوسطتها نافورات الماء ، وتناثرت فى ارجائها مناضد الباعة ، حيث تجد الخمور واللحوم – غضة او مشواة – باسعار زهيدة ..

وقد يحلو لك ان تتنقل بين صخور قرية «الكندا» ، حيث تحلو السباحة فى عزلة وهدوء – حتى اذا مللت السباحة سرت شرقا الى الشاطىء الرملى الذى تلثم اطرافه ألسنة المياه وتحنو عليه اشجار النخيل فتظلله بسعفها !

وقبيل موعد الغداء ، تنساب الى اذنيك الانباء ، بأن السجاير الامريكية قد وصلت !.. فتهرع لتحصل على حاجتك منها . وقد تعجب اذا علمت ان سعر العلبة لا يتجاوز هناك ستة قروش ، رغم انها تهرب فى «النشات» بحارية من (طنجة) الى حيث تنتظرها قوارب المهربين فى ظلمات الليل البهيم لتحملها الى الساحل ، ومنه ترسل بالسيارات الى « الكوديا » !

ولا تتمالك ان تسأل الرجل الذى يبيعك السجاير : «كيف لا يفطن اليكم رجال البوليس ، وهم كثرة على ما أرى ، ومسلحين ؟ »

ويبتسم الرجل وهو يجيبك : «لا تشغل بالك .. انهم

نيام !» .. ثم يشير برأسه نحو اقرب شرطى ويقول : «انظر .. انه يدخن !»

وافهم ماشئت ٠٠ ان شئت !

◆ **هذه** هى الحياة فى «مايوركا» ٠٠ الجزيرة الناعسة ٠٠ التى يلفها جو الاساطير القديمة !٠٠ وبهذه المناسبة ، أذكر « نكتة » يتندر بها القوم هناك كلما أعجب غريب بحياتهم :

قيل ان « فرديناند الثالث » ـ ملك اسبانيا ـ دخل الى الجنة عقب وفاته ، لانه كان رجلا طيبا ٠٠ وقد أتاحت له طيبته أن يعامل باكرام خاص ، فما أن استقر فى الجنة ، حتى أقبل عليه ملاك يقول له :

ـ لقد كنت تحب اسبانيا ، فهل لك أمنيات تتمناها من أجلها ؟

وتمنى «فرديناند» أن تمنح السماء بلاده رجالا شجعانا ، ونسوة فاتنات ، وشمسا ساطعة مشرقة ٠٠ فقال الملاك : «هذه أمنيات بسيطة ٠٠ مكفولة »

وأطمع هذا الكرم «فرديناند» فتمنى لبلاده زيتا وفيرا ، وقمحا كثيرا ، ونبيذا معتقا ٠٠ ومرة أخرى ، ابتسم الملاك وقال : «وهذه أيضاسهلة التحقيق»٠٠فازداد طمع «فرديناند» ، وتمنى أن يتوفر لبلاده : الثوم والثيران والسيجار ٠٠

ومن جديد ، ابتسم الملاك قائلا : «لابأس٠٠هذه الاخرى أمنية مقبولة ٠٠ ألا تريد لوطنك شيئا آخر ؟ » ٠٠ ففكر « فرديناند » لحظة ، ثم قال : « آه ٠٠ حكومة طيبة »

وهنا قال الملاك : « كل الامانى ٠٠ الا هذه ، فلو أنها تحققت ، لما قبل ملاك أن يبقى فىالسماء يوما آخر »

ويضيف أهل «مايوركا» الى الاسطورة قائلين :

ـ فما بالك لو عرف الملائكة بما فى جزيرتنا !؟

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى اعداد السنة الاولى من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : «كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية» للعالم النفسانى ماكدونالد لاديل ، ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك ، و «مركب النقص» تاليف و. ماكبرايد ، و «حواء الجديدة» - مرشد المراة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده - للدكتور كورتنى بيل ، ثم «كيف تقهر الخجل» تاليف س. تيار ، و «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة» لجون كنيدى ..

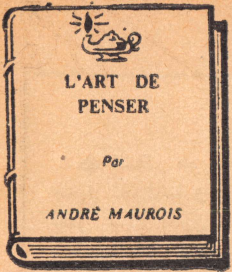
وفى الاعداد السبعة الماضية قدمت لك من فنون الحياة التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا» : فن الحب ، ثم فن الزواج ، وفن الحياة العائلية ، ففن الصداقة ، وفن العمل ، ثم فن الزعامة ، ففن السعادة ..

واليوم اقدم لك فنا ثامنا ، هو فن التفكير السليم ، فى المدرسة والمكتب .. الخ يليه من هذه السلسلة : فن الاستمتاع بالشباب والشيخوخة ..

فاذا فرغنا من صحبة «اندريه موروا» المتعة فى أبحاثه هذه انتقلنا منها الى صحبة مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى المعاصر «برتراند رسل» الذى سيشرح لنا بدوره موضوعات أمتع من سابقتها واروع ، ومنها : الاحساس بالاثم ، كيف تكون محبوبا ، كيف تقهر الحسد ، كيف تقاوم القلق والخوف ، كيف تفهم اسرتك ، كيف تستمتع بالحياة والحب والعمل ، كيف تنجح بغير كفاح !.. الخ

اندريه موروا

فن التفكير





أهمية هذا الفن ..

◆ التفكير هو الذى يميز الانسان عن الحيوان .. وهو الذى يوجه جميع تصرفاتنا وحركاتنا وسكناتنا فى هذه الحياة .. فنحن لا نكاد نفعل شيئا بدون تفكير .. ومن ثم كان تفكيرنا هو الذى يرسم شخصياتنا ، ويحدد حاضرنا ومستقبلنا ، ويقودنا الى النجاح أو الفشل .. او بعبارة اخرى ، هو الذى يسعدنا أو يشقينا !

لذلك كان هم المفكرين وعلماء النفس ، منذ صار للنفس علم ، ان يستنبطوا قواعد عامة ترشد الناس الى طرق التفكير السليم ، وتعينهم على ان يبلغوا ما تصبو اليه نفوسهم عن طريق اتقان هذا «الفن» العويص ..

لذلك رأيت ان اقدم لك اليوم آراء «أندريه موروا» فى هذا الباب ، لعلها تكون عونا لك فى المجال الذى تحتاج فيه الى ان يكون تفكيرك سليما ، وفكرك ثاقبا ، ورأيك صائبا .. أيا كان عملك أو حرفتك أو ميدان كفاحك فى الحياة ..

ولما كان موسم الامتحانات قد اقترب ، فقد رأيت ان الحق بهذه الصفحات تلخيصا لكتاب آخر يشرح فنا تكميليا لفن التفكير ، هو فن الدراسة والاستذكار ، الذى ارجو ان يجد الطلبة جميعا فى صفحاته مرشدا ييسر لهم اجتياز هذه الاشهر العصيبة بسلام !

ذهنك .. مرآة للعالم الخارجى !

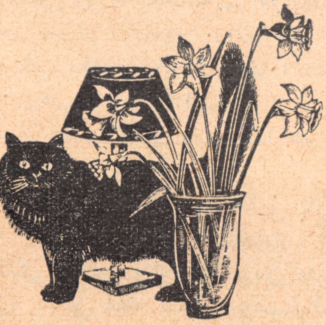
◆ **عندما** أسرح النظر خلال نافذة غرفة مكتبى ، أجد أفكارى تختلط لحظة برؤى وصور تبدو كأنها رسمت على زجاج النافذة .. فقد أرى الطبيعة ماثلة أمامى ، ثم لا ألبث أن ألمح بعض طائرات تحوم فى السماء ، فاذا هى تثير ذكريات الحرب وغاراتها الجوية .. فأنسى الطبيعة الناضرة ، وأجنح الى التفكير فيما آلت اليه الحضارة الرومانية من دمار .. ولا تلبث أفكارى

أن تتجه الى المصير الذى قد يحيق بعواصم العالم فى أيامنا ٠٠ الخ
وهكذا لا تقتصر تأملاتى فى هذه اللحظة الوجيزة على الموجودات، بل تجاوزها الى رؤى تمثل لى بلادا بعيدة ، وتستعيد أحداثا غابرة ، وتستعرض نظريات عن المستقبل الكامن فى طيات الغيب ٠٠ فيبدو ذهنى كعالم داخلى صغير تنعكس فيه صورة الكون الخارجى الهائل ، دون تقيد بحدود الزمن أو الفراغ ٠٠

التفكير السليم أساس التصرف السليم

و «التفكير» هو ذاك الجهد الذى يبذله المرء حين يربط بين الرموز والتخيلات ، ليحدس ما يترتب على أعماله من آثار فى عالم الحقيقة ٠٠ أو هو محاولة « لرسم » العمل والتصرف ، فاذا ما اكتمل تلوين الرسم وتنقيحه ، تشكلت صورة حياتنا ٠٠ **ومن ثم رأى « باسكال » انه لابد من أن نجهد لنكون مصيبين فى تفكيرنا ، أولا ، اذا شئنا ان نصل الى جادة الصواب فيما نقدم عليه من أعمال ٠٠ وهذه الاصابة فى التفكير ، تتمثل فى محاولة تشكيل النموذج الذى فى أعماقنا للعالم الخارجى ، حتى يطابق هذا العالم بقدر الامكان ٠٠**

ويبدو أن «أنفع» وسائل التفكير ، هى تلك التى أودعت فى الاجسام الحية على شكل «غرائز» و«عادات» ٠٠ أفرأيت الى القط اذ يقفز الى منضدة ازدحم سطحها بالاشياء؟ ٠٠ انه يستوى عليها بجلال وفى غير تكلف ، دون أن يكسر كوبا أو يحتك بآنية للزهور ٠٠ ومع أن سلسلة الحركات التى يأتيها



ليحقق هذه الوثبة المأمونة تتطلب حسابا دقيقا للقوة التى تتطلبها الوثبة ، ولانسب بقعة للهبوط ، الا أن القط يؤدى هذا الحساب بطريقة لا شعورية ٠٠ ذلك لانه يفكر بعضلاته وعينيه ٠٠ وكذلك لاعب « التنس » ، ولاعب كرة القدم ، والمبارز ، والبهلوان ٠٠ كل يفكر « بجسده » !

الحيوان يفكر « بجسد » سواه !

ومن المخلوقات ما يفكر بجسد سواه ! فالحيوان يفكر تبعا للقطيع ٠٠ والخروف ينطلق جاريا اذا تولى الفزع بعض الخراف، لا لانه يدرك مبعث الفزع ، وانما لان غرائزه النوعية الاصيلة توحي اليه ان الخروف الذى لا يتبع القطيع واقع ولا شك تحت رحمة الاعداء ٠٠

وشبيه بالحيوان ذووالعقول الناقصة من الافرادوالجماعات٠٠

أما السياسى مثلا فلا سبيل له الى التفكير بجسده ، أو « استعراض صور » ما يوشك أن يؤديه من أعمال — كالرياضى — لان الصور فى هذه الحال تفوق كل حصر ، ومن ثم يستعيض عنها بعلامات ورموز من نوع خاص ، تتمثل فى «الكلمات» ٠٠

وقد يكون تأثير من يفكر بيديه ، محدودا — فان تصرفه لا يشمل الا ما يلمسه — أما المفكر بالكلمات ، فيستطيع بلا عناء أن يحرك الشعوب والقارات ٠٠ ويكفى أى رئيس حكومة أن ينطق بكلمة واحدة ، فاذا هو ينتزع رجال قارة بأكملها من ديارهم ٠٠ واذا السماء تزخر بقاذفات القنابل القادرة على أن تدك مئات المدن ٠٠ واذا هو يتسبب فى خراب عالم ونهاية مدنية ٠٠ بكلمة واحدة !

والذى يفكر بيديه خليق بأن يلتزم الحذر حتى لا تضار يداه ٠٠ أما الذى يفكر بالكلمات ، فيستسهل كل عمل ، لان الوقت الذى ينقضى بين الخطأ وبين مايترتب عليه من ضرر ، أطول من أن يذكر معه تبعاته ومسئولياته ٠ لذلك يتلاعب بالكلمات

والرموز الجوفاء ، متناسيا النتائج الفظيعة التى قد تترتب عليها ٠٠ أو هو يميل الى الاعتقاد بأنه قد أدى كل شىء بمجرد النطق بالكلمات ، ويفوته ان للكلمات رد فعل قد يصل الى درجة الخطورة ٠٠ من قبيل ذلك ان نابليون الثالث قال مرة : «يجب احترام مبدأ القوميات » ، فاذا بعبارته المبهمة تتسبب فى دمار أوربا الحديثة ، رغم ما تنطوى عليه من صحة ٠٠ ذلك لان العالم الصغير الذى نتمثله فى رؤوسنا ، لا يمكن أن يبسط سلطانه على العالم الكبير الذى نعيش فيه ٠٠ ولان العبارة البسيطة لم تمثل بالدقة الكافية ما يخالط الموقف من تعقيد ٠٠

علم المنطق٠٠ « شرطى مرور » !

◆ **ومع ذلك** ، فلو كان حتما علينا أن ننتظر حتى نستبين ما لاية عبارة من نتائج كى نحكم على قيمتها ، لكان هذا من أخطر الامور وأفظعها ٠٠ ومن ثم حاول الناس من فجر المدنيـة أن ينظموا « انسياب » الكلمات بنفس الطريقة التى تنظم بها حركة المرور اليوم ٠٠ وأطلقوا على ذلك اسم «المنطق» ٠٠ أى فن تطبيق قواعد معينة لاستعمال الكلمات ، لضمان التقـريب بين العـالم الذى نتمثله فى أعماقنا والعالم الخارجى ٠٠ وليس من شك فى أن « المنطق » أكسب الذهن البشرى مرونة ، ولكنا يجب أن لا ننسى ان هذه المرونة كثيرا ما تقودنا الى تفكير يبدى لنا أهدافنا ميسورة التحقق ، فنطمئن الى « تغرير » خيال زائف تنقصـه الدقة ٠٠ ولقد حاول « ديكارت » التخفيف من الاخطاء التى تتأتى عن مثل هذا النوع من التفكير ، أو على حد تعبيره : « تملكتنى رغبة قوية فى أن أتعلم كيف أميز الصحيح من الزائف ، حتى أستطيع أن أعمل على بصيرة ، وأن أمضى فى الحياة مطمئنا »٠٠ ومن ثم فانه استن لفن التفكير هاتين القاعدتين اللتين ينبغى ان نتذكرهما دائما :

الاولى : لا تسلم بصحة شيء الا اذا تبينت جليا صحته ٠٠ والسبيل الى ذلك هو صلب القاعدة الثانية : كن حذرا وتفاد العجلة والتحيز أو الميل !

أما تفادى العجلة فمبعثه ان الانسان لا يمكن أن يفهم عويص الامور بسرعة ٠٠ فضلا عن أن العجلة قد تكون ثمرة الغرور ، اذ يتسرع الشخص فى الكلام بما لا يوقن من صحته كى لا يعترف بالجهل !

وأما التحيز والميل ، فمردهما الى عدة أمور ، منها : المعتقدات والآراء التى ننشأ عليها ، ونعتاد سماعها فى أوساطنا العائلية ، أو التى تشكل أفكارنا نتيجة تعليمنا٠٠ الخ٠ ومن أسباب التحيز والميل أيضا « المصلحة الذاتية » ، فكل شيء يتمشى ورغباتنا الخاصة يبدو فى ثوب الحقيقة !٠٠ وخير مثال لذلك نجده فى حياة « شاتو بريان » ، فقد تحول أثناء الفترة التى نفى فيها عن فرنسا بسبب الثورة ، الى الايمان بصلاحية النظام الملكى الدستورى الذى تحكم به انجلترا ٠٠ فلما أتاح لويس الثامن عشر لفرنسا مثل هذا النظام ، كان خليقا بشاتو بريان أن يؤيد جهود الملك بكل قواه ، ولكنه خضع لمشاعره الخاصة ، فأعلن على الملك عداء أهوج ، اذ أثاره انه لم يختره ليوجه هذه الحكومة الجديدة ويديرها !

وهكذا ، اذا استبد الحب أو البغض، خضع العقل واستسلم، واكتشف «مبررات» لاخطاء العاطفة وحماقاتها !

كيف ترتب أفكارك ؟

◆ **من** هذا نرى أن « ديكارت » ينصحنا بأن نحرر عقلنا من تأثير الهوى والعاطفة ، ثم بأن نحسن استخدام هذا العقل ٠٠ وهو يقدم لهذا الغرض عدة قواعد منها : رتب أفكارك ترتيبا منتظما ، متدرجا بها من أبسطها حتى تصل الى أكثرها تعقدا ٠٠ وقسم المسائل الى أكبر عدد ممكن من الاجزاء ٠٠ واستكمل كل

بياناتك وكل تجرياتك بحيث تشمل كل شيء وبحيث تثق بأنك لم تغفل شيئا ..

وهذه الطريقة تتبع فى كثير من فروع علوم الطبيعة ، والكيمياء ، والطب، والاقتصاد ، والسياسة .. وهى قد أتاحت للبشر - زهاء قرنين من الزمن - سلطانا عجيبا على العالم الخارجى ، فهى تجمع بين المنطق ، والمشاهدة ، والتجربة .. وقوامها الوقائع المجردة ، التى ينبغى ان نقبلها اذا عززتها النتائج ، وننبذها بلا اشفاق اذا ناقضتها !

عندما نتصرف قبل أن نفكر !

ومع ذلك ، فقد قيل عن يقين ان « القضاء يسبق المشيئة » ، أو بكلمات أخرى ، ان العمل يسبق الاختيار .. فالكلب اذا ألقى فى الماء ، بادر الى السباحة ولو لم يكن له سبق تدريب عليها !.. وهو يسبح قبل أن يستقر رأيه على أن يفعل ذلك ! .. وما أشبهه فى الواقع بنا ، فنحن عند مولدنا نكون بمثابة حيوان ألقى فى بحر ، فنقضى حياتنا نسبح ونصارع الامواج بقدر ما فى وسعنا كى ننجو من الغرق !.. وقد يشرع الكاتب فى تأليف رواية دون أن تكون لديه فكرة دقيقة عما يبغى كتابته، ولو انه عرف كل كلمة سيكتبها لما كانت به حاجة الى التأليف .. وانما هو يسبح فى تيار قصته ، فاذا كل فصل منها يخلق أفكارا جديدة للفصل الذى يليه !

وقد يكون رسم الخطط ضروريا فى بعض الاحيان .. ولكن التدبير شيء ، والعمل شيء آخر .. ولقد نجح « الرئيس ولسن » فى رسم خطة للسلام فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، ولكنها لم تصن السلام الا لسنوات معدودات .. وما أحكم « جيته » اذ قال : « التفكير سهل ، والعمل صعب .. ولكن تحويل أفكار المرء الى أعمال هو أصعب ما فى الدنيا » ..

ثم ما أبلغ « تولستوى » فى قوله : « لاسهل على المرء أن يكتب

عشر مجلدات فى الفلسفة من أن يطبق مبدأ واحدا ! » ..
فنحن فى الغالب نجد أنفسنا ـ فى المسائل ذات الاهمية البالغة لوجودنا ـ مضطرين الى أن « نشق لانفسنا سبيلا » وسط فيض من المؤثرات ..

فما هو دور فن التفكير فى هذا المجال ؟

العظيم قد يفكر بوحى غريزته !

◆ **رأينا** فيما سبق أن التفكير الغريزى منزه عن الخطأ ، ولكن مجاله ضـيق محدود . ومن ثم نجد الرجل المجد يحلم باكتشاف طريقة تمكنه من الانتفاع بهذا « الوحى » الغريزى على أوسع نطاق ، أى تتيح له الاطمئنان الى دقة السليقة والفطرة فى الحالات المعقدة .. أى أن فن التفكير لديه هو فن تحويل التفكير الى غريـزة .. وليس معنى ذلك أنه يتخلى عن العقل والحجى ، وانما معناه أن يفكر مقدما فيما يعتزم عمله وأن يفعل ما فعله نابليون بونابرت وهو بعد ضابط صغير فى حامية « طولون » اذ استعرض المشكلات التى كان « يتوقع » أن يتعين عليه حلها يوما ما ـ حين توكل اليه مقاليد الامور ! ـ ثم راقب الوقائع ، واستخلص من مشاهداته القوانين التى التزمها فى معاركه الحربية فيما بعد !

على أن هذه التأملات والمشاهدات وما يترتب عليها من قوانين، يجب أن تتغلغل فى « أجسادنا » .. يجب أن يتسلل التفكير الى أعماق نفوسنا ، حتى يبادر الانسان الى العمل بمجرد انبعاث محفزاته .. فبهذا فقط يكتسب الانسان سرعة البت ، وهى عنصر تتطلبه معظم الاحداث فى الغالب ..

مثال ذلك الطبيب الذى يحمل اليه مريض ، فهو قد يعمد الى فحصه ، فيساعده الفحص فى تفكيره الداخلى الكامن .. فلا تلبث « غريزته » ـ التى تولدت عما شاهد من آلاف الحالات ـ أن تملى عليه التشخيص الصحيح، الذى قد يكون مخالفا للشواهد

أو لمنطق الطب !٠٠ **فهو قد يجد العديد من الاسباب التى تحمله على القلق أو الحيرة ازاء أحد مرضاه ، والتى يشق عليه أن يعبر عنها بالكلمات ، حتى ليبدو قليل المعرفة اذا قيس بأى طبيب شاب ذكى ٠٠ ومع ذلك فهو يكون على دراية وبينة ، فلا يكاد يخطىء الا فيما ندر !**

والكاتب الكبير مثال آخر ، اذ يراجع ما يكتب فيحذف عبارة أو كلمة ، أو يبدل موضع فعل من الافعال فيقدمه أو يؤخره ، وقد نستطيع أن نجد تعليلا لما تدخله هذه التنقيحات على المقال من تحسين ، ولكن الكاتب لا يكون فى حاجة الى البحث عن تعليل ، فقد أكسبته الدراسات الطويلة لاساليب الادباء سليقة لغوية سليمة توحى اليه بالتصرف الصائب فورا بطريقة شبه آلية ، دون قياس منطقى أو اجراءات لا يتسع الوقت لها ٠٠!

« الايمان » يجب أن يسبق المعرفة !

◆ و « **العالم** » المصغر الذى تنطوى عليه نفس الرجل المجد العظيم ، يشمل صورة دقيقة تطابق فى جميع أجزائها ذلك العالم الكبير الذى يمارس فيه نشاطه وعمله ٠٠ فالسياسى الصادق يحمل وطنه فى أعماقه، اذ أنه اكتسب خلال المشاهدة والمطالعة والتأمل، دراية بالناس، وخبرة بالمواطنين من جميع الطبقات٠ وتتمثل هذه الخبرة فى القرارات التى يتخذها بسرعة واصابة ٠٠ أما السياسى العديم الانصار ، فيلجأ الى تلمس الرأى لدى الصحف والاحصاءات واللجان ، ولكنه مع ذلك لا يسلم من الخطأ ٠٠ **ذلك لان المعلومات والمعرفة ليست ثقافة فى حد ذاتها ٠٠ ومن هنا يتضح ما للحكم المأثورة من معان عميقة ، مثل : « الانسان أقوى مما يعلم » ٠٠ و « الايمان يجب أن يسبق المعرفة » ٠٠ ومن ثم ففن التفكير هو فن الايمان أيضا ، اذ ما من مخلوق فى هذه المرحلة من مراحل المدنية يستطيع أن يناقش جميع معتقداته الفردية والاجتماعية أو أن يفرضها على ضميره وهو آمن مطمئن**

.. كما ان تغيير جميع آراء المرء انقلاب ذهنى يتطلب فسحة من الوقت لاستيعابه .. ومن ثم فعلى المرء - كى يحيا حياة عاملة مثمرة - أن يتقبل معظم القوانين الخلقية والاجتماعية والدينية التى اعتبرها أسلافه ضرورة .. ذلك لان عقولنا مغلفة بطبقات متعاقبة من معتقدات الانسان البدائى ، ثم عقائد وحضارات العصور الغابرة .. وأكثف هذه الطبقات هى التى تمثل معتقداتنا الدينية .. وأرقها هى التى تتألف من الآراء الحديثة عن تكوين الكون وبنيانه .. فنحن خليط من تحفنا الفنية وآثارنا ، وأعيادنا وتقاليدنا الاجتماعية ، وأفكارنا .. ولا سبيل الى تحرر المرء من الماضى ، اللهم الا اذا كان يستطيع الفكاك من جسده .. والفكر السليم هو ذاك الذى تتغلغل جذوره فى أعمق الطبقات التى تلف « السليقة » ، بينما تشمخ قممه الى أوضح مناطق « الذهن » وأكثرها اشراقا .. وهو يخضع لقوانين المنطق لانها قوانينه .. ويراعى فى كل آن قواعد البحث العلمى التى أثبتت صلاحيتها بما حققت من فوز .. ويستند الى التقاليد الانسانية التى تحيا فى نفوسنا .. فهو تفكير ينبع من كياننا، ومن ثم فهو يجمع بين العمل والشاعرية .

التفكير النظرى والتفكير العملى

◆ **وخير** مثل يوضح الرابطة بين التفكير النظرى والتفكير العملى هو مثل الطائرة الحربية التى تمهد الطريق لتقدم «المشاة» نحو صفوف العدو !.. « فالفكر الخالص » هو بمثابة الطائرة ، يحلق فوق آفاق وراء تلك التى احتلتها « العادة » ، ثم ينقل مشاهداته الى « العمل » ليتقدم نحو هذه الآفاق ، وبفضل تعاون الاثنين يسهل تذليلها .. **ولقد يخطىء الفكر ، ثم يلمس الحقيقة فينبذ الاهواء والنزوات التى أثبتت التجربة عدم جدواها ، ويخلص الى تكوين فكرة جديدة .. وبغير التعاون الوثيق بين الفكر والتجربة والعمل ، لا سبيل لنا الى احراز نصر أو نجاح !**

فن الدراسة والاستذكار

◆ والآن ، وقد عرفت آراء «اندريه موروا» فى فن التفكير بصفة عامة ، أرى أن ألحق بهذا الباب فيما يلى – لمناسبة اقتراب موسم الامتحانات – بابا مكملا يعين الطلبة بصفة خاصة على هضم دروسهم واستيعابها ، ويوضح لهم ثلاثة فنون : «فن الاستعداد للدراسة» ، و «فن الاستذكار» ، و«فن الامتحان» .. وقد استقيتها جميعا لك من آراء «فلويد رتش» – استاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا الجنوبية – كما أوردها فى كتابه الذى سماه : (Management of Learning)

١ – الاستعداد للدراسة

◆ **الدراسة** أو التعلم عملية مركبة تحتاج الى تحليل دقيق ودراية، وفى وسع كل امرىء أن يشحذ مقدرته على التعلم لو قدر له أن يفهم بعض المشكلات والمراحل التى يتطلبها اتقان هذا الامر ..

ولقد عكف علماء النفس فى السنوات الاخيرة على اجـراء التجارب سعيا وراء استنباط وسائل تعين الطلبة وأهل العلم على تحسين وسائل الاستذكار لاتقان ما يدرسون ..

تركيز الذهن والاستغراق

وأول المطالب التى لابد منها للاستذكار ، تركيز الذهن .. وهى خاصة يستطيع المرء أن يروض نفسه عليها ، بمراعاة أربعة عوامل هامة ، نستعرضها فيما يلى :

◆ **تنظيم الاعمال اليومية** : ان الاقبـال على العمـل يخلق البواعث التى تحفز النفس على مواصلة التقدم فيه .. ومن ثم فخليق بالطالب أن يعمل وقت العمل ، ويلعب وقت اللعب .. أى أن يتفرغ للعمل اذا ما أقبل عليه .. وخير وسيلة تمكنه من ذلك ، تتمثل فى اعداد (جدول) يتضمن جميع الاعمال وكافة ألوان النشاط اليومى ، من تحصيل ، الى استذكار ، الى لعب ،

الى أكل ، الى نزهة ، الى نوم ٠٠ على أن يتجنب القسوة على نفسه فى هذا « الجدول » ! ٠٠ **والواقع أن أفضل طريقة تستطيع بها اعداد مثل هذا الجدول هى أن تحلل الكيفية التى تقضى بها أوقاتك حاليا ، فتسجل أعمالك خلال اليوم ساعة فساعة لمدة أسبوع ٠٠ ولسوف تدهش حين تتبين ان ما تقضيه فى الاستذكار يقل كثيرا عما تبدده من الوقت فى غير عمل ولغير غرض ٠٠**

على ان هذا السجل كفيل بأن يبين لك النسبة التى تفردها من وقتك للدرس والاستذكار ، وهذا يساعدك على تحديد نسبة أكثر ملاءمة ، فلا تبقى غافلا بهذا الصدد كما أنت الآن!

وزع وقتك بطريقة منظمة

وخليق بك ، وأنت تعد جدولك أن تراعى ما سيتضمنه هذا الفصل من ارشادات ٠٠ ولتذكر ان أهم ما ينبغى عليك هو أن توفق بين مواعيد الاستذكار ، وأنواع المواد التى تستذكرها ٠٠ وان توزع وقتك اليومى بنسب معقولة بين مختلف النواحى ٠ ولكى نساعدك فى هذا الصدد ، نقدم لك فيما يلى توزيعا مثاليا للوقت (بالنسبة لاوساطنا المصرية) :

٣٣ فى المائة – من الوقت اليومى – للنوم ، و٢٠ فى المائة للنشاط الاجتماعى والمقابلات والفراغ، و١٤ فى المائة للاستذكار و٢٠ لتحصيل العلم والدراسة – فى المدرسة – و٧ لتناول الطعام ، و٤ للتنقل بين البيت والمدرسة ٠٠

فاذا أتممت اعداد « جدولك » على هذا النحو ، وجب أن تحرص على تنفيذه بدقة تامة ، فلا تثبط عزيمتك بعض العقبات التى تسوقها المصادفات ٠٠ ومن ثم لا تلبث أن تجد نفسك قد اعتدت الاستذكار فى ساعات معينة ، وهذا يساعدك على أداء المهمة بانتظام ، وعلى أن تركز ذهنك أثناء تلك الساعات ، لانك مطمئن الى ان ثمة ساعات أخرى للانطلاق واللهو ٠٠ فضلا

عن أنك بذلك تتخلص من القلق الذى تستشعره حين تكون أوقاتك غير منتظمة ..

◆ **الوسط الصالح للاستذكار** : وهو من أهم اللوازم التي تمكنك من تركيز الذهن والتفرغ لعملك . فالعمل فى وسط تسوده الضجة يستنفد جهدا أكثر بكثير مما يستنفده فى وسط هادىء . واذن فعليك اذا تهيأت للاستذكار أن تسكت المذياع ، وتصم أذنيك عن الاصوات التى تنبعث حولك ، وتنبه أهلك وأصدقاءك بلطف حازم الى أن يتجنبوا ازعاجك فى فترات الاستذكار .. ولتختر دائما مكانا قصيا ، أو غرفة منعزلة تكون فيها بعيدا عن اغراء الاحاديث أو الاستماع الى ما يشغلك ..

◆ **الحافز على الاستذكار** : من أهم العوامل المؤثرة فى تركيز ذهن الطالب أثناء الاستذكار ، عامل الميل الى المادة التى يستذكرها والاهتمام بها . فالطالب الذى يستشعر ميلا الى المادة التى أمامه ، يكون أقدر على الانصراف اليها مما لو كان ينفر منها . ومع ذلك ، فكثير من الطلبة يستطيعون الاستغراق فى مذاكرة مادة لا يستسيغونها ، لانهم يضعون نصب أعينهم ان استذكارها هو طريقهم الى النجاح المدرسى .. وان النجاح المدرسى هو سلمهم الى التوفيق في الحياة فيما بعد .. وهى نظرة محدودة ضيقة ، ولكنها واقعية وعملية ، لا سيما ونحن فى عصر تقدر فيه قيمة الانسان بقيمة شهاداته ، ولو فى نظر أصحاب الاعمال على الاقل !

اربط بين دروسك وبين شؤونك الخاصة ..

وهناك حوافز فرعية ، أثبتت الابحاث النفسية نجاحها .. من ذلك ان تحدد لنفسك أهدافا قريبة ـ كأن تمنى نفسك بشىء من الراحة اذا أنت استذكرت صفحة كاملة أو فصلا كاملا ـ فانك غالبا ما تجد نفسك حين تصل الى هذا الهدف ، متحفزا لان تمضي الى أبعد منه ! .. وهذا يساعدك على أن تقاوم التكاسل

الى أن تتم استذكار الجزء الذى يتعين عليك أن تستذكره ٠٠ كما انه يعينك على استيعاب مادة قد لا تستشعر ميلا اليها ٠٠

ومن الاشياء التى تساعدك على تثبيت ما تستذكر فى ذهنك، ان تحاول أن تربط بين ما تقرأ ، وبين معلوماتك أو مشكلاتك ومسائلك الخاصة ٠٠ فانت اذ تستذكر « الدائرة الكهربائية » فى الطبيعة ــ مثلا ــ قد تجد نفسك أكثر اهتماما بما تقرأ واستيعابا له ، اذا تذكرت أن جرس مسكنك لم يرسل رنينا حين ضغطت على الزر عند عودتك من المدرسة ٠٠ واذا كنت تقرأ عن « النقود » فى علم الاقتصاد ، فان نظرية العملة الرديئة وكيف تطرد العملة الجيدة من التداول ، تكون أكثر ثباتا فى ذهنك اذا ما تأملت حرصك على أن تحتفظ لنفسك بالورقة النقدية الجديدة ، وان تدفع الى « كمسارى الاوتوبيس » مثلا بالورقة البالية ! ٠٠

كذلك من العوامل المساعدة على الاقبال على الاستذكار ، الجلسة المريحة ٠٠ وان كان الاسراف فى الراحة قد يؤدى الى الاسترخاء والتكاسل !

◆ **الانفعالات النفسية** : ولقد تتاح للطالب كل عوامل الاستغراق فى الاستذكار ، ولكنه يعجز عن تركيز ذهنه حول ما يقرأ ! ٠٠ وقد يرجع هذا الى شرود ذهنه ، وافراطه فى «أحلام اليقظة» ٠٠ أو الى شعوره بقلق داخلى ٠٠ وغالبا ما يرجع هذا الى أنه كبت فى نفسه انفعالا ما لسبب من الاسباب ، ومن ثم فعليه أن يتخلص من أثر ذلك الكبت ما استطاع ٠٠ وأسهل طريقة هى أن يستعرض ما أدى الى الكبت ، ثم يصارح نفسه بمبررات حدوثه ٠٠ (مثال ذلك الطالب الذى كبت فى نفسه آثار تأنيب قاس من والده ، يستطيع أن يستعرض الاسباب التى دعت والده الى تأنيبه ، فيصارح نفسه بأخطائه ، ويبين لها أن والده لم يؤنبه الا لحرصه على مصلحته ٠٠ الخ)

القراءة فن يكتسب بالمران

◆ **واتقان** فن القراءة ميزة يمكن اكتسابها بالمران ، وبتفادى العوائق على اختلاف أنواعها ٠٠ وأهم العوامل المساعدة فى هذا الصدد هى :

قوة البصر : فاذا كنت تستشعر صداعا ، أو ألما فى عينيك فخليق بك ان تسارع الى استشارة طبيب ليختبر بصرك ويعالجك مما تشكو منه ٠

حسن توزيع الاضاءة: ويحسن أن يكون المصباح غير متألق، (وليكن من النوع «المصنفر» أو الذى يرسل ضوءه اليك خلال «أباجورة») وان لا ينصب ضوؤه على عينيك ، فهذا أخلق بأن يجنبك سرعة تعب البصر ٠٠ وتذكر دائما أن حدقة العين ترتاح الى الضوء المتوسط ، فاذا أنت أحطت نفسك بظلام ، وقصرت الضوء على الدائرة التى تجلس فيها ــ كأن أطفأت الضوء المدلى من وسط سقف الحجرة واقتصرت على مصباح المكتب ــ لتسببت فى تعب عينيك ٠٠ لانك مضطر ــ بحركة لا ارادية ــ الى أن ترفع بصرك عن الكتاب من حين الى آخر ، لتنظر الى ما أمامك، أو تجيل النظر فيما حولك ، وبذلك تنقل البصر من الضوء الى الظلام عدة مرات ، فتتوتر أعصاب البصر ٠٠ !

وتجنب ــ عند اختيار المصباح ــ الانواع الوهاجة أو البراقة، **وتذكر ان لون الضوء عامل مهم فى راحة البصر ، ومن ثم فى الاقبال على القراءة والاستذكار٠٠ وخير الضوء هو ضوء النهار الطبيعى ، ويليه الضوء الاصفر ، فالبرتقالى ، فالاحمر٠٠ أما الازرق ، أو الاخضر ، فمتعب للبصر ٠٠**

حركة العينين : حين تقرأ أحد السطور ، تتم عملية القراءة بأن تثبت بصرك على جزء من السطر ، ثم تنقله الى جزء آخر ، فالى جزء ثالث فى حركة سريعة ٠٠ والمهم فى الامر ان الشطر الاغلب من وقت القراءة ، انما تقضيه فى حركات التثبيت هذه

.. أما نقل البصر من جزء الى آخر ، فلا يكاد يستغرق أمدا يذكر .. ومع ذلك ، فان حركة العينين فى هذا التنقل ذات أثر في تحديد كفاءتك فى القراءة :

فالقارىء المجيد : هو ذاك الذى ينقل بصره من جزء الى آخر فى السطر ، بانتظام ، حتى اذا فرغ منه ، كر بصره متنقلا فى حركة سريعة الى نقطة قريبة من بداية السطر التالى ..

أما القارىء غير المجيد ، فتراه يتوقف عند كل جزء من السطر ليطيل التحديق فيه، ولا يفتأ يعود ببصره الى الجزء الذى تركه ، حتى اذا فرغ من السطر ، تحول بنظرة غير منتظمة ولا سريعة الى السطر التالى .. (وقد جمعت هذه البيانات خلال تجارب كانت حركات العيون تسجل خلالها بآلة فوتوغرافية بالغة الدقة!)

ومع ذلك ، فقد تكون حركة العينين مساعدة على القراءة واجادتها ، ولكن التجارب أثبتت انها ليست بالعامل الرئيسى على كل حال ، لان أكثر القراء مهارة فى القراءة ، قد يضطر الى اطالة تأمل كل كلمة يقرأها ، أو العودة الى التى تسبقها ، اذا كان الموضوع الذى يقرأه صعبا .. واذن ، فأسلوب الموضوع، وميل الانسان اليه ، وما لديه من معلومات سابقة عنه ، وحضور البديهة ، كلها عوامل تشترك فى تحديد سرعة القراءة والالمام .

وخير القراءة ما كانت صامتة ، فان حركة الشفتين تقلل من سرعة القراءة، وتحول القارىء عن المعنى الكامل الدقيق لما يقرأ..

تجنب التفكير المبهم غير الدقيق

◆ ومن العوامل التى لا غنى عنها فى التحصيل الدراسى الناجح، عامل المقدرة على التفكير المنطقى المنسق ، وهذه المقدرة لا تتوقف على الذكاء فحسب ، وانما تعتمد أيضا على المران والتدرب ، لا سيما اذا كان هذا التدرب يتمثل فى تطبيق المنطق في المسائل والمواد التي تعرض للطالب ..

ومن أهم أسباب الارتباك فى التفكير ، أخذ ما تقرأه على أنه قاعدة شاملة ٠٠ فاذا قرأت مثلا ان « المجرمين جبناء » ، فلا ينبغى ان تأخذ هذه العبارة على انها تعنى ان « كل المجرمين ولابد جبناء» ، فمن الاجرام ما يتطلب شجاعة فذة ، كما ان أكثر المجرمين شرا وعتوا ، يكون دائما متحديا للقانون !

ومن أسباب الارتباك فى التفكير أيضا ، التأثر بالآراء أو المعتقدات أو الميول التى اعتنقها المرء من قبل ٠٠فان الافكار التى رسخت فى الذهن أولا ، يصعب اقتلاعها !

وسبب آخر ، هو عدم العناية بالحصول على جميع الحقائق الخاصة بالموضوع الذى تقرأه ٠٠ فمن الواجب عليك قبل أن تؤمن بالآراء والافكار التى تقرأها فى الكتب والصحف أو التى تسمعها خلال المذياع ، ان تتحرى مصادرها ومدى الاعتماد على هذه المصادر ٠٠

اعرف المصدر قبل أن تعتنق الرأى !

◆ **ذلك** لان التأليف العلمى يتطلب مراجعة مستمرة للتأكد من تمشى ما يكتب مع منطق العلم ٠٠ وفى الكتابات العامة ـ كما فى الصحف ـ يجوز للكاتب أن يتحرر من سرد التفصيلات التى تدعم أقواله كاملة وبدقة « علمية » تامة ، ولكنه ملزم بأن يراعى سلامة المنطق ٠٠ وهنا ، **يتعين على القارى أن يدقق فى التحرى عن مدى كفاءة الكاتب ، ومدى مكانته بين أقرانه ، أو لدى الهيئات التى تدور حول اختصاصاتها كتاباته ٠٠ ويلاحظ ان شهرته فى ميدان ، ليست مبررا لتبريزه فى ميدان آخر ٠٠** فالطبيب ـ مهما كان ذا مكانة محترمة فى مهنته ـ لا يشترط أن يكون سليم الآراء اذا تعرض للحديث عن الدين أو السياسة أو الاقتصاد ٠٠ ومن ثم ، فاذا رأيت شخصا يكتب فى غير ميدانه ، فافحص آراءه وكأنه مجرد هاو ، ولا تتقبلها بدون قرائن تدعمها ٠٠ !

ولتتعلم كيف تقرأ الصحف على الوجه السليم ، فكثير مما تنشره عرضة للخطأ أو عدم الدقة ، وخاصة لان موادها تجمع بسرعة لا مفر منها ٠٠ فضلا عن ان ما تنشره كثيرا ما يخضع لمصالح المشرفين عليها ، ومصالح المعلنين فيها ٠٠ ولو بغير قصد أو تعمد ! ٠٠ ولعل من الطريف فى هذا الصدد أن تقرأ النبأ ذاته فى عدة صحف ، وتقارن بين طريقة كل منها فى صياغته والتعليق عليه !

ما لا يروق لك يسهل نسيانه

◆ **وهناك** ناحية أخرى ٠٠ ناحية استعذاب المادة التى تقرأها والميل الى تصديقها ٠٠ وقد أثبتت دراسات علماء النفس ان الناس ميالون الى نسيان المواد غير السارة أو المستعذبة، بأسرع مما ينسون تلك التى يرتاحون اليها ! ٠٠ كما دلت التجارب على أن استيعاب ما تقرأ رهن بمدى ميلك الى تصديقه والايمان بصحته، بصرف النظر عما يكون هناك من أدلة تعززه أو تناقضه ٠٠ !

ولقد أجريت تجربة طريفة فى هذا الصدد ، قبيل دخول أمريكا غمار الحرب العالمية الثانية ، اذ أختير عدد من المواد التى نشرتها بعض الصحف الرائجة ووصفتها بأنها اشاعات أو دعايات ٠٠ ثم عرضت على ٢٢٦ شخصا ، وسئل كل منهم ان يبين أيها يعتبره صحيحا ، وأيها يراه خطأ ، وأيها محتمل الصدق ، وأيها مستحيل ٠٠

وكان المقصود من هذا الاختبار ، تبين مدى ميل الرأى العام الامريكى الى الحلفاء ٠٠ واتفق على أنه اذا كان الموضوع فى صالح الحلفاء ، فان عدد الاجابات التى تعتقد فى صحته ، ينم عن درجة ترجيح الرأى العام لكفة الحلفاء ٠٠ أما اذا كان الموضوع فى صالح الالمان ، فان مقياس الميل للحلفاء يتمثل فى الاجابات التى تقضى بأنه باطل أو غير محتمل !!

وكانت نتيجة هذا الاختبار دليلا قويا على العلاقة بين ميول القراء ، وبين مدى قبولهم للدعايات ٠٠

المنطق قد يكون خادعا !

◆ **ومن** المفكرين من يخطىء لانه يطمئن الى أول حل يصادفه دون أن يعنى بفحصه ومقارنته بالحقائق المعروفة للتـــأكد من صحته ٠٠ ومن وسائل التأكد، أن تعرض الحل على شخص آخر لينتقده ٠٠ وهناك وسيلة أخرى هى أن تراجع الحل على هدى المنطق ٠٠ وقد تبدو قواعد المنطق من المسائل الفنية الصعبة التى لا يجيد استخدامها سوى كبار المفكرين ، والحقيقة أن التفكير المنطقى يستعمل فى حياتنا اليومية على نطاق واسع ، وان لم نفطن الى ذلك ٠٠ ولا يشترط أن يكون معنى ذلك اننا نصيب فى استخدامه ، اذ كثيرا ما نجد الانسان العادى يسوق النتائج قبل الحجج، فى حين أن الغرض من المنطق هو دراسة الفكرة التى تواتينا عن أمر من الامور ، لتبين ما اذا كانت هناك قواعد تبرر النتائج المستقاة منها أم لا ٠٠

على أن المنطق كثيرا ما يتأثر ـ فى رأى علماء النفس ـ بتحيز المرء الى رأى خاص ، أو تأثره بفكرة أو عقيدة سابقة ٠٠ وأكثر الاخطاء يرجع الى عدم الدقة فى سرد الحجج والآراء٠٠ ومن أمثلة ذلك القول : «كل المغوليين ذوو عيون منحرفة٠٠ وكل الصينيين ذوو عيون منحرفة ٠٠ ومن ثم فكل الصينيين مغوليون » ٠٠

وهذا تسلسل يبدو معقولا ، ولكنه بنى على منطق خادع ٠٠ غير دقيق ٠٠

٢ ـ فن الاستذكار

◆ **من** كل ما تقدم نرى ان التفكير الصافى الواضح، وتركيز الذهن ، والدراية بأفضل أساليب القراءة ، من ضروريات التعلم والاستذكار ٠٠ ولكن مجرد الاستذكار ليس كل شىء ، بل لا بد من أن ترسخ المادة فى الذهن ٠ والسبيل الى ذلك يتمثل فى

بعض اجراءات هامة : أولها ، أن تبسط المادة لنفسك بحيث تصبح مفهومة وذات معنى يتقبله ذهنك ٠٠ ويساعدك على هذا أن تعمد فى البداية الى قراءة الموضوع ـ أو الفصل ـ قراءة عامة وسريعة لتكون لنفسك فكرة عنه ، دون أن تحاول تذكر شيئا من تفصيلاته ٠٠ وقد يبدو للطالب أن فى هذا مضيعة للوقت ، لكن الواقع أن القراءة السريعة تتيح له فكرة عن التفصيلات المهمة والتفصيلات غير المهمة ٠٠ وعليه بعد ذلك أن يعيد القراءة فى روية واناة وتمعن ٠٠

وخيلق بالطالب أن يحاول استعراض بعض مشكلاته أو المسائل التى يغلق عليه فهمها ، فيحاول أن ينظر اليها على ضوء ما يستذكر ٠٠ فاذا كان يقرأ فى التاريخ ، جاز له أن يسائل نفسه : ما أثر استذكاره لتاريخ الشعوب على مسلكه نحو الاجانب مثلا ؟٠٠ واذا كان يقرأ فى علم الخدمة الاجتماعية للفقراء ، جاز له أن يفكر فيما اذا كان النظام الاقتصادى للبلاد نظاما صحيحا سليما ؟٠٠ واذا كان يقرأ فى علم النفس ، فخليق به أن يفكر فيما اذا كان ما يدرسه يساعده على مغالبة الغضب أو مقاومة الانفعال ؟٠٠

لخص ما تقرأ وامتحن فيه نفسك !

◆ **والى** جانب ذلك ، يحسن به أن يحاول أن يربط بين ما يقرأه فى احدى المواد ، وما سبق أن قرأه فى مادة أخرى شبيها له ٠٠

وعليه أن يستخلص من كل فقرة أهم ما فيها ، متناولا الاسس والمبادىء دون الشرح المسهب ، **ثم يغلق الكتاب ، ويلخص ما قرأ بأسلوبه الخاص ٠٠ فان هذا أدعى الى التصاق الموضوع بذهنه ٠٠ ولكن هذه المذكرات أو الملخصات تغدو عديمة النفع أو تافهة اذا هو لم يتأن فى كتابتها ، ويتخير أنسب الكلمات ، ويسجلها بخط واضح مقروء ، ويستكملها بحيث تشمل أهم ما قرأ ٠٠**

وليحذر الطالب أن يتخذ لذاكرته « عكازا »٠٠ فقد درج بعض

الطلبة على ابتكار وسائل منوعة تعينهم على تذكر النقاط الهامة فى الامتحان ٠٠ (مثال ذلك طالب التاريخ الذى يحاول تذكر سنة ١٩١٨ ، فيركز اهتمامه على الرقم ١٩ ، زاعما انه اذا طرح من التسعة الرقم التالى لها الى اليمين، حصل على الرقم الرابع وهو الثمانية ٠٠ مثل هذه الطريقة قد تصلح كتذكرة مؤقتة ، ولكنها مغررة مضللة ٠٠ اذ قد يحدث أن ينسى الطالب فى الامتحان الرقم الذى يلى التسعة من اليمين ، وبذلك لا يصل الى الرقم الرابع المنشود !)

فهم الموضوع ينبغى أن يسبق حفظه !

ومن العوامل التى تساعد على الاستذكار ، أن تكتشف لب الشىء الذى تستذكره بسرعة ، بأن تربط بين النقاط الهامة وتتبين العلاقات التى بينها ٠٠ فما لم تفهم الفكرة الرئيسية التى يدور حولها الموضوع ، فانه يتعذر عليك أن تحتفظ فى ذهنك بشىء منه ٠٠ لذلك يحسن دائما أن تعى ما يقوله المدرس عن الموضوع، لتكون لنفسك فكرة عنه تنفعك حين تتهيأ لاستذكاره ٠

كذلك مما يساعد على الاستذكار ، تخير المواد المتقاربة ٠٠ فاذاكنت تعتزم أن تستذكر فى الفترة الواحدة مادتين، فاحرص على أن تكونا متقاربتين ما أمكن ، ليسهل عليك نقل ذهنك من الاولى الى الثانية دون عناء ٠٠ فاذا كانت مادتك الاولى هى الكيمياء مثلا ، كان من الافضل أن تكون المادة الثانية هى الطبيعة لا الجغرافيا ٠٠!

والى جانب الملخصات التى أشرنا اليها آنفا ، يحسن بالطالب كلما قرأ فقرة أو صفحة ، أن يغلق الكتاب ويوجه لنفسه أسئلة فيما قرأ ٠٠ ثم يفتح الكتاب ويراجع اجاباته ، ويطابق بين ذلك وبين ما دونه فى ملخصاته !٠٠ فقد أثبتت التجارب أن هذه الطريقة ـ طريقة توجيه الاسئلة واستجوابك لنفسك فيما قرأت أولا بأول ـ من أكثر الطرق عونا على اعدادك للامتحان ٠٠

كيف توزع وقتك على مختلف العلوم ؟

◆ **كذلك** من أهم عناصر الاستذكار ، أن يقرر الطالب كيفية توزيع الوقت الذى خصصه لهذه العملية ٠٠ فلو اننا افترضنا انه أحصى ساعات الاستذكار فى الفترة الباقية قبل الامتحان ، ثم وزعها بين العلوم تبعا لاهميتها ومدى تمكنه أو عدم تمكنه منها ، فخص علم منها مائة ساعة مثلا ٠٠ فكيف يوزعها على الفترة السابقة للامتحان ؟٠٠ هل يخصص لذلك العلم عشر ساعات يوميا لعشرة أيام ، أو ساعة واحدة لمدة مائة يوم ؟

لكى يقرر الطالب نظام التوزيع ، ينبغى عليه أن يتدبر عدة عوامل : وأول هذه العوامل ، طول الفترة التى يستطيع فيها أن يظل مقبلا على الاستذكار ٠٠ وليذكر أولا انه لا يقبل على العمل منذ اللحظة التى يجلس فيها الى مكتبه ، بل هو يعد مقعده فى الوضع المريح ، ثم يبحث عن القلم والورق ، ثم يحضر الكتاب ويفتحه ٠٠ وأحيانا تمر بذهنه خواطر لا شأن لها بالدرس ٠٠ وكل هذه تستغرق وقتا تقل نسبته كلما طال الوقت الذى تظل فيه نفسه متفتحة للاستذكار ٠٠

على أن التمادى فى اطالة أمد الاستذكار قد يخلق الملل، وهذا عامل ثان ٠٠ فضلا عن أن درجة النسيان تتفاوت بتفاوت المدة التى تنقضى بين دراسة علم وبين استئناف دراسته ثانية ٠٠

كل هذه عوامل تؤثر فى توزيع الوقت ٠٠ **وقد أثبتت تجارب علماء النفس فى هذا الصدد أن :**

فى حالة اســـــتذكار العلوم التى لا بد من حفظ قواعدها ونصوصها : كالنحو والصرف والشعر ، يستحسن أن تكون فترات الاستذكار قصيرة ومتكررة ومتقاربة ٠٠ كأن تخصص للعلم نصف ساعة فى كل يوم مثلا ٠٠

أما فى حالة استذكار العلوم التى تعتمد على الفهم والتطبيق ـ كالرياضيات ـ فيستحسن أن تخصص لها أوقاتا طويلة، كأن تخصص للعلم ساعتين فى كل مرة ٠٠

٣ ـ فن تأدية الامتحان !

◆ **ما دامت** الامتحانات « شر لا بد منه » ، فخليق بالطالب أن يروض نفسه على قبولها في هدوء ، وعلى اعتبارها اجراءات « لمساعدته » على ادراك مدى تحصيله .. لا محنا يقصد بها تعجيزه ..!

وليضع نصب عينيه دائما وهو يستذكر ، انه سيسأل يوما عن هذا الذى يستذكره.. وبذلك يشحذ ذاكرته دائما ويستحثها على الاحتفاظ بما يودعها من مواد ..

ومن العوامل المساعدة على التذكر ـ الى جانب كل ما ذكرنا ـ عامل سؤال النفس أولا بأول .. ويساعد على ذلك محاولة الاجابة عن أسئلة الامتحانات فى السنوات السابقة ..

على أن استذكار المادة ليس كل شيء ، وانما المهم هو أن يكون الطالب قادرا على أن يتذكر فى لحظات الامتحان كل ما قرأ .. ومن ثم فعليه أن يستعرض المادة من وقت الى آخر ، سواء كان هذا الاستعراض فى صورة القراءة المتكررة ، أو العودة الى الملخصات ، أو تذكر ما قرأ حين تعرض له مشكلة أو رأى فيطبق عليه ما درس .. الخ ـ على أن المراجعة المتكررة هى أيسر هذه الطرق جميعا وأضمنها ..

وليحرص الطالب فى المراجعة على أن يضاعف عنايته بالنقاط الهامة فى المادة التى يستذكرها ، وأن يستوثق من استيعابه للآراء ، والقواعد ، والقوانين ، والنظريات التى تقوم عليها موضوعات المادة ..

فى يوم الامتحان

وفيما يلى بعض الارشادات التي ينبغى أن تراعيها فى يوم الامتحان :

◆ **تأكد** أولا من أنك فهمت كل الاسئلة قبل أن تبدأ فى الاجابة عن أول سؤال !٠٠ وتذكر أن قراءة الاسئلة كلها فى البداية ، تساعدك على أن تقسم الوقت بينها ، وعلى أن تتخير منها ما ترى نفسك أكثر استعدادا لاتقان الاجابة عنه ٠٠ وخليق بك اذا ما وزعت الوقت بين الاسئلة ، أن تترك مدة للمراجعة النهائية ، وأن تلزم نفسك باحترام هذا التوزيع ، فلا تسمح لاى سؤال بأكثر مما حددت له ٠٠

◆ **كثيرا** ما يساور الطالب عند الامتحان شىء من الخوف والقلق والانفعال ، وفقدان الثقة بالنفس والذاكرة ٠٠ وهــذه أمور تستطيع التخلص منها اذا أنت استعددت للامتحان مبكرا ، واستذكرت دروسك من البداية ٠٠ فان معظم هذه الحالات وان بدت نفسية ، تنشأ عن عوامل جســمية بسبب الافراط فى السهر قبيل الامتحان ٠٠

من أدى واجبه ، فليطمئن !

على أن هذا لا يعنى أن الانفعال قد لا يساور الطالب الذى أحسن الاستذكار والاستعداد ٠٠ ولكن منشأ الانفعال فى هذه الحالة انما يكون القلق المنبعث عن الرغبة فى التفوق !٠٠ وخير سبيل لمقاومته هو أن يقنع الطالب نفسه بأنه ، وقد بذل أقصى ما يستطيع ، وأدى واجبه تمام الاداء ، جدير به أن يطمئن الى أنه بالغ هدفه ٠٠ فالجندى الذى عرف سبيله الى العدو ، وتأكد من سلامة سلاحه ومن كفاية ذخيرته ومن دقة خططه ، لا يجد مجالا للتفكير فى الهزيمة !

والمسألة أولا وأخيرا ، تتوقف على الاستذكار ٠٠ والاستذكار ليس موهبة تولد مع الانسان ، وانما هو فن ذو قواعد وأساليب ـ لخصناها لك فيما تقدم ـ ومن الســهل أن تحذقه بالمران والتطبيق ٠٠

شخصيات وراء الأحداث



جوزيف ستالين

للكاتب العالمى «ديل كارنيجى»

◆ فى ٥ مارس المنصرم مات ستالين ، فانطوت بموته صفحة قطب آخر من أقطاب العالم الثلاثة الذين قرروا مصيره فى الحرب الاخيرة ، والذين لم يبق منهم اليوم على قيد الحياة ـ بعد ان مات روزفلت ـ غير ونستون تشرتشل ..

وقد تكون قرأت الكثير عن حياة ستالين ، ولاسيما منذ وفاته ، لكنك فى ظنى لم تقرأ هذا الكتاب الممتع لـ «ديل كارنيجى» ، الذى يروى فيه قصة حياة ستالين بطريقته الخاصة .. فتعال نقرأها معا فى الصفحات التالية ، ولا تنس وانت تقرأها ان كارنيجى كتبها اثناء حياة ستالين ..

الرجل الذى حكم ٢٠٠ مليون نسمة !

◆ **انه** أقوى رجل فى العالم اليوم .. يعبده ملايين من الناس ، ويمقته ملايين غيرهم !.. كان والداه يوما فى حكم العبدين ، يباعان ويشريان مع الارض التى يعيشان عليها .. ولكن ابن ذينك العبدين السابقين يحكم اليوم سدس الكرة الارضية .. ويتحكم فى مصائر أكثر من مائتى مليون من البشر !

قد تعجب به ، أو قد تحتقره .. لكن هناك شيئا واحدا مؤكدا ، هو أنك لاتستطيع أن تتجاهله . ولست أفهم كيف يمكن أن لايحترم الانسان اخلاصه ـ مدى الحياة ! ـ لهدف واحد ، لم يتحول عنه قط ..

اسمه ستالين ، جوزيف ستالين .. لكن اسمه الحقيقى

فى الواقع كان « يوسف فيساريونوفتش دزوجاشفيلى » ! **٠٠ ولد فى أول ديسمبر سنة ١٨٧٩ ، فى بيت صغير متواضع - كان ايجاره الشهرى ستة شلنات (ثلاثين قرشا !) - باقليم «جورجيا» المشرف على البحر الاسود ، والغنى بحقول البترول الروسية ٠٠**

وأهل «جورجيا» مايزالون يتكلمون لغتهم الخاصة ، برغم ضم بلادهم الى روسيا منذ ١٤٠ سنة ٠ وقد كان ستالين نفسه يتكلم هذه اللغة حتى سن العشرين ، بل انه مايزال يتكلم الروسية بلهجة أهل جورجيا !٠٠ وقد تعجب اذا علمت أن اللغتين تختلفان احداهما عن الاخرى بقدر اختلاف اللغة الاسبانية مثلا عن الانجليزية !

كانت أمه غسالة !

◆ **وقد** ألغى القيصر اسكندر الثانى نظام العبيد فى روسيا قبل أن تلغيه أمريكا بثلاث سنوات ٠٠ فلما ولد ستالين الصغير سنة ١٨٧٩ كان أبواه قد أصبحا فى عداد الاحرار ٠٠ الاحرار فى أن يكسب الاب خبزه اليومى من اصلاح الاحذية وتكسبه الام من غسل الثياب ٠٠

فلنر كيف وصل جوزيف ستالين الى جعل نفسه الحاكم المطلق على أراضى روسيا الشاسعة التى حكمها قبله قياصرة روسيا لاكثر من خمسمائة عام ٠٠ أعنى لنر كيف صار «يوسف فيساريونوفتش دزوجاشفيلى » ٠٠ جوزيف ستالين !

بدأ أولا بتلقى العلم ، الذى رفعه من بيئته الوضيعة الفقيرة ومنحه نظرا ثاقبا وهدفا لحياته ٠ **وكان أبوه قد أراده أن يصير اسكافا ، لكن أمه كانت لها أحلام ، شأن سائر الامهات٠٠ بل ان هذه الام الجاهلة التى ولدت فى ظل العبودية ، والتى كانت تكسب قوتها من غسل الثياب وحياكتها ، تاقت الى أن ترى ابنها يعيش حياة أبهج من حياتها ، فى دنيا أفضل من الدنيا التى عرفتها !**

وكانت قد ألفت التردد على الكنيسة الروسية الارثوذكسية ، لتوقد الشموع أمام مذبح قديس من القديسين ، وتركع وتبكى وهى تصلى كى يصبح ابنها يوسف قسا يكرس حياته لخدمة الدين !٠٠ وماكانت لتعبأ بفداحة المجهود أو طول المدة التى تلزمها لبلوغ أمنيتها هذه ، فقد كانت تسعى الى هدف ٠٠ وهدف مقدس !

نقطة التحول فى حياته !

◆ **وبفضل** بحثها الدائب عثرت لابنها على مكان فى معهد لتعليم الدين فى مدينة «تيفليس» ، فالتحق ستالين بذلك المعهد، وبقى فيه سنوات ٠٠ ولكن ذات يوم ، وهو فى الخامسة عشرة ، حدث شىء ٠٠ شىء كان فى ذاته تافها ، ولكن قدر له أن تتولد عنه «مضاعفات» هزت العالم من أساسه فى المستقبل : وقع فى يد الفتى ستالين كتاب أحدث فى تاريخ البشرية من التأثير مالم يحدثه أى كتاب آخر غير دينى ٠٠ وكان كتاب : «رأس المال» ، لكارل ماركس !

وأحدث الكتاب فى نفس الفتى هزة ألقت به من فورها فى زمرة الاتباع «السريين» لكارل ماركس ! وجعلته يقرر أن يكرس حياته للكفاح من أجل مصالح قومه ومواطنيه ٠٠ فقد ثارت نفسه على الفقر المدقع الرهيب الذى يعيش فى دوامته عشرات الملايين من الفلاحين الروس ٠٠ **وكان فقرا « خياليا » يصعب علينا حتى أن نصدق به ٠٠ فان الكثيرين من أولئك الفلاحين الروس كانوا عاجزين عن شراء الملح الذى يملحون به طعامهم !!**

وآمن ستالين بأن الطريق الوحيد لتحسين أحوال معيشة أولئك المواطنين هو : الثورة !٠٠ لكن نشاطه الثورى الذى انغمس فيه منذ ذلك اليوم أدى به الى الطرد من المعهد الدينى الذى كان يدرس فيه ٠٠ فعاش الربع قرن التالى يعمل بغير

توان لتحقيق مثله العليا . وفى سبيل ذلك رضى مختارا أن يعيش معيشة الحيوان الطريد ، فعاش سنوات بلا بيت ! وكانت تنقضى عليه أسابيع طويلة لا يبيت خلالها فى المكان الواحد مرتين !.. ومن أجل مبادئه المذكورة قضى ثمانية أعوام من حياته .. فى السجن !

لكنه طيلة تلك السنوات الشاقة من الجهاد ، والفرار ، والاعتقال ، لم ينقطع يوما عن العمل من أجل «الحزب» : بالقاء الخطب الثورية ، وتحرير صحيفة ثورية كان يصدرها من زنزانته بسجن سانت بطرسبرج !

لايخشى النفى .. ولا الموت !

◆ **وكان** ستالين ثوريا من ذلك الطراز المتفانى ، المتأهب على الدوام لبذل حريته بل وحياته ذاتها اذا اقتضى الامر !.. وعاش بهذه الروح وهذا الشعور أسبوعا بعد أسبوع وعاما بعد عام .. **فلما فشلت ثورة سنة ١٩٠٥ فر « لينين » و «تروتسكى» الى سويسرا للنجاة بنفسيهما .. أما ستالين فأبى أن يفر ، بل بقى فى روسيا يتحدى بوليس القيصر ، فى وقت كان القبض عليه فيه يعنى احتمال اسناد ظهره الى حائط ، ورميه بالرصاص !**

وخلال مدة بقاء لينين فى المنفى ، دأب على تهريب المقالات الثورية على ورق السجاير او فى داخل علب الصفيح التى تخبأ فى براميل النبيذ .. فكان ستالين يتلقاها فينشرها فى صحيفته السرية !

ونفى ستالين الى سيبيريا ست مرات .. وفر من المنفى خمس مرات ، ليعود فيستأنف تغذيته لبذور الثورة يوما بعد يوم .. فان قضبان السجون ، وسياط الجلاد ، والتهديد بالموت ، لم تفلح كلها فى ارهابه ، بل انها على العكس زادت من تعمق ورسوخ عقيدته الواحدة التى لاتتبدل : أن يسقط حكومة بلاده المستبدة ويعطى أرض روسيا وثروتها للشعب ..

فى المنفى الرهيب .. بصحراء سيبريا !

◆ **ولكن** ، فى المرة الاخيرة ــ السادسة ! ــ التى قبض فيها بوليس القيصر على ستالين ، لم يبق محل لافساح أية فرصة له فى الهرب ، فأرسلوه فى حراسة شرطيين الى منفى سحيق كان الذاهب اليه فى حكم المفقود ، والعائد منه فى حكم المولود ! وهناك ، فى الاكواخ الثلاثة المنعزلة التى يتألف منها المنفى ، والواقعة فى أقصى صحراء سيبريا الجليدية ، على بعد أقل من ١٨ ميلا من المنطقة القطبية ، ألقى ستالين لمصيره ، دون حاجة الى قيود أو سدود !.. وماجدوى القيود وهو لو حاول الفرار لمات حتما فى الطريق ، بردا وجوعا ؟

وعاش الاسير فى ذلك المنفى الرهيب سنوات أربع ، كان الطعام الذى يصل الى المستعمرة خلالها من الندرة بحيث ينطبق عليه المثل الروسى القائل : « **ان حشرة البق تعتبر فى الصحارى الجليدية لحما شهيا !» .. بل انه كان اذا أراد خشبا للتدفئة اضطر للذهاب الى الغابة لقطعه وحمله الى الكوخ بنفسه !.. وكان البرد والصقيع من الشدة بحيث لم يكن فى طوقه أن يقرأ أو يقوم بأية دراسة . بل كان قصاراه أن يؤدى عملا يدويا شاقا كى يحمى جسده من التجمد الى درجة الموت !**

وبرغم أن موقفه كان ميئوسا منه ، فان ستالين لم يفقد الامل يوما ، وانما آمن بأن لابد سوف يأتى يوم يتمكن فيه من النجاة !

وقد نجا بالفعل : نشبت ثورة ١٩١٧ ، فأطلق سراحه !

زوجتاه .. وأولاده .. وحياته العائلية

◆ **واسم** ستالين مشتق من اللفظ الروسى «ستال» ، ومعناه «الصلب» أو الفولاذ ! وقد صدقوا ، فان عوده كان أصلب من صفيحة الفولاذ البارد التى لاتنثنى .. والواقع أن ستالين

بالذات كان صاحب الفضل ، أكثر من أى رجل آخر ، فى احتفاظ الحزب البلشفى بوحدته وتضامن أعضائه خلال تلك السنوات العصيبة ، الامر الذى مكن من قيام الثورة التى أطاحت بحكومة القياصرة .

وقد تزوج ستالين مرتين : أما زوجته الاولى « كاترين » فكانت فتاة شابة ضئيلة التعليم ، وقد ولدت له ابنا ، لكن حياتهما الزوجية كانت تعسة للغاية .. فقد كان ستالين مطاردا بصفة شبه دائمة من البوليس ، فلم يكن يستقر فى بيته أياما حتى يغادره هاربا من جديد تحت جنح الظلام .. ثم لم تنقض على زواجهما أربع سنوات حتى ماتت كاترين بداء الصدر ..

ولم يتزوج ستالين مرة ثانية حتى أوفى على الاربعين ، وعندئذ عقد زواجه على فتاة فى السابعة عشرة ! .. وقد ماتت هذه سنة ١٩٣٤ من تسمم دموى أعقب انفجارا فى الزائدة الدودية . ويومئذ دفنت الزوجة باحتفال دينى أورثوذكسى كبير ، خلافا للعرف السوفيتى السائد !

وقد أنجبت له هذه الزوجة الثانية ولدا وبنتا . وقد اشترك كلا ابنيه فى القتال خلال الحرب الاخيرة ، فكان الاكبر ضابطا فى المدفعية ، والاصغر فى القوات الجوية ـ وقد كوفىء الاخير على بسالته بوسام كبير !

زاهد .. لكنه متأنق !

◆ **ويقطن** ستالين ـ بصفته الحاكم الاعلى لروسيا ـ بقرب القصر الامبراطورى الذى عاش فيه القياصرة تسعة وستين عاما . وقد كان فى وسعه ـ لو أراد ـ أن يقيم فى حجرات ضخمة تزينها اللوحات الزيتية الخالدة والسجاد الثمين وينام فى الفراش الذى نام فيه القياصرة ، لكن جوزيف ستالين اختار لسكنه شقة صغيرة من أربع غرف كان يقطنها يوما أحد خدم القيصر !!

أما طعامه فيأتيه من مطبخ قصر «الكريملين» ، ويقدمه اليه

على المائدة جندى • وهو نفس الطعام الذى يقـدم للمئات من موظفى القصر الحكومى !•• وستالين يمقت الظهور ، ويرتبك فى حضرة الغرباء • وقد قضى بعض سـفراء الدول العظمى أعواما طويلة فى موسكو بغير أن يقع بصرهم عليه مرة !

لكنه مولع بالتأنق فى ملبسه ، وله ذوق خاص فى اختيار نسيج ستراته وألوانها • وقد قابله المبعوث الامريكى المرحوم ويندل ويلكى أربع أو خمس مرات ، فلم يره بنفس الثياب أكثر من مرة !•• وفى احدى المرات كانت سـترته زرقاء فاتحة ، وبنطلونه قرنفلى اللون ، وحذاءاه أسودين لامعين ••

وحين يهنئه الزائرون على المعجزات التى حققها ، يكتفى بالجواب : «انها لاشىء بالقياس الى ما نعتزم القيام به »•• وهو ، برغم جبروته ، من الفطنة بحيث يدرك أنه ليس معصوما من الخطأ • وقد كتب مرة : « ان فضيلة الانسان الرئيسية هى أن تكون له الشجاعة ليعترف بأخطائه ، والقوة على أن يصلح هذه الاخطاء فى أقصر وقت ! »

وستالين يصل الى تحقيق أغراضه ، لكن أساليبه تكون أحيانا فظة قاسية •• حتى لقد قال فيه لينين ـ أبو الثـورة الروسية ـ « هذا الطاهى سوف يترك الطعام يسخن حتى درجة الغليان !»•• ولكن ، لو لم يعد هذا الطاهى الروسى وجبة فى درجة الغليان ، لهتلر وأتباعه النازيين ، فهل فى وسـعنا أن نتصور كم ألفا آخرين من جنود الحلفاء كان لابد من التضـحية بأرواحهم ، قبل أن تنهار قلعة هتلر ؟!

ذلك ان جوزيف ستالين ـ الطاغية ـ لكى ينقذ روسيا ، ساهم بنصيب كبير فى انقاذ الديمقراطية • وانه ليفزع المرء أن يفكر فيما كان عسـاه أن يحدث لنا ـ لك ولى ـ لولا بطـولة جيش ستالين الاحمر وتضحياته ••

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية من «كتابى» ، القصص العالمية الاتية على التوالى :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء : جون جالزورثى
- مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام : فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- ايام بومبى الاخيرة : لوردليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : جورج أونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة الحديثة التى تصور أخطر مشكلات المجتمع فى العصر الحاضر .. وفى الاعداد القادمة اقدم لك بأذن الله من روائع القصص العالمى ، القديم والحديث :

- ايفانهو : والتر سكوت
- تاييس : اناتول فرانس
- المراهقون : البرتو مورافيا
- الخطاب : سومرست موم
- الجريمة والعقاب : دستويفسكى الخ .. الخ


CASS
TIMBERLANE
By
SINCLAIR
LEWIS
سنكلير لويس
كاس تمبرلين
(مأساة الزوجة المفتونة)
"القصة التى فاز مؤلفها بجائزة نوبل"

هذه القصة .. وهذا المؤلف ..

«وكم احب أن تترجم الآداب الامريكية الى لغتنا ، وكم أحب أن تعنى جامعاتنا بدراسة هذه الآداب كما تدرس الآداب الانجليزية والفرنسية ، ففى دراستها ثروة أى ثروة، ومتعة أى متعة ..»

طه حسين

(الاهرام فى ... فبراير ١٩٥٣)

◆ أما اليوم فانا أريد أن أقدم اليك كاتبا وقصة من طراز جديد ، وادب جديد ، هو الادب الامريكى ..

أما المؤلف فقد اعجبت به منذ نحو ١٦ عاما ، حين «شاهدت» له يومئذ قصة مثلها على شاشة السينما ، فيما اذكر ، الممثلان القديران : والتر هستون، ومارى أستور ــ وكان أسم تلك القصة ، التى ما تزال مواقفها عالقة بذهنى حتى الآن : «دودز ورث !» ... ثم انقضت الاعوام دون أن يتسع لى الوقت لمطالعة القصة المذكورة أو سواها من مؤلفات صاحبها ، حتى قرأت فى الصحف فى منتصف يناير سنة 1951 نبأ وفاة «سنكلير لويس» فى روما .. فتذكرته ، وقرأت له يومئذ قصة اخرى من روائعه هى «أروسميث» ، ثم نشرت على الاثر عرضا سريعا لها فى أحدى الصحف اليومية ..

وبعد شهور ، قدر للسينما أن تلفتنى الى نفس المؤلف مرة أخرى ، حين شاهدت قصته هذه « كاس تمبرلين » يمثلها فى فيلم رائع الممثلان « سبنسر تراسى» و«لانا تيرنر» .. فبلغ من اعجابى بها أنى صممت على قراءتها ، لكنى عجزت عن العثور على نسخة منها فى المكتبات يومئذ .. حتى تفضل صديق فأهدانى اياها منذ اسابيع ، فزادتنى قراءتها اعجابا بها ، بحيث لم استطع مقاومة رغبتى فى أن احاول اشراكك معى فى متعة العيش بضع ساعات ، أو أيام ، فى رفقة بطليها المحبوبين «كاس تمبرلين» ، و«جينى مارشلاند»

اقول «المحبوبين» ، لانك لا تملك الا ان تحب هذين النموذجين الرائعين للنفس البشرية ، الصريحة ، المفتوحة على مصراعيها !.. اللذين يتمثل سحرهما فى أن كلاهما شخصية عصرية تحس وانت تقرأ قصتها كانك تعيش فى بيئتها ، ومع ذلك فهى تابى ان تنزلق الى ما تعارف اكثر الناس على أن ينزلقوا اليه فى أيامنا هذه : من اغراق فى المادية ، وتمرد على القيم الروحية والمثل العليا السامية ..

فبطل القصة «كاس تمبرلين» ــ (ومؤلفها يحب كما سترى أن يسمى قصصه بأسماء أبطالها أو بطلاتها) ــ قاض فاضل يعيش فى أحدى مدن الاقاليم الصغيرة بامريكا ، ويقدس فى حياته شيئين : عمله ومنصبه كحارس للعدالة

يتقى الضمير والقانون فى احكامه .. ثم هوايته الاجتماعية النبيلة ، وهى النهوض بمرافق بلدته المحبوبة حتى تكون مثالا للمدينة المثالية التى توفر الحياة الكريمة السعيدة لقاطنيها أجمعين ..

لكن القصة لا تتقدم بنا قليلا حتى تتطرق الى مشكلة نعانى منها نحن ايضا فى (مصر) الامرين : مشكلة هجر الرجال ذوى الكفاءات الصالحة للريف ومدن الاقاليم ، ليتكدسوا جميعا فى العواصم اللامعة !.. لكن هذا الجانب «الظاهر» للمشكلة ، يخفى جانبا آخر خفيا ، يدور داخل جدران «البيت» الاربعة .. يخفى «صراعا» موجعا بين المواطن المثالى القانع بحياته الهادئة الشريفة فى الاقاليم ، وبين زوجته العصرية المدللة التى يطاردها الضجر والطموح الى حياة العاصمة الصاخبة المتألقة الانوار !

والمرأة متى وضعت نصب عينيها هدفا ، كفيلة بأن توسوس به للرجل ليل نهار .. حتى ينصاع لرغبتها ويمسح عنها دموع الضجر ، ولو ضحى فى سبيل اسعادها بسعادته هو ، وقناعته ، وشرفه ، فانتقل واياها الى العاصمة الصاخبة المجنونة ، ليشارك أهلها تنافسهم المسعور على جمع المال .. والتألق فى المجتمع

لكننا لا نكاد نوطن انفسنا على مساعدة بطل القصة فى معالجة مشكلته الاولى .. حتى تواجهه ، فتواجهنا ، مشكلة اخرى أخطر واعقد : مشكلة القلب البشرى التعس ، المتمرد ، الذى لا يملك من أمر نفسه أو يملك صاحبه من أمره شيئا .. والذى ينفلت زمامه من صاحبه فيجمح به بمجرد أن يلوح له فى الافق شبح .. الغواية !

أو هى مشكلة الحضارة الانسانية القائمة على الزيف ، والشـك ، والخديعة ، والتى لم تستطع رغم مرور الاجيال ان تؤمن زوجا على قلب زوجته ـ أو زوجة على قلب زوجها ـ بحيث يعيش كل مستريح الخاطر الى أن قلب صاحبه لن يتحول عنه الى .. آخر ، أو ينشد لنفسه دون شريكه شريكا !

.. والى أن تهتدى البشرية الى مفتاح قلب الانسان ، أو الى ذلك السر «الالهى» الذى يبقى الرجل أو المرأة مقيما على حبه لصاحبه .. لا مفر من أن يظل البشر يعانون مآسى العواطف المتقلبة ، والغرائز الطائشة ، والقلوب المفتونة .. والحب الذى يتحول !

ولكن .. أخشى لو استرسلت مع خواطرى التى أثارتها مواقف القصة فى نفسى ، أن أفسد عليك قراءة القصة بنفسك .. فلأتركها الآن جانبا كى اعرفك بمؤلفها :

الفائز بجائزة نوبل !

◆ فى يوم من أيام ديسمبر سنة ١٩٣٠ دق جرس التليفون فى منزل «سنكلير لويس» بنيويورك ، واذا شخص ينبىء الاديب الكبير فى انجليزية تشوبها لهجة سويدية ، بأن اللجنة المنوط بها اهداء جائزة نوبل فى الادب قد منحته الجائزة عن ذلك العام !

وظن سنكلير أن محدثه يمزح ، فلم يصدق الخبر الا حين قرأه بعد ساعات فى الصفحة الاولى من كبريات الصحف !

ولنجاح سنكلير لويس قصة جديرة بأن يتدبرها كل ناشىء يتعجل الصعود الى القمة دون ان «يتسلق» الجبل ، ويدمى التسلق يديه وقدميه !

ولد سنكلير فى «سوك سنتر» بولاية (مينسوتا) يوم ٧ فبراير سنة ١٨٨٥ ، وكان أبوه طبيبا ريفيا فى بلدة تقع وسط البرارى والاحراش .. فلما شب الفتى مرنه ابوه على اعطاء مرضاه حقن «البنج» قبل أن يجرى الطبيب فيهم جراحته . لكن الابن انصرف عن هذه «المهنة» الى القيام باعمال مختلفة فى مستعمرة للشئون الاجتماعية بالولاية .. وفى هذه الاثناء وضح اتجاهه الادبى فالتحق بجامعة «ييل» حتى نال منها اجازة الادب سنة ١٩٠٧ .. ثم أنفق الاعوام التالية فى الاسفار والمراسلة الادبية والصحفية لكثير من دور النشر ، بعد أن طرد فى البداية من الصحف الاربع الاولى التى عمل فيها !.. واشتغل حينا سكرتيرا لتحرير صحيفة للمصابين بالصمم .. وحينا كان يكتب اشعارا للاطفال !.. وكلما واتته فكرة قصة كان يبيع الفكرة للمؤلف المعروف ـ وقتئذ ـ «جاك لندن» .. لكنه لم يلبث أن بدأ يكتب بنفسه القصص والافكار التى تخطر له ، فكتب ستة كتب ، دون أن يجنى منها نجاحا أدبيا .. ولا ماديا !

ومع ذلك فانه لم يكن يعرف اليأس !.. كان فى فترة من حياته ينهض مبكرا فيضع اناء القهوة على النار ويبدأ فى الكتابة ، على منضدة المطبخ ! .. وفى احدى المرات عاش ستة أشهر يعمل ليل نهار : كان يكتب ، ويطهى طعامه ، ويغسل ثيابه بنفسه .. وفى النهاية لم يستطع ان يبيع من انتاجه ذاك غير «نكتة» واحدة ، بعشرة شلنات ! !

وفى سنة ١٩٢٠ أصدر روايته السابعة «الشارع الرئيسى» ، بعد أن كتب بدايتها ثلاث مرات ، كانت الاولى منها قبل ذلك التاريخ بسبعة عشر عامـا !..

فلما صدرت القصة «اكتسحت» العالم الناطق بالانجليزية كالاعصار !.. فثارت ضدها الاندية النسائية ، وهاجمها رجال الدين ، وانتقدتها الصحف.. وبعبارة اخرى أثارت «حربا أدبية» عنيفة تردد صداها فى أنحاء الولايات المتحدة على بعد ثلاثة الاف ميل !.. لكن القصة خلقت من كاتبها نجما ادبيا من الطراز الاول ..



وتوقع المتشائمون أن يعجز لويس عن كتابة قصة أخرى فى مستواها !٠٠ لكن الاديب ذا الشعر الاحمر كتب بعدها سيلا من القصص الطويلة التى أحرزت نجاحا وانتشارا هائلين، ومنها : «بابيت»، « أروسميث » ، « المر جانترى » ، « دودزورث »، «آن فيكرز»، « هذا لا يمكن أن يحدث هنا »٠٠الخ

وقد عرف سنكلير لويس بتأنقه وتجويده فى كتابته فهو يكتب العبارة ويعيدها وينقحها ، دون ملل ٠٠ وقد بلغ من حرصه على أن لا يخرج من تحت يده سطرا لا يرضى عنه كل الرضا ، انه أنفق مرة ١٢ شهرا فى كتابة رواية ٠٠ وفى النهاية ألقى بمخطوطها كله فى سلة المهملات !

وفى سنة ١٩٢٨ تزوج من الصحفية « دوروثى تومسون » ـ التى زارت مصر منذ عامين ـ لكن زواجهما انتهى بالفشل والانفصال ٠ وقد قدر لكليهما بعد ذلك ان يبلغ اقصى درجات الشهرة فى فنه !.. وبعد أن فاز سنكلير بجائزة نوبل عرضت عليه جائزة «بوليتزر» الادبية فرفضها .. ثم اختير بعد ذلك عضوا فى الاكاديمية الامريكية للآداب والفنون . وفى السنوات الاخيرة ركز جهوده فى الكتابة للمسرح ، وصار يشترك بنفسه فى تمثيل مسرحياته واخراجها ٠٠ وقد عاش سنواته الاخيرة يقضى نصف العام فى داره الفاخرة بحى «بارك أفينو» الصاخب ، قلب نيويورك .. والنصف الاخر فى بقعة منعزلة بجبال (فيرمونت) ، حيث اقتنى ضيعة من ٣٤٠ فدانا كان يلذ له أن يزرع الخضروات فى جزء منها بنفسه ، ويصنع « الشربات » من فاكهتها بيده !.. ولم يكن يغادرها الى المدينة القريبة الا كل اسابيع مرة ، ليقص شعره ..

وكان يمقت الشهرة ، ويفر من هواة جمع امضاءات العظماء ، ويتجنب مآدب العشاء العامة وحفلات الشاى !.. أما البريد الذى كان يمطره به المعجبون كل يوم فقد صرح مرة بشانه بأنه لو اجاب عليه كله لما أستطاع أن يكتب حرفا جديدا ، بل لما وجد وقتا حتى لينام !

وقد عاش طيلة حياته لا يمارس اية لعبة رياضية ، أو يبالى بالرياضة على الاطلاق !

- ١ -

◆ **كانت** الحيلة قد أعجزت القاضى فى مقاومة النعاس خلال القضية المملة التى كان ينظرها ٠٠ حتى استدعيت « جينى مارشلاند » لتؤدى الشهادة ٠٠ واذ ذاك طار النعاس من عينى المحترم «كاس تيمبرلين» قاضى الدائرة القضائية الثانية والعشرين بولاية «مينسوتا» !

كان «كاس» فى الحادية والاربعين من عمره ، وكانت هذه أول سنة يتربع فيها على مقعد القضاء ، بعد أن قضى فترة نائبا عن الولاية فى مجلس «الكونجرس» ٠٠ وكان رجلا وقورا ، حازما ، كثير الاطلاع ، شديد الاعتداد بقداسة القانون٠٠ ومع ذلك فقد تمنى خلال تلك القضية المملة لو لم يكن واجبه يقيده الى مقعده حتى نهاية الجلسة ٠٠!

أما حين مثلت الشاهدة الحسناء أمامه ، فقد ألفى اليقظة تعاوده ٠٠ وساءل نفسه : كيف لم يقدر له أن يراها من قبل ، فى مدينة صغيرة مثل «جراند ريببلك» ، لايعقل قط أن تضم أربع حسان يضاهينها رشاقة !

كانت الفتاة فى نحو الثالثة والعشرين ، فارعة القامة ، ذات عينين مؤتلقتين ، ووجه صبوح !٠٠ وقالت تجيبه على أسئلته : « اسمى (جينى مارشلاند) ٠٠ فرجينيا مارشلاند٠٠ رسامة ومبتكرة تصميمات لشركة «فلايجند» ، ومن مواليد بلدة (بيونير فولز) »

ونظر كل من «جينى» والقاضى «كاس تيمبرلين» الى الآخر ٠٠ واستعذب القاضى صوتها الرقيق ، الصافي ، الناعم ٠٠ وود لو ينحنى على منصته ليقول لها ان القضية لاتعنيهما فى شىء ، و٠٠ «لننصرف معا ، وننس كل هذا ، فانى أصبو الى أن



أتحدث اليك ، وأريك اننى أستطيع أن أكون لبقا ، حلو المعشر » ٠٠

واذ فرغت «جينى مارشلاند» من الادلاء بشهادتها ، ابتسمت له، ثم انسابت من قاعة المحكمة كما تنساب السمكة في الماء ٠٠

وأحس القاضى أن القاعة التى طالما أحس بالخيلاء لسعتها ، تنكمش وتضيق وتكاد تخنقه ، حتى لقد اشتهى أن ينطلق ليستروح الهواء فى الخارج ، على أن تكون معه ٠٠ « جينى مارشلاند » !

❖

◆ **كانت** بلدة «جراند ريببلك» تضم ٨٥ ألف نسمة ، يتألف منها مجتمع اتسع لطبقة من أصحاب الملايين ، وأخرى من الغوغاء ٠٠ وكانت تقع عند ملتقى نهرى «بيج ايجل» و «سورشاى» ، والواديين اللذين يضمانهما ٠٠

وكان القاضى «كاس تيمبرلين» قد اعتاد فى أيام الربيع البهيجة أن يقطع المسافة بين دار المحكمة وداره سيرا على قدميه ٠٠ وكذلك فعل فى ذلك اليوم ، ولكن صورة «جينى مارشلاند» كانت تحجب عن عينيه مناظر الطبيعة الرائعة ! فعجب فى نفسه : كيف لم يقدر له أن يرى الفتاة من قبل ، فى مثل هذه المدينة الصغيرة !٠٠ ولكن ، أين كان ليراها ، وهو الذى عاقه تقديسه لعمله وانقطاعه له عن أن يزور « النادى الرياضى » مرة واحدة منذ انتخب قاضيا ، ولو ليلعب الشطرنج مع «لوسيس فلايجند» ، الذى اكتشف الآن فقط أنه مخدوم

«جينى» الذى تعمل فى مؤسسته !٠٠ **وألفى «كاس» نفسه يتساءل : أو ترى تستطيع فتاة مثل «جينى» أن تخرجه من الوحدة الموجعة التى يعيش فيها منذ طلق زوجته «بلانش» ، المسرفة ، المغالية فى انصرافها الى اللهو والصخب ؟!**

وبلغ القاضى بيته ٠٠ بيت «بيرجهايم» العتيق الذى ابتاعه أبوه من أسرة من أوائل مستوطنى الوادى ، ثم أورثه اياه مع عقار يقدر بحوالى خمسين ألف دولار !٠٠ وكان البيت كئيبا ، حتى لقد كرهته «بلانش» منذ حلت فيه ـ الى أن رحلت عنه !ـ ولكن كاس لم يكن يقوى على فراقه ، فقد نشأ وعاش فيه منذ مولده ٠٠

ووجد القاضى « مسز هيجبى » ـ الطاهية والمشرفة على البيت ـ فى انتظاره ٠٠ وكانت امرأة فى الستين ، من أصل زنجى ، عزيزة النفس ، رزينة ، شديدة الولاء ٠٠ فابتدرها بأنه سيتناول عشاءه على مائدة الدكتور «دروفر» ، فقالت فى غير كلفة :

ـ اذن ستحظى بدجاج سمين شهى ٠٠ وبصحبة « مس جراو » ، ومعنى هذا أنك لن تعود مبكرا !

وكان لزاما على القاضى أن يرتدى ثياب السهرة ، كأبناء الطبقة التى يزيد دخلها على سبعة آلاف دولار !٠٠ ومن ثم دلف الى مخدعه ، و «جينى» لاتزال تشغل باله ٠٠ وخيل اليه أن الغرفة تبدو ـ بما ازدحمت به من أثاث عتيق ـ كمقبرة معتمة ، فلم يتمالك أن اعترف بينه وبين نفسه بأن فتاة مثل «جينى» كفيلة بأن تحيلها الى جنة ! ـ وان كانت «بلانش» لم تعبأ بها ، واتخذت لنفسها مخدعا خاصا !

- ٢ -

◆ **كان** الدكتور « روى دروفر » أحد أعز صديقين لكاس ـ أما الثانى فكان «براد كرايلى» المحامى ـ وقد جمعت بين ثلاثتهم مقاعد الدراسة منذ الصغر ، ثم وثقت الايام أواصر الود

والصداقة بينهم ، وان غيرت من طباعهم ومراكزهم : فأصبح «براد» مرحا ، أنيقا ، يستهوى النساء ٠٠ وانصرف «كاس» الى الدرس والاطلاع ، والتشبث بمبادىء الاخلاق ٠٠ فى حين غدا «روى» طبيبا وجراحا ماهرا ، كما أوتى جذقا فى استثمار أمواله فصار من الاثرياء ٠٠ وكان وزوجته «ليليان» يبدوان فى نظر أهل البلدة أسعد زوجين ، وان كانت «ليليان» تكرهه ، وتنفر من عناقه « الموجز » ، رغم حرارته واخلاصه !!

وضمت مائدة الطبيب وزوجته كلا من : «كاس» و « مس كريس جراو» و «بون هافوك» وزوجته ، و «دون بنيلوس» وزوجته «روز» - أخت «كاس» - **وكانت « كريس جراو » تصغرهم بكثير ، رغم كونها عانسا فى الثلاثين ، ولكنها دعيت الى السهرة لتكون زميلة «كاس» وتؤنس وحدته ، سيما وقد كانت تؤمن فى قرارة نفسها بأن الامور سائرة حتما الى أن يهواها «كاس» فيتزوج منها ، فانه لن يستطيع أن يعيش بلا زوجة ٠٠ طويلا !**

وكان «بون هافوك» وزوجته «كوينى» أكثر الحضور صخبا ٠٠ كان الرجل قد بدأ حياته عاملا يقتطع الاخشاب ، ثم عمل فى المناجم حينا ، واحترف المصارعة حينا آخر ، وانتهى به الامر الى أن احترف المقاولات ، فوفق وجمع ثروة طائلة !

وكانت الاحاديث التى دارت أثناء العشاء ممضة مملة ٠٠ عن الخدم والغسالات ، وقد أصبحت كلا الفئتين أندر من الاخرى !٠٠ وعن أطفال هذا الجيل وروحهم المتمردة ٠٠ وعن الضرائب التى يرزح الجميع تحت وطأتها ٠٠ وعن الحرب بين هتلر وبريطانيا ، وعزوف أمريكا عن الاشتراك فيها ٠٠ الخ

وتحايل «كاس» ليزج باسم «جينى مارشلاند» فى غمرة الحديث ، ولكنه لم يفلح الا فى أن يجعل «كريس» تهتف وهى تنهض لتنصرف : «يالله !٠٠ مافطنت الى أن الوقت قد تأخر

حتى أصبحنا فى الحادية عشرة والربع ٠٠ أترافقنى فى سيارتى ياكاس ؟ »

وتولى هو القيادة ٠٠ حتى اذا بلغا بيت أسرة « جراو » العتيق ، دعته الى غرفتها في الطابق الثانى ، حيث تعمدت أن تمزج له كأسا من الخمر القوية المفعول ! ثم جلست على ذراع المقعد الذى استقر فيه ، وراحت تمسح على شعره فى رفق ٠٠ واذا بها تنحنى فتطبع على جبينه قبلة خفيفة ، انتقلت بعدها الى مقعدها وهى تقول :

ـ لن أتخلى عن الامل فى أن تغدو يوما عضوا فى مجلس الشيوخ ، أو قاضيا فى المحكمة العليا ، فليس فى الولايات المتحدة من يفوقك جدارة ٠٠

ـ لا يا «كريس» ٠٠ ما أنا الا محام مغمور فى الاصل ٠٠ فضلا عن أننى أحب أن يرتبط اسمى دائما باسم «جراند ريببلك» ٠٠ انى أحب بلدتى ، وأعتقد أن مستقبلا زاهرا ينتظرها ٠٠

وكانت مثله تحبها ٠٠ وعلى استعداد لان تكون أكثر حبا لها اذا ما تزوجها !٠٠ فقد كانت ماتزال فى الثانية والثلاثين ، وفى امكانها أن تنجب ستة أطفال قبل أن تبلغ سن اليأس٠٠ فما أحلى أن تعيش معه فى بيت واحد ، يحوطهما أولادهما ، وتخدمهما « مسز هيجبى » !

وألفت نفسها تركع تدريجيا عند قدميه فى استهواء ٠٠ وتصاعد اليه منها عبير كنكهة التفاح ، فمال الى الامام ، نحوها ٠٠ وظلت هى فى جثوتها ، وكأنها لاتمانع فى أن تستسلم له ! ٠٠ لكنه هب فجأة واقفا ، واستأذن ثم انصرف ٠٠

❖

◆ **كان** «كاس» قد تتلمذ فى جامعة «مينسوتا» على قطب من أقطاب القانون ، وتوثقت بينهما العلاقات بعد تخرجه حتى انتهت بأن تزوج من ابنته «بلانش» ٠٠ ولكن « بلانش » التى نشأت في مدينة (منيابوليس) الكبيرة ، وألفت مجتمعاتها

اللاهية ، لم تستطب المقام فى « جراند ريببلك » فما زالت بكاس حتى أغرته على أن يرشح نفسه للكونجرس . ونجح بالفعل ، فانتقلت معه الى «واشنطن» ، حيث استعذبت حياة المدينة الكبيرة .. أما «كاس» فأحس فيها بوحدة موحشة ، وظل يحن الى مدينته وصحبه !.. فلما انتهت مدة نيابته رفض أن يرشح نفسه مرة ثانية ، واذ ذاك تمردت عليه «بلانش» وهجرته، لتتزوج من انجليزى ثرى !.. فعاد كاس وحيدا الى «جراند ريببلك» ، حيث مارس المحاماة فيها ثلاث سنوات ، انتخب بعدها لمقعد القضاء فى المدينة .. وقد أحبه القوم ، وصاروا يفخرون به ، **فلو أنه تزوج من فتاة طيبة ، حسنة السمعة ، مثل «كريس جراو» ، وساهم فى المجتمع بمزيد من الجهود ، لاطمأن الى استقراره حتى نهاية العمر فى مركز الزعامة من المدينة ..**

وهكذا عاد «كاس» الى داره فى تلك الليلة ، وهو يفكر فى «كريس» .. ولكنه لم يكد يستسلم للنعاس ، حتى وافته «جينى» فى أحلامه !!

وعندما غادر المحكمة ظهر اليوم التالى ، لم يشأ أن يتناول غداءه فى «نادى الاتحاد» ، منتدى علية القوم ، بل يمم شطر «النادى الرياضى» عساه يلقى «لوسيس فلايجند» - مخدوم جينى ! - ووجده فعلا ، فأقبل عليه هاشا ، باشا .. وبعد أن استدرجه الى مباراة قصيرة فى الشطرنج ، سأله عن « جينى مارشلاند » - وهو مطمئن الى أن الرجل أوتى من الاخلاص والصفاء مايصونه عن أن يؤول سؤاله ! - فأجابه «فلايجند» :

- انها فتاة لطيفة ، أعزها وتعزها «اريكا» زوجتى .. وهى طموح فى غير اسفاف أو تهور .. ثم هى جميلة ، ورقيقة ، وجمة المرح ، حتى لأخشى عليها أن تتردى فى هوى وغد يحطم قلبها .. مالم يصنها عن ذلك رجل قوى ، أمين ..

- ألعلها مخطوبة ؟

ـ ما أظن ذلك . ان لها أصدقاء كثيرين من الشبان ، ولكنها برغم مرحها وديعة متحفظة ٠٠ فهى ابنة صاحب مخزن للادوية فى (بيونير فولز)

ـ بودى أن ألقاها ، فمتى تدعونا الى العشاء عندك ؟

- ٣ -

◆ **وكان** الموعد مساء السبت ٠٠ ولاول مرة منذ زمن ، دلف «كاس» الى دار «فلايجند» وهو يستشعر خجلا لانه أهمل ذلك الصديق فيما مضى! ٠٠ وفيما كان مستغرقا فى تأمل المناظر القديمة التى تزين الجدران ، أقبلت «جينى مارشلاند» ، وكأنها نسمة عليلة هبت على المكان !٠٠ وبدت خفيفة الحركة ، صافية الود ٠٠ وكان «فلايجند» لبقا ، فما أن انفض ضيوفه عن المائدة ، حتى يسر لكاس وجينى سبيل التسلل الى الحديقة ٠٠ وقال «كاس» للفتاة اذ خلوا الى نفسيهما :

ـ هل أضجرك الحديث الذى كان يدور حول المائدة ؟٠٠

ـ لقد شعرت أنه أضجرك أنت ٠٠ فقد كنت أرقبك عن كثب ٠٠

ـ وأنا الآخر كنت أرقبك ٠٠

وحين حل موعد الانصراف ، قبلت أن يحملها فى سيارته الى «البنسيون» الذى كانت تقيم فيه ٠٠ فأحس ، وهى الى جواره ، أنه قد نال أمنية كانت تبدو بعيدة عن متناوله ! وراح يتأمل نحرها الجميل ، ويستنشق فى نهم العبير الذى فاح من شعرها ٠٠ ثم تناول يدها فى يده ، وضغط عليها فى وجد ٠٠ انه لم يعد يرتاب فى أنه قد أحبها حقا ٠٠ فقد كانت الانيس الذى طالما تصوره فى وحدته ٠٠ كانت الحياة !

وسألها متلعثما : «هل تتناولين العشاء معى فى «انستيبل» ياجينى ، يوم الثلاثاء أو الاربعاء القادم ؟ »

ـ يسرنى ذلك ٠٠ فليكن الثلاثاء موعدنا ٠٠

وأسعده أنها اختارت أقرب اليومين ٠٠ فعاد الى داره يغنى!

❖

◆ **كان** مشرب «انستيبل» يقوم على ضفة نهر (بيج ايجل)، على مسافة تسعة أميال خارج المدينة ، وقد تناثرت موائده تحت خمائل منعزلة ، جميلة ٠٠ فخلا الصديقان فيه ، وأكلا ، وشربا ٠٠ لكنهما لم يحفلا بالاكل قدر ما حفل كل منهما بالآخر وأخذ يتأمله !٠٠ ثم تحدثا عن طفولتهما ٠٠ **وطلع القمر فأرسل ضوءه على الحقول والتلال والنهر ٠٠ وعبق الجو بأريج الورود البرية ٠٠ وانسابت الى آذانهما موسيقى ناعمة ٠٠ صيف ، وقمر ، وأريج ، وموسيقى ، و ٠٠ رجل وامرأة !٠٠ لحظة لايحظى بها الانسان فى حياته كلها الا لماما !٠٠ وأيقن «كاس» أنه قد أحب الفتاة بجماع قلبه وعواطفه ٠٠ فقد سبحا معا فى عالم الجمال ٠٠ لم يأتيا حركة من تلك الحركات المبتذلة ، ولا لمست يد أحدهما الآخر ٠٠ وانما كانت روحاهما تحلقان متعانقتين** ٠٠ حتى اذا غاب القمر ، وسكتت الموسيقى ، وانساب صوت «جينى» هامسا ، فكذب «كاس» سمعه : « ما أجملها من ليلة ! ٠٠ أواه ياكاس !»٠٠ ولكنها مالبثت أن ارتدت الى تحفظها وعادت لاتناديه الا بلقبه : «القاضى» ٠٠

ومع ذلك فقد أدرك أنهما صارا ٠٠ أليفين !

◆ ودلف ذات مساء الى نادى الشباب ، فسعى الى « البار» الذى به ، وقد أدرك أن لابد له من عدة كؤوس قبل أن يقوى على مشاركة القوم لهوهم ٠٠ فقد كانت روح «جينى» ترافقه ، وتأبى أن تفارقه ، بحيث خيل اليه أنه مستطيع أن يسلوها بالخمر !٠٠ لكنه وهو يعبر احدى قاعات النادى صادف «ليليان دروفر» و «كريس جراو» حول مائدة فى طريقه ، فلم يجد بدا من أن يحييهما ، ويستجيب لدعوتهما فيجلس ٠٠ وسرعان ما انسحبت ليليان وهى تقول : «يحسن بى أن أخلى لكما الجو أيها العاشقين الشابين ! »

واذ خلت لهما المائدة قالت كريس : « أعتقد أنك نعمت

بوقت جميل مع حسنائك المجهولة فى«انستيبل» منذ أسبوعين؟»

فأجابها وكأنما أيقظته كلماتها : « ماذا ؟٠٠ آه ، فعلا ! »

ـ وهل انتشيت اذ أمسكت بيدها فى ضوء القمر ؟٠٠ أنت تعلم ياعزيزى اننى لست من النوع اللجوج ، الملحاح ٠٠ بل اننى لن أسألك اسمها ٠٠ لا ولست ممن يلفتن نظرك الى أنه لايليق برجل لم يعد شابا أن يتدله فى هوى نكرة تافهة ٠٠ ولكننى أريد أن أسألك : أتظن أنك على شىء من الحب مع تلك الفتاة ؟

ـ بل أظن اننى متيم بها !

فتنهدت ، وأخلدت الى الصمت برهة ٠٠ ثم عادت تقول :

ـ لو أننى كنت طامعة فيك ، لاستطعت أن أتزوج منك منذ سنوات ـ بل عقب طلاق «بلانش» مباشرة ! ـ فقد كنت الوحيدة التى حدثتها عن «بلانش» وكيف عبثت بك وأساءت اليك ٠٠ أفتراك تتوق الى اساءة جديدة ؟٠٠ لاتقل ان تلك الفتاة لاتقوى على الاساءة الى أحد ، فما من أحد عرضة للاساءة مثلكم ـ يا من تمزجون الخيال بصرامة المثل العليا ـ مالم يقع الواحد منكم فى هوى امرأة طيبة ، وادعة ، تحبه وتتدله فى هواه ٠٠ مثلى !

وقبل أن يتكلم ، نهضت وانصرفت ٠٠ ولم يحاول أن يجرى وراءها ، بل سمر فى مكانه وقد شعر كأنه ٠٠ تحرر من ماضيه !

ـ ٤ ـ

وأقبل الصيف ٠٠ فذهبت «جينى» فى شهر يوليو الى «بيونير فولز» لتقضى العطلة فى مسقط رأسها وموطن أسرتها ، بعد أن وعدت «كاس» بأن تدبر الامر لدعوته الى اللحاق بها ٠٠ وسرعان ما أنجزت وعدها فتلقى رسالة من أمها تدعوه فيها وترحب به ٠٠

وارتاح الى أبويها بمجرد أن رآهما ٠٠ ثم انطلق يتنزه مع «جينى» فى الخلاء الجميل ٠٠ وفى احدى المرات تناولا غداءهما على كثيب يشرف على بحيرة

«بروين» ، وقد اتخذا من احدى الصخور مائدة ، ومن الحشائش المخضلة أريكة ·· وشعرا بعد الغداء بتكاسل واسترخاء ، فاضطجعا على العشب ·· وسأل «كاس» صاحبته أن تسند رأسها الى كتفه ، فأبدت ترددا ·· ثم مسحت خدها فى كتفه ، وأخلدت الى هدوء ساكن ·· وشرع «كاس» يتكلم ، كأنه شاعر استعصت عليه القوافى :

ـ «جينى» ، أيتها العزيزة ·· أتدرين كم أنت حبيبة الى ؟·· اننى أحب عينيك ، وشعرك ·· وأصابعك الرخصة ·· وروحك المرحة ، المتمردة ، المعتدة ·· وفضولك ·· ما أحسبك تظنين اننى أحاول خداعك ؟

ـ لا ·· بل أعتقد أنك صادق ، طيب ، تحبنى حقا ··

·· وانقضت أيام تلك الرحلة سراعا ، فعاد كاس الى «جراند ريببلك» ليجد أصدقاءه جميعا يلوكون سيرته فى اتصالاتهم التليفونية ببعضهم البعض ·· وقد انتهوا منها الى أن واجبهم يقتضيهم أن يبادروا الى انقاذه !·· وسنحت لهم الفرصة ذات مساء ، وهو يلعب «البريدج» فى بيت «بون هافوك» ، فتشاور صاحبا الدار فيما بينهما ، وأحكما خطتهما ، ثم ضرب «بون» ضربته ، قائلا :

ـ ماهذا الذى نسمعه يا «كاس» عن هيامك برسامة من الدرجة الخامسة ؟ اذا كنت تستلطفها فحسب ، فليس فى الامر شيء ·· أما اذا كنت تفكر فى الزواج منها ·· من بنية فى نصف عمرك ·· يزدهيها أن تصبح زوجة القاضى ، وتتطلع الى أن تسهر معها الليل بطوله تراقصها أو ترقبها وهى تراقص الشبان اليافعين ·· اذا كنت تفكر فى زواج كهذا ، فأنت أغبى مما ظننتك !

وتوقع «كاس» أن يكون الطبيب «روى دروفر» أقذع لوما من «هافوك» ! ولكن «روى» لم يزد ـ حين صادفه بعد أيام فى «نادى الاتحاد» ـ على أن قال له فى لهجة الطبيب :

ـ سمعت يابنى أنك وقعت فى هوى تلك النسناسة الرشيقة ، وليس هذا من شأنى ، ولكنى أفضل أن تجرب حظك مع امرأة قبيحة المنظر تطمئن الى وفائها ، من أن تجربه مع هذا الصنف من الفتيات ، فهن معدومات الوفاء !·· وما أحسبك ستتزوج منها ، وهى التى ليست من مستوانا ، وليس منا من يعرفها !

❖

◆ وسمع «كاس» بأمر الاقاويل التى شاعت فى البلدة عن «جينى» ، وعن استياء علية القوم ، الذين رأوا فى زواجه من «أجيرة » مايهدد مستواهم ، وكأنما نسوا أنهم ـ أو آباءهم أو أجدادهم ـ بدأوا حياتهم حين استوطنوا تلك المنطقة ، أجراء فى مستوى يقل عن مستوى «جينى» !

وتناثرت الاقاويل حتى انتشرت فى المدينة والضـواحى المحيطة بها ، سيما وقد أصبحت مقابلات «كاس» مع «جينى» تشغله عن كل شىء ٠٠ حتى عن النشاط الذى كان يبذله فى المجتمع !

◆ وبدأ الربيع يحتضر ٠٠ وتتابعت حفلات « الكوكتيل » المرحة فى دور علية القوم ، ولكن «كاس» قلما صار يحضرها !٠٠ وكانت « فضيحة » هيامه بشابة من غير «بنات الذوات» قد أصبحت أمرا عاديا ٠٠ ولو أن أصدقاءه لم يرضوا عن انصرافه عنهم ٠٠

أما هو ، فقد ظل يلقى جينى كل يوم ٠٠ حتى اذا أقبل شـهر نوفمبر ، لم يمكنهما الجليد من المضى فى نزهاتهما بالسيارة ٠٠ وتردد «كاس» فترة وهو يوجس من الفضيحة التى تثيرها اشاعات الفضوليين اذا هو دعا «جينى» الى داره ، ولكنه مالبث أن أقدم !٠٠ وأصبحا يلتقيـــان فى غرفة مكتبه بالدار ، يقضيان الوقت فى القراءة ٠٠ فان سألها عما اذا كانت تبغى الخروج للرقص أو الشراب ، قالت :

ـ لست أحفل بذلك ٠٠ ولو أننى أردت أن أخرج للهو مع الشباب العابثـين لما جئت اليك ٠٠

◆ وجاء صديقه المحامى «براد كرايلى» يزوره ذات مساء ، فوجـده يدرب «جينى» على لعب الشطرنج ٠٠ وكان «براد» ذا وجه يوحى بالسـذاجة كوجوه الاطفال ، وشعر أشقر غزير ، وقد عرف عنه أنه كان يحتفظ باتزانه مهما أسرف فى الشراب ، وانه كان محاميا حذرا ، حاضر البديهة ، ومسامرا مرحا تفتقـده كل حفلة فى البلدة اذا غاب عنها ٠٠ وكان أعزب ، لم يعرف عنه يوما أنه غازل امرأة فوق الاربعين ، أو فتاة لم تبلغ الثامنة عشرة !

وأضحك « براد » العاشقين بما راح يرويه من قصص ٠٠ وأخـذ يرقب «جينى» فى اعجاب واستملاح ٠٠ وفى اليوم التالى صادف كاس فى النـادى فابتدره متسائلا : « متى تعقد قرانك على هذه الفتاة ؟٠٠ دعنى أنذرك بأننى سأبادر الى الزواج منها ان لم تسبقنى ٠٠ سأمهلك ثلاثة شهور ، اذا لم تربطها اليـك خلالها فسأهبط الى الميدان لانافسك ! »

وحفزه تشجيع « براد » على المبادرة ٠٠ وكان يظن أن «جينى» ســتقنع بحفل بسيط فى غير ضجة ولا كلفة ، ولكنها أصرت على أن يكون قرانهما فى حفل رسمى ٠٠ كأنما كانت تأبى أن تتسلل الى مجتمع الطبقة الراقية خلسة ، فى صمت ، فأرادت أن تلج البيوت من أبوابها !

- ٥ -

◆ وصارت «جينى» زوجته !٠٠ وقبل أن ينفض المدعوون من الكنيسة ، تسلل العروسان من الباب الخلفى الى القطار الذى حملهما فى رحلة شهر العسل٠٠ وانقضت الاسابيع كأنها ومضات ٠٠ وعاد العروسان الى « جراند ريببلك» ، ليجدا حديث الحرب على كل لسان ٠٠ فقد انزلقت أمريكا الى حمأتها !

وتوقع «كاس» أن تبادر «جينى» الى تغيير كل شىء فى داره العتيقة ، وكان مركزه المالى يمكنه من أن يحقق كل رغباتها ، ولكنها قالت فى لهجة التى تدرك مسئولياتها وتقوى على احتمالها ــ مما جعله يزداد اعجابا بها : « لا٠٠لن أغير شيئا ٠٠ أقصى ماهنالك اننى سأعيد تأثيث مخدعى الخاص ٠ أما بقية البيت ، فجدير بأن يحتفظ بأثاثه القديم ٠٠ ان كل أصدقائك سيتوقعون من عروسك الصغيرة أن تتمرد على البيت العتيق ، فدعنا نخيب ظنونهم ٠٠ ثم ٠٠ لماذا نبدد المال الآن ٠٠ اننا لن نلبث أن نبتاع بيتا جديدا جميلا لنا » ٠٠ وهكذا كان أقصى ما أحدثته من تغيير أن ابتاعت بعض المصابيح الجديدة ، وتخلصت من الستائر السميكة القديمة ، فبدا البيت أكثر بهجة وضوءا ٠٠

وصارا يقضيان لياليهما فى دارهما يلعبان الشطرنج ٠٠ فماكان أسعدهما من رجل وامرأة ٠٠ وماكان أشبه دارهما بجزيرة أحيطت بسياج يقيها حسد الدور التى تقل عنها هناءة !٠٠ كان كاس يهرع الى «جينى» اذا فرغ من عمله اليومى فى المحكمة ٠٠ وكانت «جينى» تهرع اليه اذا ما خلصت من العمل الذى تطوعت لادائه مساهمة منها فى الحرب ٠٠ كان هو يلقاها فى عجب متزايد من أن تستجيب فتاة مثلها لحبه !٠٠ وكانت هى تتلقاه فى دهشة من أن رجلا رزينا مثله يستغرق فى «عبادتها» دون ما تحفظ ٠٠!

٠٠ شىء واحد فقط كان يقلقه : هو تخوفه من موقف أصحابه منهما !٠٠ ولكن المدينة كلها كانت تتحرق فضولا لان تستبين كنه هذه الفتاة التى أسرت قلب قاضيها ، لذلك توافد صحبه تباعا لزيارته ٠٠ على أن أول اعتراف حقيقى بزواجهما تمثل فى المأدبة التى أقامها لهما الدكتور « دروفر » وزوجته ٠٠ ورجا «كاس» من «ليليان» أن تجلس عروسه الى جوار «براد كرايلى» حول المائدة ليسليها ، وأن تجلسه هو الى جانب «كريس» ليكفر عن اهماله اياها !!

وكان «براد» عند ظنه ٠٠ بينما قال هو لكريس خلال العشاء : « فيم نتحدث ؟٠٠ لنتحدث عن نفسينا ! » ٠٠ فأجابته : « تقصد نتحدث عن تركك اياى

سادرة فى وهمى بأنك أحببتنى ، ثم تخليك عنى وتسللك مع هذه الفتاة ؟٠٠ ولكن ٠٠ أتراك يا «كاس» زوجا كفئا لفتاة جميلة جذابة مثل «جينى» ؟٠٠ أو لديك الرقة الكافية ، والتسامح الكافى ، والخيال الكافى ، والمرونة الكافية ؟٠٠ عهدى بك مثاليا أكثر مما ينبغى ! »

فقال محنقا : « لقد سئمت الاعتقاد الذى يسود مجتمعنا اليوم ، بأن الرجل الذى ينصرف الى عمله ، فلا يدع لبيته من وقته سوى ليلة واحدة فى الاسبوع ، لايصلح زوجا لشابة عرفت الدنيا ، وتلقت تعليما حديثا !٠٠ مهما يكن ، فانى هائم فى حب «جينى» ، ومهما استهواها الشبان العابثون الذين أوتوا « مرونة » تجعلهم لايتشبثون بالمثل والمبادىء ، فانى أعتقد أنها بمرور الزمن ستفضل الرجل الرزين ذا المركز الثابت فى الحياة ، مثلى أنا أو «براد» ٠٠

❖

◆ وجلبت الحرب على «كاس» رخاء من حيث لم يكن يحتسب ٠٠ فان الحاجة الى مضاعفة الانتاج بسبب الحرب ، دعت مصانع المدينة الى التوسع ٠٠ فأقبل عليها طلاب العمل من كل فج ، وعزت المساكن فارتفعت أجورها ٠٠ وهكذا وصل ايجار العقار الذى ورثه «كاس» عن أبيه الى مستوى خيالى ٠٠ بالنسبة له على الاقل !

وذهل «كاس» و «جينى» لهذا الثراء الطارىء ٠٠ وقبل أن يفيقا من ذهولهما ، تبين «كاس» أنه ارتبط ـ دون أن يفطن ـ بصفقة اشترى بها بيتا جديدا ، ليهجر بيت أسرته العتيق ٠٠ ولكنه حين رأى اغتباط «جينى » بالبيت الحديث ، أحس بأنه هو الآخر ٠٠ مغتبط !٠٠ وقر رأيهما على أن لايحملا معهما سوى القليل من متاع البيت القديم ٠ وريثما يتوفر الاثاث اللائق بالبيت الجديد ، اقترح «كاس» على «جينى» أن يقوما برحلة الى «نيويورك » لقضاء شهر عسل جديد !

◆ وبدت لهما « نيويورك » كغابة كثيفة من الناس والبنايات !٠٠ وبهرهما مالقياه فيها من أشياء لم يألفاها فى مدينتهم الصغيرة ٠ كان فى كل شبر حياة ، وحركة ، وضجيج ، وصخب ، ومرح ٠٠

وطافا بمتاجر المدينة ، فأعشى بصريهما ماحفلت به ٠٠ وابتاعت « جينى » الكثير مما هفت اليه نفسها من ثياب ٠٠ ولم يضن «كاس» بالانفاق أو يضجر ٠٠ وفى ختام احدى جولاتهما هتفت جينى وهى مبهورة الانفاس : « لشد ما أحبك اذ أحضرتنى الى نيويورك ٠٠ ماكنت أعدل بهذه الزيارة مليون دولار٠٠ وما أرانى راغبة فى تكرارها ولو أعطيت بليونا ٠٠ أواه !٠٠ لشد ما أهفو الآن الى الاستقرار !٠٠ أعدك ! »

وقضيا اليوم الثالث فى شراء مزيد من الثياب لجينى ، وفى زيارة معالم المدينة ومتاحفها ٠٠ واختتما ذلك اليوم بأن تناولا عشاءهما مع «أفيس الدرمان» شقيقة « براد كرايلى » ، التى تعيش فى ضاحية (دارين) لكنها تقضى معظم أيامها فى «نيويورك » حيث يعمل زوجها المهندس ٠٠

وكان اليوم التالى مطيرا فآثرا أن يقضياه فى غرفتهما ٠٠ واتصل «كاس» بادارة الفندق ليخطرها بقرب رحيلهما بعد يومين بدلا من ثلاثة ٠٠ واذ ذاك هتفت «جينى» : «مرحى ياحبيبى !٠٠ أكاد أجن لهفة على رؤية بيتنا الجديد ! »

وصفا الجو حوالى الساعة الخامسة ، فنهضا يرتديان ثيابهما تأهبا للخروج ٠٠ وفجأة ، انبعث رنين جرس التليفون ، فخف اليه «كاس» ، ثم صاح : « أو تعرفين من المتكلم ؟٠٠ انه «براد كرايلى» ! وصل لتوه الى نيويورك ، وهو الآن فى الفندق ولن يلبث أن يصعد الينا ! »

فهتفت جذلة ٠٠ ثم أقبل «براد» ، فكأنما كان نسمة عليلة انحدرت اليهما من تلال بلدتهما !٠٠ وابتدرهما قائلا : « ما أسعد ماتبدوان لى ٠٠ كيف أنت يا «جينى» ؟٠٠ أو سعيدة أنت ـ كزوجك ـ لرؤيتى ! »٠٠ فغمغمت وهى تقبله : « يا أعز أخ لى ! »

وتطوع «براد» لان يرافقهما خلال الفترة التى بقيت لهما فى المدينة ، فيريهما مفاتن «نيويورك » ٠٠

❖

◆ واذا كان «كاس» قد شعر بأنه موزع الحواس بين التعب والعجب مما رآه على يدى «براد» من مفاتن المدينة الكبيرة ، فان «جينى» استخفها الطرب والابتهاج ٠٠ فلقد صحبهما « براد » فى الليلة الاولى الى ثلاثة من منتديات الليل ٠٠ ثم انتهى بهما أخيرا الى أحد الملاهى الخاصة فى الطابق الثلاثين من احدى البنايات٠٠ وتسللت «جينى» الى الشرفة ، فبهرتها الاضواء المنبعثة من ناطحات السحاب المحيطة ٠٠ وملك مشاعرها منظر «نيويورك » بالليل تسبح فى أمواج الاضواء وضجيج الحياة الصاخبة ٠٠

وفجأة ، سمعت صوت « براد » ينبعث من فوق كتفها : « ان نيويورك جميلة » ٠٠ فقالت : « حقا ٠٠ ماعرفت جمالها حتى أريتنيه أنت يابراد ٠٠»

وقبلها ، فردت اليه القبلة اعترافا بالجميل !٠٠ وتراجع براد قائلا : « ما أحسبنا قصدنا شيئا من هذا ٠٠ انها مجرد تحية ومجاملة ، فلا تحدثى ذلك القانونى المتزمت عنها ! »

ـ ولكن «كاس» ليس متزمتا ..

ـ ماعنيته .. انما عنيت ذلك .. ما اسمه ؟.. « براد كرايلى » ؟.. ذاك الذى يحسبك أخته !

وخلال اليومين التاليين أثبت «براد» أنه خير دليل لطلاب اللهو والسرور ، فراح يتنقل بالزوجين من مسرح ، الى ملهى ، الى أمتع ما فى نيويورك من معالم.. وعندما انطلق بهما القطار مغادرا المدينة الكبيرة ، قالت جينى لزوجها : «كنت على حق فى اعتدادك ببراد » .. فقال كاس : « أرى أنك بدأت تقدرينه حق قدره .. »

- ٦ -

◆ وأوشك أن ينقضى عام على زواج «جينى» و «كاس» ، وقد انتقلا الى الدار الجديدة بعد أن أنفقا بسخاء على تأثيثها .. وظهرت «جينى» بمظهر الزوجة وربة البيت المثالية ، فقد كانت دائما فى شغل ببيتها.. وأصرت على أن يقتصدا فى الانفاق بعد الذى تكبداه من نفقات فى شراء البيت وفى رحلة « نيويورك » ، وبعد أن أصبح ثمة طفل فى طريقه الى أن يشاركهما حياتهما ..

وكان «كاس» حريصا على أن لايشيع فى حياتهما ذلك اللون من التواتر الرتيب ـ «الروتين» ـ الذى يثقل حياة ثراة الطبقة المتوسطة ، والذى قد يبعث الملل فى نفس «جينى» كما أضجر من قبلها أخته «روز» .. ومن ثم عمد الى تشجيع أخته وزوجها و «براد » و «كريس» على أن يترددوا على دارهما كثيرا ، وعلى غير تواعد أو ارتقاب .. ومن العجيب أن «براد» ـ المحامى الجم المشاغل ـ بدا أكثر الجميع اقبالا على هذه الزيارات .. وكان مرحا ، حاضر الفكاهة ، سلسا لايحتاج الى كلفة أو مجاملة ، يندمج مع الزوجين وكأنه عضو ثالث متمم لحياتهما..

ولم يفطن «كاس» ـ لا ولا «براد» نفسه ـ الى تكاثر هذه الزيارات .. بل ان «كاس» كان يشعر بارتياح حين يركن اليه كى يؤنس زوجته ويذهب عنها الوحشة ، اذا ما اضطر هو الى القاء محاضرة فى منتدى أو جماعة .. وكان «براد » يستبيح لنفسه أن يصحب «جينى» الى «انستيبل» ـ اذا أحس انها ضجرة ـ فيتناولان فى المقهى الشاعرى كأسا من شراب قبل أن يعودا الى البيت للعشاء .. وبرغم أن «كاس» أحس بأن هذا الامر كان أكثر مماينبغى ، فانه أشفق أن يعارض فيه !

❖

◆ وعاد فى احدى أمسيات شهر مارس الى البيت فلم يجد « جينى » .. وحاول أن يتلهى بقراءة صحيفته ، ولكنه مالبث أن ألفاها مقبلة فى خطى متخاذلة ، وقد تجلى الخوف على وجهها !.. وقفز واقفا ، فبادرته قائلة : «كاس

٠٠ اننى مريضة ٠٠ وليس الامر مجرد أثر من آثار الحمل ٠٠ لقد فحصنى «روى» ، وتبين اننى مريضة بداء السكر ! »

واحتواها بين ذراعيه ٠٠ بينما استطردت هى قائلة : «أخشى أن يؤدى الداء الى موتى » ٠٠ فهتف : « ما أظنه خطيرا الى هذا الحد ياجينى » ٠٠ فقالت : « كلا ٠٠ بل لقد قال (روى) انه لم يستفحل ، واننى قد لاأحتاج الى «انسولين» ، ولكن على أن ألتزم نظاما صارما فى غذائى ٠٠ وليس أقسى على الانسان من أن يضطر فى شبابه الى أن يعيش مكبلا بالقيود الطبية كالكهول ! »

ـ سأرعاك بنفسى ياحبيبتى ، وأشرف على نظام غذائك ٠٠

ـ يا الهى ! ان الموت أهون ٠٠ أو قضى على أن أعيش عمرى على العلاج ؟٠٠ لم لم يبتلنى القدر بميتة شاعرية مثل غادة الكاميليا ؟

واحتست كأسا من « الكوكتيل » ، فسألها : « لعل روى حرم عليك المسكرات ؟ »

ـ أجل ، هذه آخر كأس أحتسيها ٠٠ كيف قدر لك أن تختار شخصا متعنتا مثل «روى» صديقا ؟٠٠ لا خمر ، ولا حلوى ، ولا فطائر ٠٠ اقلال من اللحوم ٠٠ انه يريد أن يهيىء لى حياة مصطنعة ٠٠

ـ حسنا ٠٠ سأعطيك الليلة فرصة لوداع الشراب ، ثم نحرمه معا من الغد٠٠ نحرمه معا !٠٠ هل تفهمين ؟

ـ رباه !٠٠ وكيف لاأفهم ؟٠٠ اذا تكلم القاضى بهذه اللهجة ، فهو يصدر حكما !

❖

◆ وأخذت نفسها بما حتمه عليها الطبيب ، وهى ترى الامر كله أشبه الاشياء بدعابة أو مهزلة ٠٠ ولكن «كاس» لم يحمله هذا المحمل ، بل ان نبأ مرضها هز كيانه وشغل باله ٠٠

ولم تعد «جينى» تغادر دارها الا لماما ، حتى انقضى شهر ابريل ، وأقبل مايو ببهجته ٠٠ وكانت أحيانا تستشعر الخوف فتتشبث بتعليمات «كاس» وتطيع أوامر الطبيب ٠٠ ولكنها فى أحيان أخرى كانت تحس ضيقا وبرما من مرضها ، فتلجأ الى «براد» وتطمئن الى مرحه واستهانته !٠٠ وكان «كاس» قريرا بما بدا له من رعاية «براد » لها ، ومرونته فى ترويضها ، وبراعته فى التسرية عنها ٠٠ حتى لقد سألها مرة :

- هل يضايقك أن أسأل « براد » أن يزيد من زياراته لنا ؟

فأجابته : « البتة .. فانني لاأقل عنك ميلا اليه .. »

وفي ليلة من ليالى شهر يونيو المعتدلة الجو ، حملها على أن تلجأ الى فراشها مبكرة ، وأوى بدوره الى مخدعه .. وما أن وافاه النعاس ، حتى رآها فى منامه على سفينة تهم بالاقلاع مبتعدة عن المرسى الذى كان يقف عنده .. وأحس برغبة طاغية فى أن يقفز عبر المسافة التى ابتعدتها السفينة ليصل اليها !.. ولكنه أفاق على أنين عال ، فما أسرع ماكان الى جوار فراش «جينى» .. واذا هى تغالب آلامها لتبتسم وهى تقول : « لقد بدأت أوجاع المخاض .. »

◆ ولم يمض وقت يذكر حتى كانت فى حجرة خاصة بالمستشفى ، وقد بدا وجهها نحيلا ، صغيرا ، تعبث به يد الالم فى قسوة .. ومضت ساعة ، ثم أمر «روى» بحملها الى غرفة الجراحة . وازداد قلق «كاس» وهو يدرك الخطر الذى يحوم فوق حبيبته ، فراح يذرع الغرفة فى اضطراب وانفعال .. وأخيرا ، غادر «روى» غرفة الجراحة وأقبل ، ولمايسمع «كاس» صراخ وليد .. ومالبث أن رأى «جينى» تحمل الى غرفتها على محفة وهى فاقدة الوعى !

وأسرع خلفها .. ووقف الى جانب من الفراش ، بينما وقف «روى» عند الجانب الآخر .. وحملت الممرضة « اللفافة » التى كانت الى جوار جينى وغادرت المكان .. فتطلع «كاس» الى الطبيب متسائلا ، فأجابه هذا هامسا : « بنت » !

وبدا لكاس أنهم يهيمون فى حلم ممض .. وأفاقت «جينى» فقالت فى صوت واهن : « أين وليدى ياروى ؟ » .. فأجابها : «سترينه عما قليل .. انها .. بنت ! » .. فهتفت : « أواه .. الآن اطمأننت الى الحياة » .. وهنا أقبلت الممرضة فهمست الى «روى» بكلمات أنصت اليها بانتباه ، ثم تحول الى «جينى» - فى حنان كاد يفوق حنان «كاس» ! - قائلا لها :

- ان زوجك عانى من الآلام ماعانيت ، وكأنما كان يشاركك الوضع ، فدعينى أصحبه لاقدم له كأسا من الشراب ..

وأمسك بكاس .. حتى اذا صارا فى الردهة ، تحول اليه قائلا : « تجلد يابنى من أجل زوجتك .. فقد ماتت الطفلة ! »

أما «جينى» فقد ظلت مغرقة فى النعاس أربع ساعات .. حتى اذا استيقظت أصرت على أن ترى طفلتها .. وفى ترفق ولطف ، أفضى اليها «روى» بالنبأ .. فلبثت برهة جامدة تتطلع اليه ، ثم .. انخرطت فى البكاء !

- ٧ -

وعاش «كاس» و «جينى» خلال الصيف فى واد يظلله الحنان ٠٠ لم تكن ترتاح الى أحد غير «كاس» ٠٠ حتى ولا « براد » !٠٠ وكانت تقضى نصف يومها فى الفراش ، وتغالى فى اتباع النظام الذى وضعه الطبيب لمقاومة السكر ، حتى لقد أشفق عليها «روى» نفسه ، ونبهها الى أن الاسراف فى أخذ نفسها بالشدة قد يثير هذه النفس فتنقلب يوما - ولأتفه سبب - الى المغالاة فى التفريط !٠٠ وفعلا ، لم يأت شهر سبتمبر حتى وقع رد الفعل ، فلم تعد جينى تطيق أن تمر ليلة لاتحضر فيها حفلة ما ٠٠ بل وبدأت تضيق بالحرمان من الحلوى والشراب !٠٠ ولكن « براد » خف لمعونة «كاس» فى مقاومة هذا التمرد منها ، وحملها على ملازمة البيت ، والاخلاد الى الراحة ٠٠ واعدا بأن يكون شريكا لهما فى مغالبة الملل فى البيت ٠٠

وهكذا اندمج «براد» فى حياة الزوجين مرة أخرى ٠٠ يقضى ثلاثتهم أوقات الفراغ معا فى البيت ، يلعبون الورق ، ويتسامرون ويضحكون ٠٠ واطمأن «كاس» الى ذلك ٠٠ الى أن بدأ يلاحظ أن «جينى» كثيرا ماكانت تنحاز الى «براد» ضده اذا ماتناقشوا فى أمر ، وانها أخذت تزداد تأنيبا له اذا ما اختلف مع صديقه حول رأى !

وذات ليلة ، من ليالى أكتوبر ٠٠ وقع الصدام !

كانا مدعوين الى العشاء لدى آل « دريك » ٠٠ وكان كاس قد نبه جينى الى دقة مسز « مادج دريك » فى الحرص على المواعيد ٠٠ ولكنه لم يجد «جينى» فى الدار حين عاد اليها ٠ لم تكن قد رجعت من العمل الذى تطوعت لادائه للصليب الاحمر ٠٠

واستحم ، وحلق لحيته ، وارتدى ثيابه ٠٠ و «جينى» لم تعد !

وعندما استبد به القلق ، سمعها مقبلة ، تصعد السلم وهى تغنى ، ثم تحييه فى خفة طروب !٠٠ ولم يقل لها انها تأخرت ، وانما قال :

- أخشى اننا سنضايق مسز دريك ٠٠

- بل هناك من سيكون أكثر منا تأخرا ٠٠ «براد» !

- براد ، وماشأنه ؟٠٠ كيف عرفت انه سيتأخر ؟ هل رأيته اليوم ؟

- لقد رافقنى حتى الباب الخارجى ٠٠

- ولكننى كنت أظنك فى مقر « الصليب الاحمر » ، وأقلقنى أن انقضت ساعتان على انتهاء العمل هناك دون أن تعودى ٠٠

- كنت أحس صداعا ، فذهبت معه أنشد قسطا من الرياضة ٠٠

ـ وهل قابلته صدفة ، أم اتصلت به تليفونيا ؟
ـ لست أذكر ٠٠ ولكن ، فيم كل هذا الاهتمام ؟
ـ وأين ذهبتما ؟
ـ الى « انستيبل » ، حيث تناولنا كأسا من الشراب ٠٠ أتراك تحقق معي ؟
ـ لقد كان « براد » مثال الصديق الوفى حين آزرنى فى حملك على أن تتيحى لنفسك مايتطلبه العلاج من راحة ٠٠ ولست أدرى مع ذلك كيف يبدو أنه السبب فى تأخرك فى الخارج ، وفى اقبالك على الخمر والحلوى !
ـ ماهذا يا «كاس» ؟٠٠ أتراك ترتاب فى صديقك المخلص ؟٠٠ دعنى أصارحك ياصديقى بأننى لاأستمتع فى الحياة معك بكثير من المرح !

وصدمته لهجتها ، اذ أحس انها قالت ماقالت عن ايمان صحيح ٠٠ وألفى نفسه يقول فى ألم وعناء : « لقد أتحت لك ياجينى كل ما أملك ، فاذا بك تحاولين من ناحيتك أن تهدمينى ! »

وأجابته فى سخرية : « هراء » !

وآوى كل منهما الى مضجعه ليلتئذ دون أن يحيى صاحبه !

❖

◆ ترى ما الذى كانت «جينى» تبتغيه وتسعى اليه ؟٠٠ حياة آمنة مستقرة ٠٠ نفوذ وسلطان ٠٠ سوار من ماس ٠٠ قوة على ترويض نفسها ٠٠ أطفال ٠٠ مال ٠٠ اطمئنان الى حب زوجها ٠٠ أو حب زئر نساء عابث ؟

لم يكن «كاس» يدرى ماذا تشتهى ٠٠ لا ولا كانت هى !٠٠ وبدا كل منهما عاجزا عن أن يفهم دخيلة نفس صاحبه ، ومن ثم تعدد الشجار والخصام بينهما٠٠ لاتفه الاسباب !

ولم يعد « براد » يتردد على الدار كثيرا ، فان «جينى» لم تعد مضطرة الى ملازمة بيتها بسبب حمل أو مرض ٠٠ ولكنه ظل يبدى لصديقه من الود والالفة ما اعتاد أن يبديه ٠٠ وكان اذا زارهما أعد الشاى بيده ، أو غسل الاطباق ، وكأنه من أهل البيت !

وكانت « مسز هيجبى » غائبة عن الدار حين أقبل ذات مساء يشاطر الزوجين عشاء من اللحوم الباردة والاطعمة المجففة ٠٠ ولم يكن «كاس» يستطيب مثل هذا العشاء ، ولكنه لم يشأ أن يثير اعتراضا ٠٠ ومع أنه لم يقو على أن يجارى «جينى» و «براد» فى المزاح والضحك ، الا أنه أشفق أن يفسد على

زوجته سرورها ، فلاذ بالصمت ٠٠ وأحس أنه وحيد ٠٠ بل أحس أنه دخيل على الاثنين ، لا حق له فى أن يشاركهما جوهما !

وذهبت «جينى» الى المطبخ لامر ، فقال «براد» للزوج : « ماينبغى لك أن تقسو فى خصام «جينى» ، فأنت تدرى مدى ما أوتيت من مشاعر مرهفة » ٠٠ وغاظ «كاس» أن يتدخل صديقه فى أمر يمس علاقته بزوجته ، ولكنه كظم الغيظ ، بينما لحق « براد » بالمرأة فى المطبخ ٠٠ ولاحظ الزوج أنهما أطالا الغياب ، ولكنه غالب هواجسه ٠٠ وظل يتلطف اليهما طيلة الامسية ٠٠ بل وتغاضى عن القبلتين اللتين تبادلاهما عندما آن لبراد أن ينصرف !!

وذات يوم ٠٠ جلس كاس يتناول غداءه فى النادى مع صديقه الدكتور «روى دروفر» ٠٠ فتحول اليه الطبيب عقب الغداء قائلا :

ـ اعتقد اننى صديقك قبل أن أكون طبيبك ٠٠ وكذلك الحال مع « براد » ٠٠ وأنا أدرك اننى أقامر بصداقتنا حين أتدخل فيما أنا مقدم على مفاتحتك بصدده ، ولكننى لاأقوى على أن أبقى مكتوف اليدين وأنا أراك تسف فى الغباء ٠٠ لقد آن أن تحسم أمرك ازاء «براد» وزوجتك ، فقد بدأت المدينة تلوك اسميهما ٠٠ انهما استمرءا ثقتك ، فتماديا فى علاقاتهما ٠٠ لاتنفعل ، ولاتقاطعنى ! وانما انظر الى الامر نظرة عملية : ان زوجتك صغيرة السن ، وهى أقل حكمة مما تخالها ٠٠ وبوسعك أن توقف الامر قبل أن يستفحل !

ـ ولكن هذا هراء ٠٠ ان جينى و براد «صديقان» حميمان ، وهما لايلتقيان الا فى بيتى وفى وجودى ٠٠ وقد يحدث أن ينطلقا فى السيارة الى «انستيبل» فيتناولا كأسا من الشراب ، ولكنها دائما تطلعنى على ذلك ٠٠

ـ ومارأيك فى أنهما يتقابلان فى كثير من الاماكن الاخرى ؟٠٠ انك تقضى نهارك فى المحكمة ، ولا تجوس خلال المدينة كما أفعل ٠٠ وقد رأيتهما رأى العين يتناولان الغداء فى مطعم ايطالى مواجه لبيت أحد مرضاى ٠٠ ومع أننى قضيت فى البيت ساعتين ، الا أننى انصرفت ولما يبارحا المطعم !٠٠ فهل حدثتك عن هذا ؟٠٠ انك مغال فى اعتدادك بزوجتك ٠٠ قد تكون طيبة ، ولكنها ليست الساذجة التى يتصورها خيال شاعر !٠٠ وكلما أسرعت فى مواجهتها وأخذها بالحزم كلما كان ذلك أدعى لضمان سعادتك ٠٠ هذه خير طريقة يأخذ بها رجل كبير زوجة لاتزال فى طور النزق ٠٠ وقد لايكون من شأنى أن أتدخل ، ولكنى لاأحب أن أراك مطية سهلة !

❖

◆ واذ ولج «كاس» داره ، سمع «جينى» تتحدث الى شخص ما تليفونيا ، قائلة : « لست أدرى ٠٠ سأرى ٠٠ لاتكن ماكرا ٠٠ وداعا ياعزيزى ! »

ولم يسألها عمن كانت تحدث - فقد كان على يقين من شخصيته ! - وانما تريث حتى فرغا من العشاء ، ثم تحول يكلمها بصرامة ٠٠ لاول مرة منذ زواجهما :

- اجلسى يا «جينى» وانصتى لما أقول ٠٠ ان « براد كرايلى » يتردد على هذا البيت كثيرا ، كما انك تكثرين من مقابلته فى الخارج ٠٠ ولست أظن أن علاقتكما قد ذهبت بعيدا ، ولكنها ستستفحل اذا لم ترجعى الى عقلك ٠٠ اننى أقرك على كل ماترين فى براد من فضائل وسحر ، فهو صديقى قبل كل شىء ، ولكنه ٠٠ لص !٠٠ انه يسعى لاحراز مايبغى غير عابىء بمن قد يسىء اليهم فى سبيله ٠٠ ولن أدعه يتخلى عنك كما يتخلى عن كل صديق ، وعن كل امرأة ، عندما يتسرب الملل الى نفسه !٠٠ ولقد أيقنت الآن أنه كان السبب الخفى فى كل مشاجراتنا !!

- ولم لا تقول له هذا كله ؟

٠٠ وقبل أن تفطن ، كان قد اتصل تليفونيا ببراد ودعاه الى البيت ٠٠ فأقبل بعد حين ، باسما ، هادئا ٠٠ واذ ذاك ابتدره «كاس» بلهجة لاتنم عما يعتمل فى نفسه :

- أرجو أن تكون حذرا فى الرد على ما أريد أن أقوله لك يا « براد » ، ولاتأخذك العزة بالاثم ، فلست أبغى أن أفقد صديقا أعتز بصداقته ٠٠ انك تبذل اهتماما عظيما بزوجتى ، وقد بدأ الناس يتقولون عن علاقتكما ٠٠ وماكنت لاحفل بأقاويلهم ، لولا أننى لاحظت أنك تجاوزت مع «جينى» حدود الزمالة المأمونة ٠٠ على أننى أعتقد أن فى وسعك تدارك الامر ، بحيث نعود أصدقاء ، بدلا من أن يصبح ثلاثتنا أضحوكة !

- أتراك تؤمن بأننى أكن نوايا خبيثة نحو «جينى» ؟

- أجل ! لاأعتقد أن لديها نوايا من هذا النوع ، ولكننى أومن بأن لديك ٠٠ كما أومن بأن تعدد مغامراتك يجعلك لاتستشعر نحوها ، أو نحو أية امرأة أخرى ، عاطفة عميقة ٠٠ لايدركك الاستياء من قولى ، فما أضأل الحب والصداقة فى هذه الحياة !

وأدهش «براد» ، وأخذ على «جينى» مشاعرها ، مافعله كاس على الاثر حين أمسك بذراع «صديقه» وانطلق يقول له : « اننى أحبها ٠٠ وأعتز بك ٠٠ ومادعوتك لازجى اليك هذا الحديث الا لاننى رغبت فى أن تعرف «جينى» كل

ماقلت ‥ لاتقل الآن شيئا ‥ ان عليك أن تقرر ما اذا كنت تود أن تكرهني أو لا تود ، ولكن ‥ اذا كنا ثلاثتنا لانستطيع أن نمضي معا في أمانة ، فلن يكون لامرئ على هذه الارض أن يأمل في الوفاء !! »

وانصرف براد ‥ والتفت كاس الى جيني في اعياء ، يترقب ثورتها ، ولكنها سعت اليه على استحياء ، وتمتمت : « انك أسمى بكثير من ذلك الشخص ‥ وقد كنت أدرك ذلك من البداية ، غير انني كنت عنيدة . انني أحبك ‥ أما هو فخبيث ! »

ـ ما أحب أن تصفيه بالخبث . انه رجل لطيف ‥

ـ ولتثق يا كاس انني لم أوغل في علاقتي مع براد ‥ لم نتعد تبادل القبلات ‥ أواه ياحبيبي النبيل !

ـ ٨ ـ

◆ وعادت الحياة تسير عادية ، صافية ، بالزوجين الشابين ‥ لايبدو في افقها مايحول دون بقائهما في هذا الهناء السماوي الى نهاية العمر !‥ وعادت «جيني» تعنى بنفسها وصحتها ‥ وبحلول شهر يناير ، انقشع آخر ظل من التوتر الذي حدث بسبب براد ، اذ أقبل يودعهما بعد أن تقرر أن يقيم في « نيويورك » !‥ فقد نقلت الشركة التي كان مستشارها القانوني مقرها الى هناك ‥

وقال لهما مودعا : « أكره أن أودعكما على جفاء ، فاني أرى فيكما أعز صديقين لي ‥ على أن وقتي ضيق ، فلا مناص من أن أفارقكما ، ولعلكما تزورانني في نيويورك في أقرب فرصة ‥ واذكري يا «جيني» أنك فزت بخير زوج ! »

◆ ولكن ‥ بمضي الايام ، لم يملك كاس سوى أن يعترف ـ فيما بينه وبين نفسه ـ بأنه كان واهما حين أوحى الى تلك النفس بأن جيني قد راضت نفسها على أن تقنع بالحياة التي كانت تحياها ‥ صحيح انها كانت تضحك ، وتصحبه الى الحفلات ، وتبدي له الغبطة ‥ ولكنها أخذت تلوح أكبر سنا مما كانت !‥ وكان اذا سألها : « أو أنت سعيدة ؟» ، أجابته في ضجر : «بالطبع ‥ لم لاأكون سعيدة ؟ »

وخيل اليه أن الحياة الزوجية الرتيبة هي التي أطفأتها ! فحقد على نفسه ، وعزم على أن يتمرد على الحياة ، اذا كان هذا ديدنها مع الناس !‥ وذات يوم قال لجيني : « دعي المجاملات وصارحيني ‥ ما أظنك تستمتعين بالحياة في هذا

الجو الذى نعيش فيه .. صارحينى ففى وسعنا أن نفعل ماتتمنين »

– الواقع اننى أتمنى أحيانا لو أنك مارست المحاماة فى «منيابوليس» .. أترى هذا ممكنا ؟

– بلا شك .. وفيه شيء من الحفز والمنافسة .. وأحسبك سترتاحين الى «منيابوليس» أكثر منك الى « جراند ريببلك» .. أما أنا فما كنت لاحفل بمقعد القضاء ، اذا كان بقاؤه يحرمنى اياك !

– انك لن تفتقدنى أبدا ، فلسوف أتشبث بك ..

– ولكن .. اذا كنا سننتقل الى مدينة كبيرة ، فلم لا نختر شيكاغو أو نيويورك ؟

– لقد أخافتنى نيويورك بكبرها وضجيجها ..

– اسمعى .. اذا كان « براد كرايلى » قادرا على أن يشق طريقه هناك ، فهذا بشير بأننى أستطيع أن أشق طريقى .. فأنا لاأقل عنه حذقا للمحاماة ، بل انى – مع احترامى لصديقك – أفوقه براعة ..

❖

◆ وعبس «روى دروفر» حين أنبأه كاس بأنه راحل وزوجته الى «نيويورك» فى أوائل فبراير ، ليقضيا أسبوعا ، فقال متعمدا : « وهل ستقابل صديقنا « براد » هناك ؟.. وهل ستراه زوجتك ؟ »

– أجل .. ولم لا ؟

– لست أدرى .. لعلنى مخطىء !

وكان براد فى ارتقابهما حين وصل بهما القطار الى نيويورك ، فصافح كلا منهما .. وانطلق يحدثهما عن السهرة التى أعدها لهما .. وحين سمع عن رغبة كاس فى ممارسة المحاماة فى المدينة ، بدا عليه الشك وقال : « انك أكفأ منى فى المحاماة ، ولكننى لاأتصور أنك تقوى على تنكب حياتك التى ألفتها .. وما أعاننى هنا سوى اننى أعمل لحساب الشركة وقضاياها » .. وتطلع الى «جينى» ، فهمست له عيناها بأنه يسرف فى التواضع !.. واستطرد ينصح كاس بالتروى واطالة التفكير قبل أن يستقر على رأى نهائى ..

وثملوا فى تلك الليلة الى درجة أن كاس لم يع ان كان براد قد قبل جينى عند انصرافه أم لم يفعل ..!

واستيقظ كاس فى الصباح التالى مبكرا عن جينى .. وفيم كان يحتسى القهوة وحيدا ، أقبل عليه براد ، أكثر مايكون أناقة ، وقد حمل لجينى زهرة

من «الكريزانتيم» .. وقال له وهو يغمض عينيه فى ألم : « لست أدرى ما الذى دهانى فأسرفت فى الشراب أمس .. هل استيقظت السيدة ؟ » .. فانبعث صوت جينى من غرفة النوم تقول : « نعم ، استيقظت السيدة .. ولكنى لاأدرى ان كانت فيها بقية من الحياة ؟ » .. ثم أقبلت تخطر فى قميص النوم ، أفتن ماتكون سحرا !!

وكان براد قد أعد لهما جولة فى المدينة تستغرق النهار طوله .. ولكن كاس اعتذر بأنه ارتبط بمواعيد مع بعض المحامين ، وأردف : « لم لاتنطلقان معا ، على أن ألحق بكما عند العشاء !؟»

وبدا براد جذلان لهذا الاقتراح .. وتصاعدت ضحكات جينى وضحكاته .. ومالبث كاس أن تركهما معا ، نحو الساعة العاشرة ـ وماكان مرتبطا فى الواقع بأى موعد ! ـ وانما هبط الى بهو الفندق فجلس فى ركن منه منزو ، يترقب .. كان خجلا من شكوكه .. ولكنه لم يتصور قط أن زوجته وبراد يجرؤان على العودة الى عبثهما ، بعد الدرس الذى ألقاه عليهما .. الى أن لمح فى ذلك الصباح نظرات براد حين بدت جينى فى قميص النوم !

ورآهما يغادران الفندق فى الساعة الثانية عشرة الا عشر دقائق .. وقد طفح وجه «جينى» بالبشر ، وبدت أصغر بثلاث سنوات مما كانت حين غادرت « جراند ريببلك » منذ ثلاثة أيام !

وساءلته نفسه : « ترى أين مكث براد ريثما استبدلت ثيابها ؟ »

فهتف عقله : « استح ياكاس ! »

◆ واستطاع أن يزور عددا من المحامين بعد الظهر ، ساعيا الى الالتحاق بمكتب أحدهم ، ولكنه لم يفز بمايشجعه .. فعاد الى الفندق فى السادسة والربع ، لكنه لم يجد جينى !.. بل انها لم تصل الا فى الثامنة وعشر دقائق ، وهى بادية الغبطة .. وكان براد فى ثياب السهرة ، مما أوحى بأنهما عرجا على مسكنه !

واستطاع «كاس» فى اليوم التالى أن يفوز بترحيب اثنين من المحامين بأن يشاركهما أعمالهما .. وما أن انطلق من مكتبيهما حتى راح يجوس خلال المدينة .. وعجب فى نفسه : كيف يقيم فى هذه المدينة المترامية الاطراف ، المزدحمة ، الصاخبة ..؟

وكان متفقا مع جينى على أن يلتقيا فى الفندق فى منتصف السابعة مساء ، ولكنها أقبلت بعد أربعين دقيقة من الموعد !.. فبادرها بالنبأ ـ ولكن بعد أن

فقد ماكان له من بهجة فى نفسه ـ ثم سألها : « لم يبق الا أن أقدم استقالتى من القضاء ، فمتى تحبين أن ننزح الى هنا ؟ »

لكنها غضت من بصرها ، وأجابت بصوت مثقل : « لا ٠٠ لاأريدك أن تتخلى عن منصبك كقاض ٠٠ لاأستطيع أن أفعل بك هذا ٠٠ أيضا ؟ »

ـ ماذا تقصدين بـ « أيضا » ؟

ـ ألا ترى اننى كنت مبعث ندمك ؟٠٠ أواه ياكاس ٠٠ لاتستقل ٠٠ خذنى الى مدينتنا منذ الغد ٠٠ اطرح عنك الفكرة كلها ، فأنا أعلم انك لن تكون سعيدا ، فكيف أسعد ؟٠٠ كنت غبية ٠٠ ولكنى الآن اذ أرى اشمئزازك ، ومقتك لملاهى الليل ، بل ولطرقات المدينة ، أشعر أنك لن تكون راضيا ٠٠ فلنعد !

وبادر بحجز مقصورة لهما فى قطار الغد ، ثم اتصل بالزميلين اللذين رحبا به فاعتذر لهما بعدوله عن الفكرة ، واتصل ببراد تليفونيا فقال له : « ان جينى مصرة على العودة رغم كل مافعلناه لتسليتها ! »

ـ ولكن ٠٠ ألن يقدر لى أن أراكما قبل الرحيل ؟

ـ ما أظن ٠٠ على اننا نرجو أن تزورنا عما قريب ٠٠

ودعا جينى لتودع براد خلال التليفون ٠٠ وسره أن بدت فاترة ـ بعض الشىء ـ وهى تقول له : « وداعا ياعزيزى براد ٠٠ لقد نعمت حقا بصحبتك ٠٠ آسفة اذ لن يتسع الوقت لنراك ، ولكنى أشعر بحنين وتعب ٠٠ فان نيويورك مدينة مفرطة الاتساع ٠٠ سأكتب اليك يوما ما ٠٠ »

◆ وفى دارهما ، وبلدتهما ، سأل القاضى زوجته وقد فرغا من العشاء : « أمتعبة أنت ؟ » ٠٠ فأجابته بابتسامة بدت كاختلاجة الالم : « كل التعب ٠٠ يحسن بى أن أصعد الى مخدعى ، وأندس فى فراشى » ٠٠ وبدت القبلة التى تبادلاها ، كحفيف أوراق الشجر الجافة ٠٠ الذابلة !

وخلا كاس الى نفسه ، وافكاره : «انها تفتقد براد .. لقد أحسنت اذ تنبهت الى اقصائها عنه فى الوقت المناسب ، فلنحاول أن نعيد بناء حياتنا من جديد !» وألقى أخيرا نظرة على ساعته ، فبهت لطول الوقت الذى انقضى مذ صعدت جينى الى مخدعها ٠٠ وأبى قلبه عليه الا أن يطمئن بشأنها قبل أن يأوى الى غرفته ، فتسلل الى مخدعها ٠٠ وبهت اذ رآها جالسة فى فراشها ، وقد تألقت غضارة شبابها ، ورواء أنوثتها !٠٠ وحاولت أن تبتسم ، ولكن الابتسامة ماتت على شفتيها ، وكأنها تبينت انه لم يكن الشخص الذى تمنت مقدمه !

وقالت أخيرا : « لاجدوى ياعزيزى ٠٠ اننى أحب براد ٠٠ أحبه !٠٠ ظننت اننى أستطيع أن أنجو منه ٠٠ ولكن ، لافائدة ٠٠ لامفر من عودتى الى نيويورك !»

وأحس بالكلمات على قلتها تفصل بين حياته وحياتها ! فصاح : « لسوف أكافح لاحتفظ بك ! » ٠٠ ولكنها أردفت قائلة : « لقد دبرنا كل شىء ٠٠ فرغت لتوى من التحدث الى براد تليفونيا ٠٠ واتفقنا على أن أقيم مع أخته « أفيس » فى (دارين) الى أن تطلقنى ! » ٠٠ فقال : « ولكننى لن أطلقك ٠٠ سأمهلك ثلاثة شهور تفكرين خلالها وتكشفين حقيقة قلب غاوى النساء المحترف ٠٠ فاذا رأيت بعد تلك الشهور أن تمضى فأنت وشأنك ، ولن أعارضك ٠٠ ولكن ٠٠ »

وذاب تجلده فجأة ، فتحول يقول بصوت متهدج : « ياحبيبتى ٠٠ يازوجتى العزيزة ٠٠ ماظننت يوما اننى أقول هذا القول ـ فى كبريائى ، وطالما ازدريت الازواج الضعاف ! ـ ولكننى أوثر أن أراك تقضين عاما كخليلة لبراد ، ثم تعودى الى ، على أن اطلقك فأفقدك .. فما للحياة من قيمة عندى ، بدونك ! »

ـ انها ستسترد قيمتها التى كانت لها قبل أن ترانى .. اننى ما كنت جديرة بك .. وشد ما يؤسفنى هذا ، فانى اكن لك كثيرا من الاحترام والود ٠٠ وهذا ماكنت تفضله وتعتز به ٠٠ ولكن الاحترام والود أسمى من النزوات التى أهفو اليها وبراد ٠٠ أعرف أن براد عرف نساء كثيرات قبلى ، فهل كان ذنبا أن أدخل البهجة على نفوس نساء كدالضجر يقتلهن ؟٠٠ اننى أعرف براد ، وما أردت أن أهواه ، ولا أن أسىء اليك ٠٠ بل صدقنى اذا قلت اننى حاولت الفرار منه !٠٠ وآمل أن لاتفكر فى كفاجرة ساقطة ٠٠ فما كان فى وسعى أن أمضى الى أبعد مما مضيت ، اذ يبدو أن براد خبير بكل ماتهتم له أية امرأة منا ٠٠ »

ـ ٩ ـ

◆ وفى اليوم التالى رافق القاضى زوجته حتى استقلت القطار ٠٠ ولم يفتأ يقول لها : « لسوف أنتظرك دائما » ٠٠ فكانت تجيبه : « لاتنتظر ! »

ومضى القطار ٠٠ وبدت له جينى خلال النافذة صغيرة ، ضعيفة ، عزلاء ! ٠٠ وفجأة سأل نفسه مذهولا : « كيف تركتها تمضى ؟٠٠ لسوف أغدو وحيدا ٠٠ الليلة ٠٠ والليلة القادمة ٠٠ وكل ليلة ٠٠ لن تتملى عينى بمنظرها وقد جلست قبالتى تقرأ ٠٠ لن أسمع صوتها ٠٠ لاشىء فى حياتى الآن الا الوحدة ، والصمت ! »

◆ وعندما اشتد برد الشتاء ، ولازم الاكفهرار سماءه ، ازداد البيت فى ناظرى «كاس» وحشة .. لم يكن غياب جينى أمرا سلبيا .. مجرد نعمة حرمها .. وانما كان ايجابيا .. كان لغيابها وجود وكيان رهيب يلاحقه ويضطره الى أن يلتفت حوله ليتبين أنها ليست هناك !.. وكثيرا ماحدثته نفسه بأن يفر من المنزل ، ويلجأ الى جيرانه .. ولكنه لم يكن يجرؤ على أن يبرر لهم غيابها الطويل !

وازدادت حاله سوءا .. كان يسهر الليل يقاوم الرغبة فى أن يتصل بجينى تليفونيا .. ويفكر فى وحدتها .. ووحدته .. ووحدة العالم كله !.. يفكر فى أرامل قضين ربع قرن يعشن فى كنف أزواجهن وأولادهن ، ثم خلت الدور الا .. منهن !.. يفكر فى الشبان الحديثى عهد بالمدنية وقد ألزمهم الفقر والمسغبة حجراتهم !.. يفكر فى الشباب من الجنود فى معسكرات نائية وبلاد غريبة .. فى الشابات اللائى تنبض قلوبهن بالحب ولكنهن لم يؤتين الملاحة المغرية ، وهن يقضين الليل وحيدات مسهدات فى انتظار نداء ، لن يواتيهن !.. يفكر فى الكهول الاغنياء ، الذين ألزمتهم الشيخوخة مضاجعهم ، يقضون الليل فى خوف من أقاربهم الطامعين ، ويسهرون فى ارتقاب الفجر البعيد !

وكانت هذه الافكار تنسيه نفسه ، فلا يلبث أن يتلفت حوله فى الغرفة ، أملا فى أن يرى آثار وجود «جينى» .. المصباح الذى انتقته .. الشطرنج الذى مست أصابعها قطعه .. وهو طيلة الوقت يرهف السمع منصتا .. وينتظر !

❖

◆ ولكنه كان يبدو لاهل المدينة جلدا ، صامدا .. وقد راح يفنى نفسه فى العمل فى المحكمة ..

وفى ذلك العام أقبل شهر مايو وكأنه لايمت الى الربيع ، اذ بقيت فيه أنفاس الشتاء المحتضر !.. وكان قد انقضى على رحيل جينى ثلاثة شهور ، اعتاد كاس خلالها أن يكتب لها كل أسبوع ، فكان يرهق نفسه فى انتقاء كل كلمة .. وكانت بدورها تكتب اليه فى كل أسبوع ، رسائل مقتضبة ، كلها زيف ورياء !

وخفت حدة أساه .. وبدأ يظهر فى المدينة كما اعتاد أن يفعل قبل أن يلتقى بجينى مارشلاند !.. وكان « بون هافوك » وزوجته أجرأ الجميع على مواجهته ، فدعواه الى العشاء مع « روى دروفر » وزوجته .. حتى اذا انفضوا عن المائدة ، ابتدرته «كوينى» قائلة :

ـ لم لا تفضفض مايثقل نفوسنا ياقاضينا العزيز ٠٠ اننى أعتقد أنك محظوظ ! لست أدرى ان كانت زوجتك قد هجرتك ، أو كنت أنت طاردها ، ولكن الذى أدريه انها لم تكن أهلا لك ٠٠ كانت جميلة حقا ، ورشيقة ، ولكنها قط لم تعرف لك حقك ٠٠ ولا لنا حقنا !٠٠ أبدا لم تؤت من العقل مايمكنها من أن تقدر طيبتك ٠٠!

وعلقت أبصارهم بكاس ، فى عطف وود ، ولكنه قال فى تؤدة : « اذا كنتم تحبوننى فعليكم أن تحبوها !»٠٠ فهتفت «ليليان دروفر » لزوجها : « ألم أقل لك ؟٠٠ انه عاشق متيم فعلا ! » ٠٠ فقال «روى» : « حسنا ياكاس ٠٠ اذا عادت اليك فنحن على استعداد لان نعترف بخطئنا ! »

◆ واذا كان الجميع قد أنحوا باللائمة على جينى ، فان «كريس جراو » صبت لومها كله على كاس ، اذ زارته فى داره ذات مساء ، فدخلت اليه فى غرفة مكتبه لتقول :

ـ اننى أشعر أن الكثيرين يعطفون عليك مذ هجرتك جينى٠٠ولكنى لاأشاطرهم شعورهم ! لقد أحسست غيرة منها حين رأيتها أول مرة ، ولكننى لم ألبث أن أحببتها ٠٠ انها لاتصغرنى الا قليلا ـ (كأن ثمانية أعوام عمر قصير !) ـ ومع ذلك فقد شعرت أنها أخت لى لم تتجاوز اليفاع ٠٠ ولكنك ياكاس كنت أنانيا ، جامدا ٠٠ تذكر كيف كنت تؤاخذها اذا تأخرت بضع دقائق !٠٠ وكيف كنت تريدها أن تستعذب صحبة شيوخ مثل «روى» ٠٠ كان تصرفك لايطاق !

ـ اننى لم أحاول أن أدافع عن نفسى من قبل ٠٠ لقد كنت أنانيا ازاء «بلانش» وازاءك ، أما هى فقد أوليتها الحب كله !٠٠ منحتها كل ما أملك ٠٠ ولقد كانت تعرف الرجل الذى كانت مقدمة على زواجه ، فلم يغرر بها أحد ٠٠ فكان عليها أن تحاول من ناحيتها أن تجعل زواجنا موفقا ٠٠ كان عليها أن تتحمل قليلا أعباء مركزها كزوجة ٠٠ لقد تزوجت ملاكا ، وشد ما أشعربفراغ لغيابها ، ولكننى بذلت كل ما أستطيع كى أحتفظ بها ٠٠ وان كنت لم أقص جناحيها !

— ١٠ —

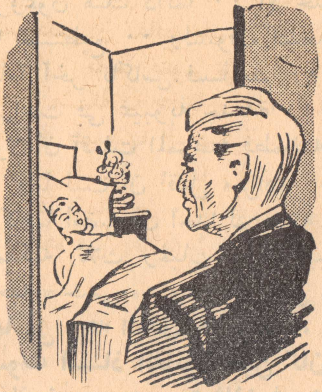
◆ **وجلس** يوما يفكر كعادته : لو أدرك العالم انه لم يعرف بعد السر الذى يجعل الرجال والنساء يبقون على هوى، متحابين، فهل يترك للبشر الفرصة كى يحظوا بسعادة قصيرة الامد ،

قبل أن تحين الساعة وينطووا فى ظلمات الابدية ؟ .. **انك لا تستطيع أن تعالج مشكلات احدى الزيجات ما لم تعالج مشكلات حضارة كاملة تقوم على الشك والشعوذة !.. ولا سبيل الى علاج مشكلات حضارة هذا أساسها ، ما لم تدرك هذه الحضارة حقيقة طبيعتها الوحشية ، وان ما ظنته شجاعة انما كان فى الواقع قسوة ، وما زعمته قداسة انما كان ضعة ، وما رأته نجاحا انما كان « طرطورا » من الورق على رأس «بهلوان» أكثر تهريجا من زملائه ! .**

واشتد ب «كاس» الحنين الى « جينى » .. وتواترت أمام عينيه رؤى أويقات صفائهما ، فلم يتمالك نفسه وبادر يبرق اليها فى (دارين) يسألها سر تأخر خطابها الاسبوعي ! .. وبعد الساعة العاشرة من مساء اليوم ذاته ، تلقى برقية مطولة، تقول فيها : « فى غفلة من ممرضتى ومن « أفيس » أبرق اليك .. لقد سئمت وجود ممرضة لا تفتأ تضايقنى بحقن الانسولين وتحرمنى الحلوى .. كنت خيرا منها ـ أيها الحبيب ـ فى رعايتك اياى .. ما كان أغبانى ! .. اننى أسيرة الفراش ، ويبدو ان الطبيب قلق من أجلى .. تمنيت لو كنت هنا تأخذ بيدى .. فما كنت أشعر بشىء من هذا معك .. لك حبى .. كل الحب »

ولم يتريث « كاس » ، بل استقل طائرة الى (شيكاغو) ، وواصل الرحلة بسيارة الى (نيويورك) ، حيث حمله أول قطار الى « دارين » .. ونحى خادم « أفيس » عن طريقه حين اعترضه لدى باب بيتها ! .. وصاحت « أفيس » اذ رأته : « أهذا أنت يا كاس .. انها فى غيبوبة من نوبات السكر .. »

واندفع الى الحجرة التى خصصت لها.. وصادفه الطبيب عند الباب فحاول أن يتصدى له ، ولكنه دفعه جانبا وهرع الى السرير الكبير الذى كانت تغوص بين وسائده وأغطيته ، وقد



بدت صغيرة ٠٠ ضـئيلة !٠٠ ورفعت ذراعيها فى وهن وضعف وتمتمت : « أواه !٠٠ كاس ٠٠ يا حبيبى ! » ٠٠ ثم راحت فى غيبوبة ٠٠ وصرخ كاس مناديا الطبيب ، الذى طمأنه بقوله :

ـ أعتقـد اننى استطعت أن أسيطر على كمية السكر٠٠ وقد تعيش خمسين عاما ، أو خمسة شهـور !٠٠ فالامر يتوقف على ما اذا كانت تطيع أوامرى ٠٠ وما اذا كانت تـريد أن تعيش حقا ؟

ـ ستطيع أوامرك ٠٠ وسأجعلها ترغب فى الحياة !

وراحت تهذى ٠٠ وقد خيل اليها انها فى بقعة جميلة فى مسقط رأسها « بيونير فولز » ، فمضت تقول : « **وهناك جلست على العشب المخضل ٠٠ وهو الى جوارى ٠٠ وكانت الشمس صحوة مشرقة ٠٠ ولاح لنا جرذ من جرذان الحقل ٠٠ صغيرا جدا ٠٠ ولكنه عاقل جدا ، وحريص ٠٠ لست أود أن أموت قبل أن أذهب الى هناك ثانية، وأجلس مع «كاس» ، نرقب جرذا من جرذان الحقل ٠٠ صغيرا جدا٠٠ وعاقلا جدا٠٠ ان « براد » لا يحب المرضى ٠٠ أما «كاس» ، فصحيح انه مغرم بكتبه ، ولكنه لا يفتأ يحيطنى بحمايته ويقينى ٠٠ فكيف أموت الآن وقد بدأت أتعلم كيف أحيا !؟** »

وفجأة ، أفاقت ٠٠ والتفتت اليه قائلة : « كنت أهذى ٠٠فقد كنت أسمع صوتى خلال الغيبوبة ٠٠ لا ٠٠ لن أموت ٠٠ كنت مستعدة للموت لو لم تأت ٠٠ ان أمثال « براد » كالزئبق ،

يروغون منك دائما ٠٠ ألا خذنى من هنا ياكاس ٠٠ بأسرع ما تستطيع ٠٠ ولسوف نسعد ٠٠ لو استطعت أن تتحملنى عاما آخر ياكاس فسأتعلم ٠٠ خذنى ٠٠ ضمنى اليك ٠٠ » وراحت فى غيبوبة جديدة ٠٠ وظنها قد أشرفت على النهاية ، لولا أن أقبلت الممرضة فطمأنته ٠٠

وما لبث أن أقبل «براد» ٠٠ وغام وجهه حين رأى كاس ، وكأنما أمضه أن أحدا لم ينبئه بوصوله !٠٠ ونهض هذا ، وان تملكته ثلاث رغبات : ان يبقى قاضيا على الدوام ، وان تحبه « جينى » ، و٠٠ أن يقتل « براد » !٠٠ **ورفع ذراعه ليهوى بها على وجه النذل ٠٠ ولكن ، فجأة ، انبعث فى أذنيه صدى صوت أستاذ القانون حين كان يطلب العلم : « ان أساس القانون وروحه ، يتمثلان فى انكار النزوة الى الانتقام لاسباب خاصة !** » ٠٠ وتخاذلت ذراعه ، وصاح فى « براد » :

ـ أخرج من هنا ٠٠

وخرج « براد » ٠٠ ولمح « كاس » جينى تبتسم ٠٠ وسمعها تهمس : « يؤسفنى انك لم تصفعه ٠٠ وهذا ما أكرهه فيك٠٠ انك مفرط الحلم والصبر ٠٠ انك نبيل الى درجة مثيرة ! ٠٠ ولكننى كنت موشكة على الموت لو لم تأت ٠٠ اننى لك منذ الآن ٠٠ أسيرتك ! »

وأخلدت الى الصمت برهة ، ثم عادت تقول وهو يحنو عليها: « أو ترانى هبطت فى نظرك بعد أن تخلى عنى « براد » ٠٠ وأخته !؟ ٠٠ لقد كان يحاول أن يتنصل ويفلت من حبى ٠٠ أو لا زلت تهوانى بعد أن تبينت اننى من الحقارة بدرجة لم أستطع معها أن أستبقى شخصا مثل « براد » ؟ ٠٠ اننى الآن أحبك ، أفترى الفرصة قد فاتت ؟ ٠٠ لقد تعلمت ٠٠ وان كنت قد اخترت مدرسا كبدنى كثيرا !! »

❖

◆ **لم يمض** أسبوعان ، حتي كانت « جينى » قد استردت الكثير من قواها ٠٠ وفى لحظة صفاء سألت « كاس » ، مشفقة، عما اذا كان مبقيا على حبها ، رغم ما كان من أمرها مع «براد» ٠٠ فهتف قائلا : « وما لهذا وحبى لك ؟٠٠ اننى أتوق الى أن أحملك ثانية الى « جراند ريببليك » ٠٠ وسيكون عليك أن تسترضى القوم ٠٠ لا تتعالى ولا تستهترى مثل « براد » ٠٠ فهل تراك قادرة على أن تناضلى لتكسبى حب القوم الذين لم تقدريهم فى البداية ؟ » ٠٠

ـ أعتقد ٠٠ اننى أهفو الى أن أعيش وسط قوم يولون المرء من حبهم ما ينقلب الى كراهية اذا هو لم يولهم حبه٠٠ سأحاول! أواه ، يا كاس ٠٠ لاأستطيع أن أزعم اننى آسفة لكل ما فعلت، فما كان بوسعى الا أن أفعله ٠٠ ولكن كل شىء قد مضى ٠٠ فهل تتحملنى اذا لم أقو على أن أكفر عن ذنوبى كما ينبغى ٠٠ ؟

❖

◆ **وعادا** الى « جراند ريببلك » وكأنهما يعودان من شهر العسل ٠٠ وألفيا « روز » ، شقيقة كاس ، وقاضيا من زملائه فى انتظار القطار ٠٠ وزهورا من « هافوك » و « دروفر » تستقبلهما فى الدار ٠٠ فان «جراند ريببلك» تغفر دائما لابنائها الضالين ، حين يعودون الى أحضانها !

وعاشا كأنهما أخوين ٠٠ الى أن سعى الى مخدعها ذات ليلة، فبسطت ذراعيها له فى وجد ٠٠ ولم يصدق ! ٠٠ ولكنه حين استلقى الى جوارها ، سمعها تتمتم :

ـ لقد اهتدى كل منا الى صاحبه ثانية ٠٠ لشد ما أنا آسفة ٠٠ نادمة ٠٠ تائبة ٠٠ الآن أوقن اننى أحبك !

نحن وأكبادنا



البيت والعائلة والطفل

عزيزى القارىء ...

فى العدد الماضى قدمت لك لاول مرة هذا الباب الجديد الذى أريد به أن يكون بمثابة «ركن المدفأة» الذى يجتمع حوله أفراد الاسرة فى الامسيات ليتبادلوا السمر فيما يثقف اذهانهم ويقوى الروابط العائلية بينهم ويدرأ عن جو البيت سحب الخلاف والمنغصات ..

لذلك اقدم لك فى مستهل الباب قصة «أوليفر تويست» المبسطة خصيصا كى يقرأها الصبى الذى يستطيع فهمها بنفسه ، أو يقرأها والداه ثم يقصانها عليه باللغة التى يفهمها حسب سنه ومداركه ..

فاذا فرغ الوالدان من سرد القصة على اطفالهم وجدوا أمام انظارهم فى الصفحات التالية لها مباشرة اختبارا عمليا وعلميا لكليهما وضعه علماء النفس على أسس سليمة تكشف لكل من الزوجين اخطاءه وتلفته الى درجة نجاحه فى حياته الزوجية ووسائل مضاعفة هذا النجاح ان وجد ، أو خلقه ان انعدم ، توطيدا لسلام الاسرة وتدعيما لمستقبلها ، وصونا لنفسية الاطفال من أن تتلفها الخلافات المتكررة بين الوالدين المتنافرين ..

وفى الاعداد القادمة سأحاول ان أقدم اليك باذن الله المزيد من هذه القصص المبسطة ، وهذه الاختبارات النافعة ، فضلا عن ابحاث اجتماعية ونفسية فى العلاقات الزوجية ، وتربية الطفل .. الخ



قصص ديكنز للأطفال

أوليفر تويست

◆ **فى** ملجأ من ملاجىء الفقراء ، ولد ذات ليلة طفل مسكين ضعيف البنية ، كانت أمه قد لجأت الى الملجأ فى ظلام الليل لتحتمى فيه من العاصفة ٠٠ وفاجأتها ساعة الولادة فأخرجته الى الدنيا ثم ماتت بعد قليل ، دون أن تذكر اسمها أو اسم أبيه «المجهول» !٠٠ فأطلق عليه أصحاب الملجأ اسم «أوليفر تويست» ، وقاموا بتربيته مع بقية الاطفال البائسين الذين كانوا مثله أيتاما بغير أب ولا أم ٠ **ولم تكن الملاجىء فى ذلك الزمن بيوتا للرحمة ، كما هى الآن ، بل كانت منازل للتعذيب والمعاملة السيئة ٠٠ فصار «أوليفر» المسكين يقاسى فى ذلك الملجأ آلام الضرب الموجع ، لابسط سبب ، بل يحرم فى بعض الاحيان من الطعام والشراب فيبقى فريسة للجوع والعطش وقتا طويلا !**

وكانت الحجرة التى يتناول فيها هؤلاء الايتام طعامهم باردة رطبة ، أرضها وجدرانها حجرية ، أما أصناف الطعام نفسها فكانت كريهة وقليلة جدا ـ الا فى المناسبات الكبرى مثل الاعياد والمواسم !٠٠ وحتى أوانى الطعام كانت قذرة للغاية ، لكن قذارتها كانت تختفى عند نهاية الطعام لان الاطفال كانوا لايشبعون من قلة مايقدم لهم فكانوا يمسحون بألسنتهم ما يبقى فيها من فضلات حتى تلمع الاوانى وكأنها مغسولة !

يهدد بأن « يأكل » جاره !

◆ **وقد** قاسى «أوليفر تويست» مرارة ذلك الجوع زمنا طويلا، فى صبر واحتمال ٠٠ لكن واحدا من زملائه لم يكن قد اعتاد احتمال الجوع مثله ـ اذ كان والده قبل موته صاحب مطعم ! ـ فأعلن أخيرا أنه لن يستطيع الصبر على هذه الحالة ، وانه قرر ـ اذا لم يتنازل له رفاقه عن جزء من طعامهم ـ أن يأكل جاره فى الفراش وهو نائم !

وكان جاره هذا صبيا صغير السن نحيف الجسم ـ بعكس ابن صاحب المطعم الذى كان طويلا قويا ، شرس الوجه ، له عينان بارزتان يتراقص فيهما شيطان الجوع !٠٠ **فصدقه زملاؤه الصغار ، وخافوا أن ينفذ تهديده بأكل جاره الضعيف ، فعقدوا مؤتمرا لبحث المشكلة ٠ وفى نهاية المؤتمر قرروا ارسال مندوب منهم الى مدير الملجأ ليفاوضه فى طلب زيادة مقادير الطعام المخصصة لهم ٠ ووقعت القرعة للقيام بهذه المقابلة الخطيرة على «أوليفر تويست» !**

فلماجاء المساء الذى حدده الاولاد لتنفيذ قرارهم ، جلسوا فى أماكنهم فى حجرة الطعام ، وظهر المدير كالمعتاد وأمامه الخدم يحملون وعاء الطعام الكبير المصنوع من النحاس ٠٠ فقام بتوزيع نصيب الاولادالضئيل عليهم بمساعدة المعلمات ٠٠ فأكل أصحاب المؤامرة طعامهم بسرعة وبدأوا ينظرون لبعضهم ويغمزون بعيونهم نحو أوليفر تويست ، أما جيرانه فرفصوه بأرجلهم ليقوم ويؤدى المطلوب منه !

وقام أوليفر من مكانه وذهب الى المدير وهو يحمل فى يده طبقه وملعقته ٠٠ ثم قال له وهو يرتجف من الخوف : «من فضلك ياسيدى ٠ أعطنى نصيبا آخر من الطعام »

وكان المدير رجلا سمينا قويا ، فاصفر وجهه عندما سمع هذا الكلام ، ونظر الى الصبى المتمرد غاضبا ٠٠ بينما كادت المعلمات أن يغمى عليهن من الفزع ! ثم صاح المدير بصوت كالرعد : « ماذا تقول ياولد ؟ » ورفعه بين يديه كما يرفع حملا خفيفا وصرخ بأعلى صوته :

ـ هاتوا « الفلقة » بسرعة !

وقامت بعد ذلك مناقشة بين المدير وبقية رجال الملجأ ومعلماته ، فقد خشى البعض أن يصاب أوليفر بأذى ٠٠ فانتهى

الامر بتعليق اعلان على باب الملجأ بمنح مكافأة قدرها خمسة جنيهات لاى رجل أوسيدة يريح ادارة الملجأ من الطفل أوليفر تويست الى الابد ، ويتسلمه ليتولى أمره !

فى خدمة « الحانوتى » ..

◆ **ونجحت** الفكرة .. فغادر أوليفر الملجأ فى سن العاشرة ليعمل صبيا لرجل قاسى القلب صناعته دفن الموتى . وكان هذا الرجل يعامله معاملة أسوأ من معاملة الملجأ للايتام ! وكان لديه مساعد آخر اسمه «نوح» وخادمة اسمها «شارلوت» ، **وكانا شريرين يتسليان باغاظة أوليفر الصغير . وخصوصا نوح الذى كان يسىء الى ذكرى أم الصبى في كل مناسبة .. وذات مرة تجاوز نوح الحد في الاساءة والاهانة لوالدة أوليفر التى كان يقدس ذكراها ، فغضب أوليفر وهجم على نوح فأطبق على رقبته وأوشك أن يخنقه ، ثم ألقاه على الارض !** ـ فان غضبه أعطاه من القوة ماجعله وهو الغلام الضعيف يغلب ذلك الرجل القوى !

وحضرت شارلوت على صراخ نوح واستغاثته فضربت أوليفر ضربة شديدة ثم أطلقت صرخة عالية تجمع على أثرها الجيران ، وتدخلت امرأة (الحانوتى) فأوجعته وأشبعته ضربا .. الى أن تعبت من كثرة الضرب فوقعت على الارض ، وراحت شارلوت تصرخ : « يا لسيدتى المسكينة ! كاد يقتلها هذا الغلام الشرير ! أسرع يانوح وهات كوبا من الماء أيها العزيز !»

وصبت شارلوت الماء البارد على وجه سيدتها وكتفيها ، فانتعشت ثم قالت : « آه ياشارلوت ! من رحمة الله بنا اننا لم نخنق فى فراشنا جميعا بيد هذا الغلام ! ولسوء الحظ أن سيدك ليس هنا ، فانى أخشى على ثلاثتنا أن يصيبنا أذى وليس فى البيت رجل يحمينا ، يا لنوح المسكين ! لقد كاد يقتله هذا المجرم ! »

فرفع نوح يده الى عينيه ومسح دموعه ٠٠ وهو الذى كانت قمة رأس أوليفر لا تصل الى ارتفاع أزرار سترته !

ليلة فى « ورشة التوابيت » !

◆ **وحكموا** على أوليفر بأن يبيت فى « ورشة التوابيت » ، فظل صابرا طول الليل ، الى أن احترقت الشمعة التى كانت تضىء المكان ، فنهض وفتح الباب خلسة ، ونظر فى الفضاء ، وكانت الليلة شديدة الظلام ، ساكنة الهواء ، فبدت له الاشجار كأنها أشباح ، فخاف وأغلق الباب ، وراح يجمع فى منديل كبير كل ماكان يخصه من ملابس قليلة قديمة ، ثم جلس ينتظر الفجر ٠

فلما أشرق الفجر فتح الباب ، وتسلل خارجا ٠ وتلفت حوله متحيرا أين يهرب ! وأخيرا اتجه نحو التل وسار فى الطريق الرئيسى ، الى أن مر بالملجأ القديم الذى ولد فيه ، فرأى طفلا ينزع الحشائش من أحواض الزهر ، وعرف فيه أحد زملائه السابقين فى الملجأ ٠ وسلم أوليفر على «ديك» ، وأخبره أنه هرب من بيت سيده للمغامرة فى الدنيا الواسعة ٠٠

وتعانق الغلامان ، ثم أسرع أوليفر فى طريقه نحو مدينة (لندن) ٠ وكان لايدرى أين ينام ولا ماذا يأكل ، فعانى طول الطريق من آلام التعب والجوع أهوالا فظيعة أشد وأقسى مما ذاقه من عذاب فى الملجأ !

أوليفر فى وكر اللصوص !

◆ **وقضى** أوليفر أسبوعه الاول فى لندن متسولا ، يبيت فى العراء ٠٠ الى أن التقى بغلام أكبر منه بعدة سنوات ، فعطف على أوليفر وأعطاه شيئا من الطعام ، ثم أخذه معه الى بيته ٠ وكان بيتا عجيبا يسكنه جماعة من اللصوص وقطاع الطريق والنشالين ، يخضعون لرئيس يدعى «فاجن» ٠ ولكن أوليفر الساذج لم يعرف حقيقتهم الا بعد زمن ٠٠ فقد خرج مع غلامين منهم ذات يوم ، فرآهما يتقدمان نحو سيد عجوز محترم ٠ **وماكان أشد**

دهشة أوليفر حين أبصر الغلامين ينشلان من جيب هذا السيد منديله الفاخر ، ثم يفران الى شارع آخر ! وفزع أوليفر ، فلم يدر ماذا يصنع ، وأخيرا أطلق ساقيه للريح ··

وفى هذه اللحظة اكتشف السيد ضياع المنديل ، فتلفت حوله فرأى أوليفر يجرى ، فصاح بأعلى صوته :

ـ لص !

ولم يكن السيد وحده هو الذى أطلق هذه الصرخة ، لان الغلامين أسرعا يشتركان معه فى الاستغاثة ومطاردة اللص الصغير أوليفر ، كما هو واجب أى مواطنين شريفين !

وازداد فزع أوليفر ، وهو يرى كل صاحب دكان يترك دكانه ليجرى وراءه ، وكأنه خطر قومى يجب على الجميع أن يهبوا لمكافحته ·· الى أن صار المطاردون جيشا جرارا !

وأخيرا خانت أوليفر قدماه فلحق به المطاردون ، وضربه أحد الغلامين على فمه بقبضة يده فجرحه · ثم تقدم نحوه ضابط البوليس فأخذه من عنقه بشدة ، وجره نحو مركز البوليس·· وهنا تقدم السيد المسروق ورجاه أن يتلطف به ، ولكن الضابط الهمام رفض أن يشفق على « مجرم بالفطرة » مثل هذا الغلام ! وراح يجره على أرض الشارع وهو ممسك برقبته ، وحولهما مظاهرة كبيرة من أولاد الشوارع يصيحون ويهللون ويقذفونه بالحجارة ··

وأخيرا لطف الله به فتقدم شاهد كان قد رأى ماحدث ، فأظهر براءة أوليفر ·· وعندئذ أطلق الضابط سراحه ، فأخذه السيد المسروق الى منزله حيث أكرمه وعطف عليه ، فذاق أوليفر طعم السعادة والراحة لاول مرة فى حياته !

فى قبضة عصابة « فاجن »

◆ **ولكن** اللصوص لم يتركوا أوليفر فى هذا النعيم ، فسرقوه من رب نعمته ليجعلوا منه عضوا فى عصابتهم المجرمة ،



وهددوه بالقتل اذا هرب !

وكان بين هؤلاء اللصوص رجل يدعى « بيـل » ، كان أقساهم قلبا وأكثرهم شرا ٠ وفى ذات ليلة خرج « بيـل » مع زميل له ، وأخذا معهما أوليفر ، ليساعدهما فى سرقة بيت ٠ وكان هـذا البيت فى الريف ، فلما وصلوا اليه رفع « بيـل » أوليفر فأدخله من النـافذة وأمره بأن يفتح لهما الباب من الداخل ، وهدده بقتله بالرصاص اذا أحدث صـوتا أو فشل فى فتح الباب ! **ولكن أوليفر صمم على تنبيه سكان البيت مهما كانت النتيجة ٠٠ واستيقظ السكان فزعين ، فأطلق بيـل الرصاص فجرح أوليفر ثم هرب مع رفيقه ، بعد أن حمل أوليفر الجريح على كتفه بعض الطريق ، ثم ألقى به عـلى الارض كى يسرع فى فراره ٠٠**

وبقى أوليفر طول الليل مغمى عليه فى البرد الشـديد وقد بلله المطر والندى ٠٠ حتى تنبه من اغمائه عند الفجر فبدأ يصرخ متألما ، ثم حاول الوقوف على قدميه ، وراح يمشى على غير هدى وهو يتخبط من شدة التعب والالم ٠٠ الى أن صادف بيتا فارتمى عند بابه ، حتى يجد من يعنى بدفنه اذا مات ! ولكنه تبين من منظر البيت أنه المنزل الذى حاول سرقته فى الليلة الماضية مع الرجلين ، فخاف وقام ليهرب ٠٠ ولكنه لم يستطع ، ووقع على السلم فاقد الرشد !

جزاء الاسـاءة !

◆ **وانفتح** الباب ، وعرف فيه أهل البيت اللص الصغير ، فأخذوه الى الداخل وأرسلوا فى طلب الطبيب ! وكان الطبيب

رجلا طيب القلب جدا فاهتم بأمره ، ودعا ربة البيت وابنتها الصغيرة للعناية به ، بعد أن طمأنهما الى أن الغلام وديع ولطيف، وماكانت أشد دهشتهما حين وجدتاه طفلا ضئيلا مسكينا جميل الوجه ‥ فأحبته السيدة وشملته بعطفها .

ولما شفى أوليفر من الحمى حكى لهما قصته الغريبة من بدايتها الى نهايتها . فقررت السيدتان أن تتخذاه ابنا للاسرة ‥ وبهذا انتهت متاعب أوليفر تويست ، حتى كاد ينسى ما مر به من ألوان الشقاء !

وبارشاد أوليفر ، اتصلت السيدتان برجال الامن ، فقبض على تلك العصابة الشريرة من اللصوص وطهر منهم البلاد ‥

وابتدأت الدنيا تبتسم للطفل اليتيم ‥ أوليفر تويست!

امتحن زواجك

اختبار ‥ للآباء والامهات !

◆ **هل وفقت الى تحقيق السعادة فى زواجك ؟**

ان جواب هذا السؤال يتوقف عليك دون سواك .. يتوقف على النصيب الذى تساهم به فى الحياة الزوجية ، وعلى الاسلوب الذى تتبعه مع زميلك فى هذه الشركة .. شركة العمر !

وهاتان مجموعتان من الاسئلة ، احداهما للزوجات ، والاخرى للازواج ، وكل ما عليك هو أن تضع ((نعم)) أو ((لا)) أمام كل سؤال فى المجموعة الخاصة بك ، وحين تفرغ من الاجابة انظر النتيجة ومغزاها فى نهاية المقال :

للزوجـــات

١ - **هل** تبثين زوجك الثقة بنفسه وتشعرينه بانه حاميك وراعيك ؟
٢ - **هل** تكبحين اى ميل فى نفسك للرئاسة والتحكم ؟
٣ - **هل** انت وفية لزوجك على الدوام ؟
٤ - **هل** تصدين امك واهلك عن التدخل بينك وبين زوجك ؟
٥ - **هل** تحتفين باهله وتحترمينهم ؟
٦ - **هل** تدبرين ميزانية البيت لتعيشا فى حدود دخلكما ؟
٧- **هل** تقبلين راضية على التعاون فى اى امر لتحسين امور الاسرة عامة ؟
٨ - **هل** لديك من الانصاف ما يحفزك على اتقان الطهى وتدبير المنزل ؟
٩ - **هل** تتغاضين عن عادات زوجك غير المقصودة كنفض رماد السجاير على الارض ؟
١٠ - **هل** يستطيع زوجك الاعتماد عليك فى اكرام الضيوف دون تذمر منك ؟
١١ - **هل** تتسامحين معه اذا شعر برغبة فى قضـاء بعض الوقت مع اصدقائه من الرجال ؟
١٢ - **هل** عنيت بتنمية ذهنك وميولك لتكونى زميلة لبقة ، ذكيـة ؟
١٣ - **هل** يستطيع ان يحدثك عن عمله وآماله وآلامه وهو مطمئن الى انك تفهمينه وتعطفين عليه ؟
١٤ - **هل** تستطيعين ان تعتمدى على نفسك فلا ترهقيـه بأمور فى وسعك اداؤها بنفسك ؟
١٥ - **هل** تكتمين الانين والشكوى اذا اصابك صداع او تعب؟
١٦ - **هل** تبذلين قصارى جهدك ليكون بيتك ملجأ بهيجـا لراحة زوجك ؟

١٧ ـ **هل** تبدين دائما عناية خاصة بمظهرك ، ونضارتك ، وفتنتك ؟
١٨ ـ **هل** لديك الاستعداد والادراك الكافيين لتفهمى ان العلاقة الجنسية ناحية متممة للزواج ولا غنى عنها لارضاء الزوج ؟
١٩ ـ **هل** تعتبرين نفسك جديرة بأن تكونى اما ، وأهلا للامومة ؟
٢٠ ـ **هل** تشجعين زوجك على ان يرى فى الاطفال نعمة ، رغم مسئوليات تربيتهم ؟

للازواج

١ ـ **هل** انت واثق من انك لا تنتقد زوجتك قط امام اطفالكما ، او اقاربكما ، او غيرهم ؟
٢ ـ **هل** تصد امك او اهلك عن التدخل فى شئونكما ؟
٣ ـ **هل** تحتفى باهل زوجتك وتحترمهم ؟
٤ ـ **هل** تتعاون مع زوجتك فى النواحى الاجتماعية المتبادلة كاكرام الضيوف ؟
٥ ـ **هل** تعاملها فى مساواة ، فتناقشها فى المسائل العملية وتستمع لآرائها ؟
٦ ـ **هل** تعمل ما فى وسعك لضمان مستقبلها بأن تؤمن على حياتك لصالحها او تدخر لها ؟
٧ ـ **هل** تسمح لها بمبلغ معقول تنفقه وفق هواها دون ان تسألها عنه حسابا ؟
٨ ـ **هل** انت دائما تحتفى بها وتكرمها ؟
٩ ـ **هل** تعتقد انك حسن المعشر ، ذو روح تسعد من يعاشرك ؟
١٠ ـ **هل** تبدى لزوجتك تقديرك لما تبذله من جهد فى ادارة شئون البيت ؟
١١ ـ **هل** تساعدها بقدر ما فى وسعك ؟

١٢ ـ **هل** تقوم بنصيبك من المسئوليات الخاصة بتربية الاطفال ؟

١٣ ـ **هل** تبدى اهتماما بميول زوجتك الفكرية وهواياتها واصدقائها ؟

١٤ ـ **هل** تهتم بتذكر عيد ميلادها ، وعيد زواجكما والمناسبات المشتركة ، فتقدم لها فيها بعض الزهور او الهدايا ؟

١٥ ـ **هل** تصحبها فى الخروج مرة فى الاسبوع .. على الاقل؟

١٦ ـ **هل** تنتبه الى مظهرها وملبسها وتطرى ذوقها واختيارها ؟

١٧ ـ **هل** تعنى بمظهرك حتى تستطيع زوجتك ان تزهو بك ؟

١٨ ـ **هل** تكرر على مسمعها كثيرا مدى حبك لها ؟

١٩ ـ **هل** تعمل على ارضاء رغباتها الجنسية كما ترضى رغباتك ؟

٢٠ ـ **هل** عودت نفسك ان تقدر نفسيتها والعوارض التى تنتابها كأنثى ، وان تعطف عليها ؟

◆ والآن ، هل فرغت من الاجابة على الاسئلة العشرين ؟ اذن فاحسب ـ او احسبى لنفسك خمس درجات لكل اجابة بـ «نعم» ! .. فاذا حصلت بسهولة على ١٠٠ درجة او نحوها كنت زوجا أو زوجة مثالية ! . وخليق بكل شخص يريد أن يكون زواجه موفقا سعيدا ، ان يسعى لكى ينال هذا القدر من الدرجات ! والذى ينال ٧٠ درجة ، لا بأس به . أما الذى يحصل على ٦٠ فهو يشق طريقه فى الحياة الزوجية بغير قدر كبير من الهناء ، بل هو يفقد رويدا روابطه بشريك حياته ..

وكل سؤال من هذه الاسئلة يشير الى ناحية هامة فى الحياة الزوجية ، فخليق بك أن تحتفظ بهذا الاختبار ، وان ترجع اليه كل شهر مرة .. وكلما شطبت اجابة بالنفى ووضعت مكانها «نعم» ، كان هذا مبشرا بأنك تقترب من السعادة والتوفيق المنشودين ..

إقرأ معى :



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

◆ **آراء جريئة فى الحياة :** للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »

◆ **آراء جريئة فى السياسة :** لبرنارد شو

◆ **كيف نجحوا فى الحياة :** لديل كارنيجى

واليوم اقدم لك فيما يلى هذا الكتاب الذى يصف لك الحياة فى روسيا السوفيتية كما لم تعرفها من قبل ! وقد كتبه صحفى انجليزى كبير لمس الحياة فى موسكو عن كثب ، هو وزوجته ، طيلة العام الذى قضياه فى الدراسة والملاحظة ، والتدوين .. وقد تناول كل منهما الكلام عن الناحية التى يحسنها من الموضوع ..

وفى الاعداد القادمة أزمع ان اقدم لك فى هذا الباب الكتب الشائقة التالية، وغيرها :

كازانوفا : وليم بوليثو

جرائم نسائية : ج . أليز

العظماء الاربعة عشر : فرانسوا مورياك

ماء النيل : بيير فروندیه

أساطير الاولين : فولترتون

الخ ... الخ

هذا الكتاب ..

◆ كانت وفاة الماريشال ستالين فى هذا الشهر حادثا سلط الاضواء فجأة على روسيا ، ونقل اليها انتباه العالم و « حواسه » الثلاث المتيقظة : الصحافة ، والاذاعة ، والسينما .. فتبارت كلها فى الظفر من رحلتها الى هناك بمادة ترضى فضول القراء ، والمستمعين ، والنظارة ، الى معرفة حقيقة ما يدور وراء الستار الحديدى لدولة الاتحاد السوفييتى ..

لكنى رأيت أن أقدم اليك بهذه المناسبة مادة تختلف عن المادة «الاخبارية» التى قرأتها فى الصحف .. فاخترت لك هذا الكتاب الشائق ، الذى اعتقد أنه سيروقك ويمتعك ، لما فيه من وصف تفصيلى ودراسة جدية لكافة صور الحياة فى موسكو ، باعتبارها نموذجا مكبرا لبقية المدن الروسية .. فلعلك تجد فيه جوابا على كل ما يدور فى ذهنك من خواطر واسئلة بشأن حياة الشعب الروسى : كيف يعيش .. وماذا يتعلم .. ويأكل .. ويلبس .. ويسكن .. ويقرأ .. ويلهو .. وما هى معتقداته .. واحوال معيشته .. ووصف مسارحه ومغانيه .. وصحافته .. و .. و .. الخ

ومؤلف الكتاب هو الصحفى الانجليزى « هارولد لايكوك » ، الذى قضى عاما كاملا يجوب شوارع موسكو ، ويتغلغل فى شتى اوساطها وبيئاتها ، ويتحدث الى ابنائها ـ رجالا ونساء ـ فخرج من دراسته بهذا الكتاب الذى صدر حديثا ليسد فراغا كبيرا فى بابه ..

١ ـ هل ألغيت الفوارق بين الطبقات ؟

◆ **قبل** أن نحاول الاجابة على هذا السؤال ، ينبغى أن نعرف خصائص طبيعة الفرد الروسى ، ومدى تأثرها بنظام الحكم الحالى فى روسيا السوفييتية ..

فالطبيعة الروسية تتميز ببضع خصال متأصلة فيها ، لا يمكن لاية انقلابات سياسية أن تغيرها ، ومن هذه الخصال : الامانة ، والشفقة ، والاقتصاد ، وحب الجمال والاطفال والحيوانات ، وطيبة المعشر ..

ولا يمكن القول ان التفرقة بين الطبقات قد ألغيت من روسيا، فان المواطن السوفييتي يجد هذه التفرقة فى كثير من المناسبات ٠٠ وقد احتاجت زوجتي الى مجهود عدة أسابيع كي تقنع الخادمة « تانيا » بأن تجلس بجوارها فى الاوتوبيس أو تمشي معها فى الشارع جنبا الى جنب حين تخرجان لشراء الحاجيات ٠٠ ففى البداية كانت الغريزة تنتهز أول فرصة فتتسلل الى مقعد فى الصفوف الخلفية ، أو تسير وراءها بخطوات ، شأن امرأة من نساء العرب القدامى !٠٠ وذات يوم كنا فى طريقنا الى زيارة صديق يسكن فى أحد الطوابق المرتفعة ، فلم تكد الخادمة تدخل المصعد معنا حتى انتهرتها العاملة المشرفة عليه وألقت بها خارجا فى عنف ، لان « المصعد ليس للخدم » !

حياتهم العائلية

◆ **والمواطن** السوفييتى اذا لم تجده فى عمله ، أو فى حانته يشرب الخمر ، تجده فى بيته الى جوار مدفأته الخزفية البيضاء المنتشرة فى البيوت الروسية ٠٠ وقد قاومت الروابط العائلية فى روسيا كل محاولات الشيوعية لتفكيك عراها ، حتى لصارت اليوم أقوى من أى وقت مضى ! ٠٠ومع ذلك فان انخفاض أجور العمال ، ومطالب برنامج الخمس سنوات ، تلقى ظلالا وشوائب على سعادة الاسرة باجبارها « **الامهات** » بدورهن على العمل ٠٠ فتجد المرأة منهن تترك أطفالها فى دور الحضانة ثمانى ساعات كل يوم ، ما عدا يوم العطلة ، ثم تتركهم وقتا آخر فى المساء كى تشترى حاجياتها من الاسواق ٠٠ وبرغم ذلك كله فانك تشاهد أدلة احتفاظ الروابط العائلية بقوتها فى كثير من المظاهر والمناسبات : مثل تجمع أفراد الاسرة للقيام برحلة فى الغابات أو الحقول ، أو احتفالهم بعيد ميلاد أحدهم فى مطعم من المطاعم، أو ترددهم على الحدائق والمسارح ودور السينما ٠٠ الخ

جرائم الاحداث .. والبالغين

◆ **على** ان انشغال المرأة السوفيتية بعملها ـ سواء فى المصنع ، أو الجيش ، أو المكتب ، أو تنظيف الشوارع .. الخ ـ قد أدى الى اضعاف رقابتها على بيتها وأولادها ، ومن ثم كثرت جرائم الاحداث كثرة خطيرة ، برغم جهود السلطات فى مقاومتها .. **وأوضح مظهر لهذه الجرائم انتشار حوادث النشل وخطف حقائب السيدات فى الشوارع والمركبات والحوانيت ! ـ وذلك برغم قلة جرائم البالغين فى العاصمة الروسية قلة ملحوظة ، بسبب عاملين : أولهما شدة السلطات فى تعقبهم وصرامتها فى معاقبتهم بعقوبات قاسية لا تحتمل .. والعامل الثانى سذاجة المواطن الروسى وتعلقه ببيته** . ومن يقرأ صحف موسكو يلاحظ اختفاء أنباء الجرائم من صفحاتها اختفاء تاما ، يوحى بأن لا وجود لها فى البلاد ، مع اننا سمعنا فى فترة اقامتنا بوقوع جريمتى قتل ـ لم يرد لهما أى ذكر فى الصحف ! ـ على أن غالبية جرائم القوم هناك تدخل فى باب الاختلاس والسرقات الوضيعة .

برامج التعليم .. ونفقاته

◆ **والتعليم** المجانى فى روسيا قاصر على الذين جاوزوا السابعة ـ وهى السن الطبيعية لبدء الدراسة بالنسبة للصبى السوفييتى ـ أما قبلها فتتقاضى رياض الاطفال ودور الحضانة أجرا ، وأجرا باهظا ، من أولياء أمور تلامذتها الذين تتراوح سن أكثريتهم بين الخامسة والسابعة .. وحتى بالنسبة لمن جاوزوا السابعة تعتبر مجانية التعليم صورية فى الواقع ، اذ يلزم الآباء بدفع أثمان جميع الكتب والادوات اللازمة للدراسة ـ وهى ليست بالعبء الهين اذا راعينا انخفاض مستوى الاجور هناك وارتفاع نفقات المعيشة ..

وتلميذ المدرسة الابتدائية فى روسيا يدرس عددا كبيرا من العلوم والمواد ، يشمل : القراءة ، الكتابة ، الحساب ، التاريخ ،

الجغرافيا ، الطبيعة ، الفن ، الموسيقى ، ثم الالعاب الرياضية ٠٠ أما فى المدارس الثانوية فتضاف الى هذه المواد اللغة الروسية ، ولغة أخرى أجنبية ، والجبر ، والهندسة ، والكيمياء ، والعلوم الطبيعية ، وحساب المثلثات ، والرسم ، ثم الدستور السوفييتى !

وفى عطلة الصيف يجبر جميع التلاميذ البالغين ١٦ عاما على قضاء ٢٠ يوما فى معسكرات التدريب العسكرى ، على أن يدفعوا نفقات ذلك وأثمان المعدات التى يستعملونها ! ٠٠ ويشتمل برنامج الجغرافيا فى المدارس على باب فى دراسة الخرائط الحربية ٠٠ أما التاريخ فقد روجعت كتبه وحذف منها ما لا يتفق مع رغبات الحاكمين — (من ذلك أنهم حذفوا كل اشارة الى الميثاق النازى السوفييتى الذى عقد سنة ١٩٣٩ !) ٠٠ وفى كتب الحساب تجد جميع الامثلة والمسائل مكتوبة فى صبغة «عسكرية» ، مثل هذه : « ثلاثة من جنود الجيش الاحمر كانت فى جعبة كل منهم ١٢ رصاصة ، أطلق منها ٤ ٠٠ فكم رصاصة بقيت للثلاثة مجتمعين ؟ »

الحرية حتى سن الرابعة عشرة !

هذه أسس التعليم الرئيسية فى روسيا اليوم ، **لكن «جوع» الدولة الى زيادة الانتاج والى المزيد من الايدى العاملة يعوق تنفيذ هذه البرامج ، اذ تعمد السلطات الى انتزاع الطلبة الذين يبلغون سن الرابعة عشرة من مدارسهم الثانوية كى تلحقهم بالمدارس الصناعية أو المعاهد الفنية لمدة تتراوح بين ٦ أشهر وسنتين،** تبعا لسهولة أو تعقد الفروع التى يلحقون بها ، والتى تعدهم للعمل فى السكك الحديدية ، أو أحواض بناء السفن ، أو مقاولات البناء ٠٠ الخ ٠٠ وهكذا تفرض الدولة على أبنائها اتجاهاتهم فى مستقبلهم ، وتحرمهم من كل حرية فى الاختيار ٠٠ وبعد أن يعيش الفرد منهم حتى سن ١٤ انسانا حرا

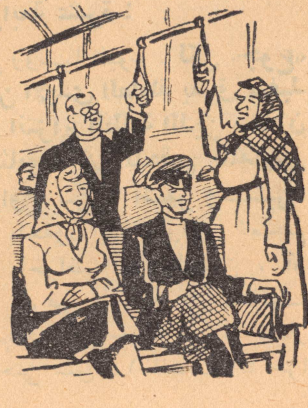
محبا للحياة ، محبوبا من أهله ، وله شخصيته واحترامه الذاتى ، اذا به ينتقل نقلا عنيفا الى حيث يصبح مجرد « ترس » آلى من تروس تلك الآلة الضخمة : الدولة ! ٠٠ ومنذ تلك اللحظة تفتر مشاعره العائلية وعواطفه البنوية ، ويعتريها الصقيع !

٢ - عواطفهم ٠٠ والى أين تنصرف ؟

◆ **والروسى فى العادة مولع بالزهور ، وبالاطفال ، والشراب !.. وهو بسيط النفس ، محب لبيته ، شأن أفراد الطبقة المتوسطة فى كل بلد ..**

◆ **مما** يسترعى النظر فى موسكو أن أكثر أطفالها نظيفون الى درجة عجيبة ، يرتدون ثيابا أنيقة لا تتناسب مع مظهر الاهالى الكبار ذوى الثياب المتواضعة الذين يملأون شوارع العاصمة ٠٠

وعناية القوم بأولادهم لا تقتصر على ملبسهم ، وانما تتعداه الى أشياء أخرى كثيرة ٠٠ **من ذلك انك تصادف فى عربات الترام والاتوبيس وسواها ، آباء وأمهات يجلسون أبناءهم وبناتهم - ممن جاوزوا سن الصبا - فى الاماكن الخالية ، بينما يقنعون هم أنفسهم بالبقاء واقفين !٠٠ وبرغم ارتفاع أسعار أصناف الحلوى والشكولاتة هناك الى درجة تجعلها من أغلى الكماليات ومواد « الترف » ، فانك تجد صفوفا لا تنتهى من الامهات أمام المحال التى تبيعها ٠٠ ولعل الواحدة منهن تنفق فى هذا الباب آخر روبية فى جعبتها !**



والمواطن الروسى من أهل موسكو ليس مولعا بالكلاب ، حتى لتكاد لا تصادفها فى الشوارع هناك الا نادرا ٠٠ بعكس القطط، التى يتعلق بها ويدللها الجميع تقريبا ! وقد كنا في دهشة من أمر نوبات « اختفاء » القط السيبيرى الاغبر « ميشا » الذى كنا نقتنيه، حتى اكتشفنا انه فى فترات غيابه كان ينزل ضيفا مكرما على كثير من البيوت الروسية المجاورة لنا ، والتى كانت تتنافس على استضافته ، و « يخطفه » بعضها من بعض !

◆ **ويلى** الاطفال والقطط فى الحظوة بحب أهل موسكو : الازهار ! اذ تهفو اليها قلوبهم بصورة تلفت النظر ٠٠ **وقلما تجد نافذة من نوافذ العاصمة ـ حتى أكثرها تواضعا ـ لا تزينها أصص الزهر وقد تفتحت براعمها وتضوع أريجها ٠٠**

وأنت اذا مررت بالميدان الكبير المواجـه لمحطة سكة حديد « بيلوروسكى » ، حيث تقوم على حافة الارصفة سوق من أهم أسواق الزهور فى موسكو ، تجد جموع الاهالى غادين رائحين وقد حملوا فى أيديهم باقات عطرة من أجمل أنواع الزهور ، وكلها تباع بأسعار زهيدة !٠٠ أما حين يندر الزهر فى الخريف والشتاء ، فانك تجد غلاة المولعين به يقفون فى صفوف أمام حوانيت بيعه ، كى يحصلوا على ما يتيسر الحصول عليه منه فى ذينك الفصلين !

أكثر الشعوب ادمانا للخمر !

◆ **والروس** عموما مولعون بالخمر ٠٠ وقد رأيت من السكارى فى عاصمتهم ـ فى جميع الاوقات : صباحا ، وعصرا ، ومساء ـ أكثر مما رأيت فى أية عاصمة أخرى من العواصم العشرين التى زرتها !٠٠ لكنى لم أر قط أدنى علامة من علامات المشاكسة أو حب الشجار عندهم ، حتى أثناء ثملهم !

وهم يجرعون كؤوسهم ـ ولا سيما من الفودكا ، شرابهم القومى ـ جرعة واحدة ، دون توقف ٠٠ ولو حضرت مجلسا من مجالسهم لادهشتك السرعة التى بهـا تملأ الكؤوس وتفرغ ،

مصحوبة فى كل مرة بصيحتهم التقليدية : « دو كانسا » أى « الى النهاية ! »

والقدر المألوف الذى يتنــاوله الروسى من الفودكا فى المرة الواحدة هو مائة جرام ، أو ما يعادل كأسين « مزدوجين » من كؤوس الويسكى عند الانجليز ٠٠ و « المزة » الروسية التقليدية التى تصحب الفودكا عادة هى البطارخ (الكافيار) ، أو شرائح سمك « السالمون » المدخن فوق شطائر من الخبز المدهون بالزبد ٠٠ وهم يتناولون بين كؤوس الفودكا أحيانا جرعات مهضمة من المياه المعدنية أو الغــازوزة ٠٠ ويستطيع المواطن الروسى أن يحصل على كأس الفودكا المنشود من أى مكان فى الطريق ، بل من الاكشاك الخشبية الصغيرة التى تقوم فى زوايا الشوارع وعند أكثر محطات الترام والاتوبيس ٠٠ **أما النساء فلا يشربن الخمور الا فى الحفلات الخاصة ٠٠ اذ يندر أن يتناولن شيئا منها فى الاماكن العامة ٠٠**

والروسى مولع أيضا بسجايره وتبغه ، وهو يدخن منها صنفا يدعى «بابيروسى» ، يشبه السجاير الانجليزية والامريكية فى حجمه ، وان اختلف عنها فى أنه لا يحوى تبغا الا فى ثلثه فقط ٠٠ أما الثلثان الباقيان فتشغلهما أنبوبة من الورق المقوى ٠٠ فارغة !

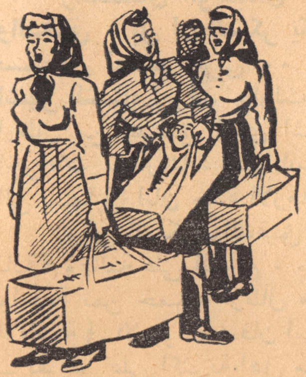
٣ ـ المرأة بين البيت ، والسوق ، والعمل الشاق

◆ اما صورة موسكو من وجهة نظر النساء ، فقد آثرت ان اترك وصفها لزوجتى ، فهى أقدر منى ولاشك على فهم رد فعل النساء بالنسبة لجوانب الحياة التى تتصل بهن .. وفيما يلى ما خرجت به من جولاتها فى العاصمة الروســية :

◆ **كانت** موسكو ــ فى سنة ١٩٥٠ ــ مكانا بهيجا بالنسبة للزوجة التى تملك المال الوفير ، والصبر ، ولا تهتم كثيرا

بالثياب او تأبه لحرمانها من الخلوة فى حياتها الخاصة !

وقد كان اول شىء جذبنى ـ كقادمة جديدة من بريطانيا التى تخضع لنظام البطاقات فى كل شىء ـ هو وفرة الكماليات فى حوانيت بيع المأكولات ، فان جميع الشوارع الرئيسية تحفل بصفوف من الحوانيت المليئة بكافة اصناف الاطعمة وبكميات وفيرة .. **لكن نظام الشراء فى الحانوت الروسى نظام معقد ، وكل خطوة منه لا تتم الا عن طريق «الطوابير» ! ..** فانت لكى تشترى «باكو» من الزبد مثلا ، تقف فى طابور حتى تصل الى حيث تعرض اصناف الزبد المختلفة ، وعلى كل منها بطاقة بسعرها .. فاذا عرفت سعر الصنف الذى تريده ـ وهى خطوة لابد منها قبل شراء اية سلعة ـ خرجت من ذلك الطابور لتقف فى طابور آخر طويل ينتهى بك الى الخزينة ، حيث تدفع الثمن وتأخذ مقابله بطاقة .. ثم تخرج من ذلك الطابور الثانى لتقف فى طابور ثالث ، ينتهى بك بعد زمن الى حيث تقدم البطاقة وتتسلم البضاعة .. !



والطوابير تبدأ عادة فى ساعة مبكرة من الصباح، فحين يفتح حانوت الاطعمة الرئيسى فى موسكو مثلا ـ واسمه «موستورج» ـ **تجد عدد النسوة الواقفات فى الطابور قبل فتحه نحو خمسمائة سيدة على أقل تقدير !!.. ويدهشك أن ترى بين ذراعى كل منهن فى الغالب لفافة محكمة ، تفتح المرأة طرفها كل حين لحظة لتنظر فيها وهى تبتسم، ثم تحكم**

اغلاقها من جديد .. وبعد مراقبة طويلة وحدس وتخمين ، تعرف ان كل امرأة انما تحمل فى لفافتها.. طفلها !.. وهذه هى الطريقة الوحيدة التى تتمكن بها المرأة الروسية من الخروج لشراء حاجيات بيتها ..

ارتفاع الاسعار .. ولا سيما فى الاطعمة !

لكن الاطعمة ، رغم وفرتها ، تختلف اختلافا كبيرا فى الصنف والسعر .. وربة البيت العادية فى روسيا لا تكاد تستطيع شراء ارخص الاصناف واقلها جودة .. فخادمتنا «تانيا» مثلا، كانت تشترى لنفسها ارخص انواع اللحم بسعر سبع روبيات للرطل ، فى حين اننى ـ والزوجات الروسيات الاقدر منى على الشراء ـ كنا ندفع فى رطل اللحم الممتاز ١٦ روبية .. فاذا علمت ان مرتب «تانيا» كان ٨٠٠ روبية شهريا ، ادركت مبلغ الحذر الذى ينبغى ان تلتزمه فى شراء حاجياتها ..

اما فى الاسواق العامة فلهم طريقة للبيع ينفسح فيها مجال المساومة وتذوق الاطعمة ، مجانا ! فكثيرا ما تسمع احدهم ينادى المارة ليذوقوا ما عنده من الجبن او الخيار او الفاكهة او «عيش الغراب» المجفف، وبعد ذلك تبدأ المساومة..!

والصنفان الوحيدان الشحيحان فى موسكو : السكر ، والدقيق . بل ان السكر يكاد يختفى فى اشهر الصيف حين يستعمل لصنع المربى .. اما الدقيق فيختفى تماما اكثر اشهر الشتاء ! وقد حاولت مرة اعطاء خادمتى تانيا بضعة ارطال من الدقيق الذى اشتريته فى بداية الربيع بواسطة اجراءات سفارتنا ، لكنها ابت اخذها ، اذ لم تجرؤ ان تحملها الى بيتها فى ابان حدة الازمة !

ويلى السكر والدقيق فى القلة : الفواكه عموما .. فهى نادرة وغالية على الدوام ، واحيانا يكلف الحصول على ليمونة واحدة ثمن خمسة ارطال من الخبز !.. وهكذا ، رغم توفر الاطعمة فى الاسواق ، فان اسعارها ـ اذا قورنت باجور العمال ـ تفرض على اكثرية اهل موسكو ان يقنعوا بالخبز والكرنب،

مع قدر ضئيل ـ بين الحين والآخر ـ من اللحم غير الجيد ولا الشهى !.. وقد طالما آلمنى ان ألحظ نظرات الحسد والحسرة فى عيون النسوة الروسيات وهن يريننى اشترى عدة كيلوجرامات من افضل اصناف اللحوم ، وعشرين او ثلاثين بيضة !.. **وقد روى لى طاهى السفارة البريطانية ـ وهو بلجيكى يدعى «ماكس كريتزشمار» ـ انه كلما ذهب ليشترى حاجيات الطعام بالجملة لمطبخ السفارة ، تكأكأت عليه النسوة محاولات ان يقبلن قدمه اذا اقتضى الامر ، كى يظفرن منه مثلا بحفنة من البطاطس الوفير الذى يحمله !**

على ان الطبقة الميسورة من الروسيين تأكل الكعك والحلوى والمثلجات من ألذ الاصناف ، المصنوعة من الزبد والقشدة الحقيقيتين !.. بل ان فى وسع هؤلاء ان يطلبوا ما يشاءون منها بالتليفون ، تصلهم الى بيوتهم فورا ..

ثيابهن وأزياؤهن .. تدعو للرثاء

اما فى ما يتعلق بالثياب فالروسيات متخلفات عن اوربا كلها فى هذا الباب ، واكثرهن اناقة انما يرتدين ازياء انقضى اوانها وموسمها منذ سنوات . وكثيرا ما صادفت نساء سألننى فى شغف من اين اشتريت قبعتى ، او حقيبة يدى ، او حذائى ! **.. وفى احر وارطب ايام الصيف فى موسكو رأيت نساء يرتدين اثوابا طويلة من القطيفة السميكة ! او ثيابا قطنية رثة ترتفع عن الركبة .. اما غالبية الروسيات فيرتدين على وجه العموم، ـ وفى الصيف والشتاء على السواء ـ ! اثوابا بسيطة من الصوف الرمادى الداكن ، لا طراز لها ولا شكل او جمال !.. أما رؤوسهن فيتركنها عارية أو يضعن عليها شالا لا لون له . وأما اقدامهن فتختب فى احذية من المطاط الرخيص او البلاستيك !** ولم ار واحدة منهن ترتدى جوربا من «النيلون». وانما هن يرتدين جوارب سميكة من القطن ، بل الصوف احيانا .. او يتركن سيقانهن عارية !

أشغال شاقة .. الى درجة الاجهاض !

◆ **والروسيات** هن بلا شك اكثر نساء العالم اضطلاعا بالاعمال الشاقة. . بل ان الاعمال الظاهرة للعيان التى يتولينها فى الشوارع وحدها لتثير الفزع !.. فقد رأيت فتيات دون العشرين يكنسن الشوارع او يغسلنها ، بمجهود يعجز عنه عمال المناجم فى «ويلز» ، وحين ابديت لخادمتى تانيا هذه الملاحظة ، معربة عن اعتقادى بان ذلك يعتبر بالنسبة للمرأة الغربية تصرفا غير طبيعى بل غير انسانى ! .. هزت تانيا كتفيها واكتفت بالقول ان النساء والرجال فى الاتحاد السوفييتى متساوون فى كل شىء !

وبسبب هذا الارهاق الذى تعانيه المرأة الروسية ـ نتيجة لكثرة الاعمال المطلوب اداؤها فى الدولة ـ يبلغ المتوسط العادى لمرات الاجهاض التى تعانيها كل زوجة : بين خمس وثمانى مرات !

وهؤلاء الفتيات العاملات ، واخواتهن الاكبر منهن سنا ، وامهاتهن .. بل جميع نساء الاتحاد السوفييتى على وجه العموم .. يعشن معيشة تنقصها الخلوة او الحرية فى الحياة الخاصة . فبيوتهن المشتركة لا تختص كل منهن فيها بغير غرفة النوم ، اما المطبخ ودورة المياه والحمام فمشتركة بين سكان المبنى جميعا !.. وفضلا عن ذلك فهن يعانين مضايقات رجال البوليس المنتشرين بالمئات فى الشوارع كى يستوقفوهن فى اية لحظة لفحص بطاقاتهن الشخصية !.. هذا بخلاف المتاعب و«العقوبات» التى تلحق بهن اذا ذهبن الى كنيسة او ترددن فى الانضمام الى احدى منظمات الحزب المعترف بها .. وهى كلها ظروف كفيلة بالتأثير على نفسية اية امرأة عادية ضنينة بحريتها ، بحيث نستطيع ان نجد فيها تفسيرا لطابع الجمود والانطواء والاسى الذى لحظته على المرأة الروسية خلال الشهور السبعة التى اختلطت فيها باهل موسكو ..

مساواة موجعة .. بين الرجال والنساء !

◆ **ولم** أر فى العاصمة الروسية غير القليل من مظاهر الشهامة ـ او الفروسية ـ من جانب الرجال نحو النساء .. فما من رجل هناك يفكر يوما فى ان يترك مقعده فى الاتوبيس لامرأة من النساء الواقفات «المتكدسات» .. **بل ان الرجال يشقون طريقهم الى القطار او العربة او السيارة بكل خشونة، متزاحمين بالمناكب ، واذا دخلوا متجرا تركوا الباب ينصفق بشدة فى وجوه النساء اللواتى يتبعنهم !**

على أن هناك احتفالا واحدا جميلا ، عزيزا على نساء الاتحاد السوفييتى ، يقام فى شهر مارس من كل عام ويطلق عليه « يوم المرأة » ، وفيه تعامل كل امرأة لمدة ٢٤ ساعة كما لو كانت فى مكانة ستالين نفسه !.. ويتعين على الرجال فى ذلك اليوم « اليتيم » أن يكللوا بالازهار هامات أمهـــاتهم ، وزوجاتهم ، واخـــواتهم ، وخطيباتهم .. ويتولوا تنظيف البيت وشراء الحاجيات من الاسواق .. ويطهوا الطعام بدلا من نسائهم .. ويهيئوا للاسرة أسباب اللهو والمرح .. وبالاختصار، يحرصوا على أن يبددوا كل سحابة تشوب سعادة الجنس اللطيف !

ورغم ان آله « الانتاج » الشره يعوق فى السنوات الحاضرة تنفيذ هذا التقليد كما ينبغى ، فقد أدهشنى مبلغ الاحترام الذى يوليه اياه القوم يوم الاحتفال المذكور .. وهو احترام يظهـر أثره فى مسلك كل فرد ، فى كل مكان !

وفى (كتابى) القادم أقدم لك باذن الله القسم الثانى من هذا الكتاب الشـــائق ، ويتحدث عن : الدين فى روسيا ـ الصحافة ـ نظام السكنى ـ الملاهى والمسارح ـ معالم العاصمة ـ المواصلات وحركة المرور ـ حلبـات السباق .. الخ

وزارة الحربية والبحرية
مصلحة الطيران المدنى

يقبل مدير عام مصلحة الطيران المدنى تقديم العطاءات لغاية الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ١٩/٤/١٩٥٣ عن توريد بويات وتطلب الشروط والمواصفات من قسم المشتريات بالمصلحة بثكنات قصر النيل على ورقة تمغة فئة خمسون مليما مقابل ٢٥٠ مليما يضاف اليها ٤٠ مليما اجرة البريد ٤٠٧٢

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمجلس جرجا البلدى حتى ظهر يوم ٥ مايو سنة ١٩٥٣ عن عملية تعديل سور شارع البحر

وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٣٠٠ مليم للنسخة وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته لا يلتفت اليه . ٤١٥٥

مجلس بلدى بورسعيد

تقبل العطاءات بمجلس بلدى بورسعيد حتى ظهر يوم ٢٣/٤سنة ١٩٥٣ عن توريد عدد ٣ سيارة نقل للقمامة بصندوق قلاب . وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم خلاف اجرة البريد للنسخة . وكل عطاء لا يرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢٪ من قيمته لا يلتفت اليه
٤١٢٠

وزارة الحربية والبحرية
مصلحة الطيران المدنى

يقبل مدير عام مصلحة الطيران المدنى العطاءات لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٥٣ عن أعمال تعديلات وترميمات بمبنى الاستراحة والبوفيه وعمل دورة مياه ملحقة بالمبنى بمطار مرسى مطروح المدنى وتطلب الشروط والمواصفات من قسم المشتريات بالمصلحة بثكنات قصر النيل على ورقة تمغة من فئة خمسون مليما مقابل دفع مبلغ جنيها مصرياواحدا ويضاف اليها مبلغ ٤٠ مليما أجرة البريد ٤١٣١



عمز الطلب
بعد التعب
بيبسي كولا
PEPSI-COLA
بيبسي كولا
الشرق الأوسط
S.P.M.O.
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة الزجاجات ش.م.م

محتويات الكتاب

صفحة	الموضوع

كتابي

الرابع عشر

".. نعم ، فلقد أُقبل الربيع يا صديقى . والربيع حين يقبل تطيب الحياة ، وتنتشي الأجسام ، وتثمل الأرواح بخمر عجيبة ، هى مزيج من نسائم الفجر ، وأنفاس الزهر ، وندى السماء ..

" أُقبل الربيع متلصصاً على قلب "ليلى" ، الأعزل من كل قدرة على المقاومة ! وكما يجد المرض مرتعاً خصباً فى الأجسام التى أنهكها الجوع ونقص التغذية ، وجد الحب فى قلب الصبية الجائع مرتعه .. فسرى فيه سريان النار فى الهشيم ! وسرعان ما أسفر هواها فى عينيها ، فشب فيهما لهب وهاج ، وتبدلت كآبتها بهجة ، وانكسارها مرحاً وغناء ، يملأ الفضاء .. صارت تصدح بأغانى الموسم الشائعة ليل نهار : فى غرفتها ، وفى الشارع ، و الحمام .. أو وهى جالسة إلى البيانو تعزف وتغنى وتضحك ، ثم تقفز من المقعد فجأة فى منتصف المقطوعة كى تقف فى الشرفة المواجهة لى ، كأنما تنتظر منى كلمة اعجاب أو ثناء ".

(من قصة "أيها الربيع .. ترفق !" ، احدى قصص هذا العدد)